وجع الدماغ

إياد حرفوش

وجع الدماغ / مقالات

د. إياد حرفوش

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

د. إياد حرفوش

تدقيق لغوي :

أحمد سعيد

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٢١٧١٤

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٦٣- ٠

وجع الدماغ

مقالات

إياد حرفوش

الطبعة الأولى

٢٠٠٨

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع



رأيت كل شيء .. و تعبت على الحـقيقة

قابلت في الطريق .. عيون كـتير بريئة

أعرف بشر .. عرفوني؟ لأ ماعـرفونيش

قبلوني .. و قبلتهم

بامد إيدي لك .. طب ليه ما تقـبلنيش؟

لا يهمني اسمك .. لا يهمني عنـوانك

لا يهمني لونك و لا بلادك .. مـكانك

يهمني الإنسان .. و لو مالـوش عـنوان

ياناس يا مكبوتة .. هية دى الحـدوتة

حدوتة مصـرية .. حدوتة مصـرية

كلمات: عبدالرحيم منصور



إهداء

إلى من كانت تحب بغير مقابل،وكان الخير يربو على كفيها كالسنابل، إلى أمي، إلى الجميلة التي أهدتني المجلة الملونة الأولى والكتاب الأول، وقرأت لي قصيدة الشعر الأولى، إلى الحنون التي جسدت لعيني أسمى معاني الحياة، الحب .. التضحية .. العزيمة .. الجلد .. العفو .. الرحمة، فلتكن رحمة الرحمن عليك يا أمي، قدر ما كنت على أبنائك رحمة وسكينة .. آمين.

د/ إياد حرفوش

مقدمـــــة

هل تفتقد مصر التي عرفتها طفلا و صبيا؟

هل تشتاق لرائحة الياسمين تهب من حدائق البيوت العتيقة في الشوارع الفرعية الهادئة؟ ورائحة الخبز الساخن من الأفران القديمة؟ ورائحة أرض القرية الطينية بعدما ترتشف المطر؟ ورائحة البخور في المساجد العريقة، ورائحة العطارة في الأزقة الضيقة؟ عبق التاريخ والأحداث في الجدران القديمة الرطبة؟ وعبق المسك من عباءات الجوخ؟ ورائحة ثمار المانجو الطازجة؟ كل هذا الأريج يا صديقي مجتمعا، يمكنك أن تسميه .. رائحة مصر

هل تحب طعم الشاي بالنعناع الطازج مصنوعا على راكية نار على رأس حقل أخضر؟ وطعم الذرة النيلية مشوية على الحطب؟ ومذاق ماء الزهر من أيدي الدراويش؟ ومذاق البطاطا المشوية على بحر الإسكندرية في الشتاء؟ وطعم رغيف الخبز البلدي الساخن، مغموسا في القشدة الطازجة وعسل المواحل؟ كل هذا يا صديقي يمكنك أن تسميه.. طعم مصر

هل تحب أذان الفجر؟ وسورة مريم بصوت الشيخ "رفعت"؟ ومولاي إني ببابك بصوت "النقشبندي"؟ هل تهزك مسحة الشجن في صوت "فايزة أحمد"؟ ورنة الدلع في صوت "شادية"؟ وهدير النهر في صوت "أم كلثوم"؟ وتربيت صوت "نجاة" الصغيرة على كتفك

يهدهدك؟ هل تشتاق وطنيات "حليم"؟ ومواويل "قنديل"؟ وبدايات "محمد منير"؟ فأنت يا صديقي .. تحب صوت مصر

لو كانت إجابتك على كل ما سبق بنعم، فغالبا .. ستقرأ هذا الكتاب لآخره، لأنه كتاب يسأل أين ذهب كل هذا؟ وكيف نستعيده؟ أو نرحل إليه حيث كان! كتاب يسأل أين اختفت مصر؟

هناك صنف مُتعِب ومتعَب من البشر، يعتاد منذ طفولته أن يسأل كثيرا فيما لا يعنيه، يريد أن يفهم كل شيء في الكون من حوله، فينشأ و أكثر الكلمات ترددا في رأسه هي كيف؟ ومن؟ ومتى؟ ولماذا؟ لهذا يبقى جهاز دماغه في أزيز متصل ليل نهار، فإذا أوى للفراش كان كثير الأحلام، تتراقص أمام عينيه نائما نفس الأسئلة التي كانت تأز برأسه صاحياً، فلا حل لمثل هذا الصنف إلا أن يعرف ليهدأ، وما أن يهدأ حتى تطرح رأسه سنابلا جديدة من الأسئلة تطلب إجابات، وهكذا، فهذا الصنف من البشر هو الموجوعة دماغه مادام حيا، فلا الأسئلة ستنتهي، ولا هو سيهدأ دونها! هذا قدره، ولكل صنف من صنوف البشر قدر، ووجع الدماغ أخف من غيره من الأقدار، فلله الحمد والمنة.

وكتابي بين يديك، هو حصاد وجع دماغي في أربعة أعوام، فهو مجموعة دراسات ومقالات ونصوص كتبت في الفترة الممتدة ما بين نهايات ٢٠٠٤ ونهايات ٢٠٠٨م، متفاعلة في مجملها مع همومنا المؤقتة أو المؤبدة، متنوعة ومتباينة بتنوع وتباين هذه الهموم، فمنها ما يتناول

ظواهرنا الاجتماعية، ومنها ما يتعامل مع فكرنا الديني، ومنها ما يتعرض لقضايانا السياسية والاقتصادية، منها ما يحكي قصصا من ماضينا ومنها ما يسبر أغوار حاضرنا، ثم منها بعد ذلك ما وجدنا العامية المصرية أنسب لطبيعته، ومنها ما لم تصلح له إلا الفصحى. لكنها وإن بدت متشعبة متباينة، يربطها نسق فكري عام يكاد يكون واحدا.

فلعل الناظر المدقق لمجمل تاريخ مصر المعاصر، يمكنه أن يرى منحنى حضاريا صاعدا، يمتد ما بين ١٨٢٦ و ١٩٧٣م، يعقبه منحنى هابط بدأ عام ١٩٧٤م ومازال مستمرا حتى اليوم في تقديري، أما المنحنى الصاعد، فبدأ مع البعثات الكبرى لأوروبا خلال حكم "محمد علي"، كجزء من مشروعه الحضاري الطامح لتطوير مصر، واستمر صاعدا وإن شابته فترات تعثر أو توقف كما حدث خلال حكم "عباس" الأول ما بين ١٨٤٨-١٨٥٤م، وكان المعول الأساسي في هذا المنحنى الحضاري هو أبناء مصر، ممن هالهم الفارق الشاسع بين ما في بلادهم من مظاهر التخلف والتدني وما رأوه في أوروبا من معالم التطور والمدنية، ثم قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ لتكسب المشروع الحضاري المصري أبعادا جديدة، كان أهمها الالتزام بمصالح الجماهير من الطبقات الكادحة والمتوسطة، فضلا عن الاهتمام بالصالح العام للشعب بكامل طبقاته وفئاته، فزادت سرعة المنحنى الحضاري الصاعد بزخم المدنية والحداثة مع الثورة وقائدها الشاب، الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر"، ثم فترت حرارة المسيرة مع هزيمة ١٩٦٧م لتوجه طاقات البلد

نحو المجهود الحربي، وامتد الفتور حتى تحقق النصر عام ١٩٧٣م، وبرغم الفتور كانت هذه السنوات الستة في مجملها وما تحقق فيها من بطولات الاستنزاف والعبور هي التاج الذي كلل جبين مصر، كحصاد شرعي لفترة النهضة الحضارية الممتدة قبله، لكننا بكل الأسف بدأنا في تغيير اتجاهاتنا بداية من عام ١٩٧٤م، لنتبنى منهجا أثبتت تجربتنا معه في خمسة وثلاثين عاماً أنه لا يناسبنا، هو المنهج البترو-أمريكي، القائم على الثقافة الأمريكية ونمط الحياة الاستهلاكي في المقام الأول، وعلى إطلاق يد تيارات الأصولية الإسلامية في المقام الثاني، لتمهد الأرض لهذا النمط وتحارب نيابة عنه، بعد أن أثبتت كفاءة عالية في مهمتها التمهيدية تلك خلال تجربة الخليج العربي، التي بدأتها بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ثم أورثتها الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا هو الخط العام الذي يلملم وجع دماغي من الشرق والغرب، فينظمه في عقد واحد، لعله عقد من الفرص الضائعة في مصر المعاصرة، فسواء كان موضوعي عن منظومة قيم غيرت، أو عن ثوابت سياسية عامت، أو توجه اقتصادي ارتد على عقبيه، أو حتى عن فهم للدين تم تسطيحه وتدجينه ليناسب كل ما سبق، فأنا في كل الأحوال أكتب عني و عنك، وعما أحببناه في مصر ثم فقدناه خلال الهبوط الاضطراري للمنحنى الحضاري.

في كتابنا سنتناول بالنقد التحليلي أحيانا وبالسخرية حينا بعض أعراض وملامح الخلل الذي انتابنا فكريا وحضاريا، بعد خمسة

وثلاثين عاما من الهبوط، وقد ترتفع حدة النقد أو تنخفض، وفقا لحدة الظاهرة التي نعالجها، لهذا فقد تجد عزيزي القاريء موضوعاً أو أكثر، يخالف منظومة فكرية أو نمطا معرفياً تعودت عليه واستسغته، فلو حدث هذا، فرجائي إليك أن تتعامل مع أطروحتي بشيء من رحابة الصدر، وبقلب مفتوح؛ وقابل للاقتناع لو قدمت له الأدلة الكافية على رأي آخر، فطريق التعددية الفكرية الذي يبدأه الشرق العربي اليوم، بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، طريق طويل ما زلنا بأول مراحله، ولن نمضي فيه قدماً بغير قبول الفكر والفكر المغاير

شكرا قارئي العزيز لأنك أتحت لي فرصة للتواصل معك، وشكرا لدار **اكتب** للنشر والتوزيع لأنها جعلت هذا التواصل ممكنا

د/ إياد حرفوش

القاهرة في ربيع ٢٠٠٨

حواديت المجتمع و الناس





حكايات ألطف الكائنات

أشكال و ألوان من بنات بلدي

بمناسبة الهجوم الشرس والسخونية ع الرجالة اللي ماشية في البلد اليومين دول، وتقطيع فروتهم في الجرايد والمدونات البناتي ع الإنترنت، تحت شعار: البلد ماعادش فيها رجالة، وده طبعا نتيجة لإحجام الشباب عن الجواز تحت شعار: ليه تدفع أكتر لما ممكن تدفع أقل؟ وبرغم عدم إنكاري لوجود نماذج سيئة بوفرة بين رجالنا النهاردة، إلا إني حبيت أفتكر مع السيدات والآنسات الغاضبات بعض النماذج المشوهة على الجانب الآخر، جانب نون النسوة، علشان كلنا نفهم إن زي ما فيه أشباه رجال فيه كمان أنصاف وأرباع ستات، وإنها مشكلة مجتمع وقصور في بناء الشخصية المصرية عامة، مش مشكلة رجالة بس أو ستات بس.

ولما فكرت وبصيت حوالية في الشارع والنادي، في الشغل والكافيه، لقيت صندوق الدنيا، وفيه عجايب وغرايب حريمي لا تقل تشوها عن الرجالة النص كم اللي بيحكوا عليهم، بالعكس، أنواع الرجالة التعبانين محدودة في كام صنف، أشهرها تلات ماركات: الندل والبخيل ونتوس عين ماما! أما أنواع الستات المضروبة فمن غير عدد، تعالوا نشغل صندوق الدنيا ونشوف مع بعض، واتفرج يا سلام..

المفروض إن الجواز وسيلة مشروعة علشان راجل وست يرتبطوا ببعض، لأنهم شايفين إنهم ممكن يعيشوا أسعد مع بعض، صح؟

لأ مابقاش صح، الجواز بالنسبة لست البنات بقى عبارة عن هاجس واكل دماغها من وهي في كي جي، وده مش ذنبها، ده ذنبنا كلنا، لإننا مجتمع عايش حرية المرأة ظاهريا، لكن وجدانه وعقله الجمعي مازال ذكوري تماماً، نسأل الطفل الصغير: عاوز تطلع مهندس ولا ظابط يا حبيبي؟ أما أخته البنت فنقولها: وإنت يا عروستنا هاتتجوزي مين، ابن خالتك ولا ابن عمك؟ كأن الجواز هو مستقبلها والانجاز الوحيد المنتظر منها والمعادل لنجاح الولد في دراسته! كأنها هي مادخلتش مدرسة!

وياريت لحد كده وبس، من حق أي واحدة تقرب لسابع جار في الشارع تسأل البنت: هنسمع أخبار حلوة إمتى؟ سؤال متكرر من سن تمانتاشر سنة نازل على ودانها، زي ما يكون جوازها شأن دولي، وبعدين ربنا يكرمها وتتخطب، وفيه بنات كتير بتوافق على عريس نص مناسب وتتخطب علشان تخلص من السؤال السخيف ده، وأول ما تتخطب وتلبس الدبل السؤال يتحول إلى: هتكتبوا إمتى؟ وبعدين تكتب الكتاب وتعلى الجواب، فتتسأل: ها، نويتوا تدخلوا إمتى؟ وبعد الدخلة يبدأ السؤال الرخم التالي: مافيش حاجة جاية في السكة؟ وفيه الأرخم اللي يعلق على الإجابة بالنفي ويقول: مش تشدوا حيلكم

كده؟ ثم يشدوا حيلهم وتحمل وتولد، ومفيش سنة راحة إلا ويبدأ السؤال الرخم الأخير: مش هتجيبوله أخ ولا أخت يونسوه؟

يا ساتر! ناقص يعملوا مراقبة دولية على أوضة النوم! هي دي بقى العواطف الشرقية الدافية اللي بيقولوا عليها؟ يا أخي بناقص الدفا اللي يخنق ده! دفا يخلي الواحد يطلع من هدومه من تدخل الحبايب المهتمين في أخص خصوصياته! الاهتمام اللي المجتمع بيديه للجواز كحدث بصفة عامة، وتحويله من مناسبة شخصية بيرتبط فيها إنسان وإنسانة بالتزامات معينة إلى طقس اجتماعي هو أساس المشكلة.

مش مفروض نستغرب لما نلاقي بنات هايمين في الحياة بحثا عن ابن الحلال، ممكن البنت تكون في وظيفة مرموقة، وممكن تكون موهوبة، أو شخصية قيادية، أو .. أو ..، لكنها دايماً عينيها على الضل، ضل الحيطة اللي هايضلل على حضرتها ويحميها من الارهاق الاجتماعي بنظرات التساؤل ونظرات العطف ومصمصة الشفايف، وبالتالي تتعامل مع الراجل كعريس محتمل مش كبني آدم، كمجموعة معطيات مش كشخصية، علشان كده بتقيمه أول ماتشوفه زي البياع الشاطر ما يقيم الزبون، وتلقط في لمح البصر كل التفاصيل الدالة على القدرة المادية، ساعته، جزمته، الكرافت، دبوس البدلة .. الخ، لأنها عاوزة عريس، يعني عميل محتمل، والعميل بلغة البيزنس لازم تتوفر عنده القدرة الشرائية والرغبة في الشراء، فالعروسة زي كل بياع ذكي، تطمئن على القدرة الشرائية الأول، وبعدين تتفرغ لتحريك الرغبة عنده على رواقة.

المشكلة إن إحساس الراجل بأنه غير مرغوب فيه لذاته، لكن علشان مستكمل لصفات ابن الحلال، هو أكتر حاجة ممكن تنفره من واحدة ست، بيحس إنها عايزة توقيعه ع القسيمة ورقم بطاقته مش عاوزاه هو، علشان الجواز عندها أصلا مش وسيلة ارتباط براجل بتحبه، ده بقى هدف بذاته، علشان كده حتى لو اتجوزها هيفضل طول عمره شايف إنها خدته كوبري للوصول للقب زوجة وتكوين بيت وولاد، يعني حضرته مجرد ذكر نحل!

فُرجة بأمانة .. ع الحلوة الولهانة

الستات بيقولوا مفيش راجل رومانسي، ومدونة صديقة ضربت مثل بشاب لطيف اشترى هدية عيد الحب على ذوق البياعة في محل الهدايا، وقعد يكلم حبيبته على الموبايل قدام البياعة عن المفاجأة اللي لف البلد علشان يختارها على ذوقها الجميل، مش هاختلف في إن شراء الهدايا والشوبنج عموما تقيل على قلب أغلب الرجالة، لكن في نفس الوقت الهدية لما تتقدم للراجل مابتسعدوش زي الست، ممكن كلمة منها تخليه طاير من الفرح أكتر من ألف هدية، الموضوع ببساطة اختلاف بين الراجل والست في تقييم الأمور والحكم عليها، الست بتقدر المحسوسات أكتر، هدية، إمضاء على قسيمة جواز، طفل، شقة، خاتم، مش لأنها مادية أو داخلة على طمع، لكن لأنها عملية بحكم تكوينها العقلي، والمحسوسات دليل عملي على الحب والتقدير، فهي ماتقدرش تعيش تجربة حب غير كده! الراجل طبيعته مختلفة، بيحس

المعنويات والكلمات أكتر من الماديات، وممكن يفضل يحب واحدة حتى بعد ما تتجوز ولآخر يوم في عمره، لأنه خيالي أكتر من الست

طيب، فيه دليل على الكلام ده؟

أبحاث علم النفس مختلفة في موضوع مين رومانسي ومين عملي ده، لكن مؤخراً أغلب الأبحاث النفسية بتقول إن الراجل أكتر رومانسية وقدرة على التجريد من المرأة، وده نتيجة لإعادة تعريف الرومانسية نفسها والخروج بمعناها برة الإطار التقليدي بتاع الكلام الحلو والشمع والورد والهدايا

الكاتبة الأمريكية "ليل لوندس" في كتابها الأخير عرضت مجموعة أبحاث جديدة قام بيها باحثين اجتماعيين ونفسيين من جامعة هارفارد، والنتايج كانت طريفة جداً، أولها إن الراجل بيحب أسرع من الست، ٢٠% من الرجالة بيحبوا قبل اللقاء الرابع، و ٣٠% منهم بس اللي بيوصلوا اللقاء العشرين من غير ما كيوبيد يرمي سهامه! كمان أثبتوا إن الراجل مثالي أكتر في الحب، وبيميل لتجاهل الواقع والعوائق الموجودة فيه، سواء كان العائق مادي أو اجتماعي أو غيره، لكن الست عملية جدا وبتحسبها كويس، الأظرف إنهم تتبعوا ٢٣١ حالة حب في ولاية بوسطن، ولقوا إن الانفصال بيكون بطلب الست في ٦٤% من الحالات! وإن الرجالة بيتأثروا أكتر من الانفصال وبيتأقلموا معاه أصعب! بس الراجل بيبقى أقل هستيرية من الست في التعبير عن احباطه العاطفي .

وكمان فيه أدلة كتير من حياتنا، تميز الست في الفنون التنفيذية زي الغنا والتمثيل والديكور، والراجل بالعكس، متميز في الفنون التجريدية

زي الشعر والتلحين والرسم التعبيري، أما أظرف دليل فهو التاريخ الحقيقي لعشاق الأساطير، اللي يزور بيت "جولييتا" في مدينة فيرونا في إيطاليا، ويشوف البلكونة الشهيرة اللي حكى عنها "شكسبير" في مسرحيته، هيسمع تراث شفوي متضارب عن "روميو" وحبيبته "جولييتا"، لكن القصة الأشهر هي إن "روميو" الأهبل مانتحرش، لكن فضل عايش لذكرى الحب بعد ما "جولييتا" الواقعية ربنا كرمها بذكر نحل مناسب وخلفت ولاد وبنات وعاشت في تبات ونبات! وزيهم "قيس" و"ليلى" أشهر عشاق العرب، فبينما الآنسة "ليلى" العامرية اتلمت على ابن الحلال وكبرت مخها من موضوع الحب والشعر ده، أخونا "قيس بن الملوح" مخه ضرب وبقى مجنون الهانم!



بلكونة "جولييت" الشهيرة في مدينة "فيرونا" الإيطالية

الفروق دي لا هي عيب في الست ولا ميزة عند الراجل، ده إعداد لكل واحد فيهم علشان يكمل التاني، يعني رومانسية الراجل مش أرقى

من واقعية الست ولا العكس، لكن متهيألي نبطل حكاية الراجل مش عاطفي بما يكفي دي يا بنات؟ مش لازم يكون حنين لدرجة التلزيق وعاطفي لدرجة السهوكة علشان يعجب، ولا إيه؟

فُرجة المجنون .. على ما يطلبه المستمعون



الحجاب على طريقة ما يطلبه المستمعون

مشهد مألوف جداً في أي مكان دلوقت، واحدة نصها الفوقاني الأم "تيريزا" ونصها التحتاني "شاكيرا"، طيب إيه السبب؟ مش المفروض المظهر يعبر عن شخصية البنت؟ ولا الشخصية كمان بقت مستويين زي الشقق؟

أفتكر السبب إن هي لا عايزة ده ولا ده، لا متمسكة بالحجاب لعقيدة دينية وإلا كان بان ع الباقي، ولا حريصة على إظهار جمالها الأنثوي، هي عايزة راجل والسلام، ولسان حالها بيقول لكل عريس

مرتقب: **عاجبك النص اللي فوق نغطيلك اللي تحت، عاجبك اللي تحت نقلع اللي فوق**، يعني المهم مش إن لبسها يعبر عنها، المهم إنه يجيبلها ابن الحلال اللي يمضي على القسيمة!

مرة واحد صاحبنا كان قاعد مع عروسة محتملة، واتفتح موضوع له علاقة بالدين فقال رأيه وطبعا استشهد بآيات وأحاديث، المهم حديث الروح ده طول منه شوية، تاني مقابلة دخل العريس الهمام مكان اللقاء فوجد "مريم" البتول في انتظاره، جاتله لابسة حجاب ومن غير ميك-أب، ولما رفعت ايدها تسلم عليه، لقاها لابسة جوانتي! وأول ما قعد قدامها وهو بيبصلها باستغراب، ابتسمت وبصت في الأرض وهي بتقول: كلامك غير حاجات كتير قوي جوايا، فقررت أتحجب وكمان باصلي بانتظام من يومها! طبعا كانت هاتتجنن لما صاحبنا وقع من الضحك وبعدين قالها: جميل، الحجاب شيء جميل وواجب ديني، بس الحقيقة أنا تصوري لمراتي انها هتكون مش محجبة، والصلاة طبعا مهمة، بس من الأمانة إني أقولك إني مش منتظم في الصلاة، بس بحاول، وبعدين كلامي أثر فيكي ازاي؟ أنا لا كلمتك عن حجاب ولا عن صلاة؟

البنت معذورة لإنها متعرفش إن الكلام ممكن يكون حاجة والفعل حاجة تانية خالص، إزدواجية الراجل الشهيرة، وبعدين مش كل واحد قال كلمتين في الفيزياء يبقى "أحمد زويل"، ولا كل واحد قال كلمتين في الدين يبقى "ابن رشد"!

واحد تاني كان مطلق وبيقابل عروسة، سألته عن أسباب طلاقه، فقال الأسباب وكان من ضمنها إن زوجته السابقة خجولة ومش عاطفية بما يكفي، هو قال كده وعينك ماتشوف إلا النور، بقى محور كل كلامها وحركاتها وضحكها حاجة واحدة، عاوزة تثبت إنها مختلفة ومفيش في وشها نقطة دم، ولسان حالها بيقول: **أنا حاجة تانية خالص، ده أنا سافلة قلبا و قالبا!** لدرجة أن صاحبنا شعر بالحرج فقفل الليلة وقام و لم يعد طبعا!

إيه المشترك بين البنتين في الموقفين دول؟ إن الاتنين بيقدموا ما يطلبه المستمعون، ما يطلبه سوق الجواز، دين ماشي، حجاب شغال، قباحة قشطة عادي، واللي أنت عاوزه بس في عرضك تعالى اخطبني أحسن الجيران كلت وشي، هو ده الموضوع، وعلشان كده شخصيات بناتنا بقت زي برامج المنوعات، شخصيات "فخفخينا" زي ما كانوا بيقولوا على سلاطة الفواكه في محلات العصير الشعبية!

فُرجــة جريئة .. ع الأمورة البريئة

سواء كان عمرها خمستاشر أو خمسة وخمسين، تتميز بنت بلدي بإن كل حب عندها أول حب، ماشية على قاعدة **الحب يجُب ما قبله،** وعلى قد ما شبابنا غاويين يألفوا قصص غرامية ماحصلتش، بناتنا بقى غاويين إنكار على طول الخط، كل حب أول حب، كل بوسة أول بوسة، تلاقيها قاعدة جنب حبيب الغفلة وبتبصله بإمعان شديد،

وراسها مايلة على جنب وآيلة للسقوط وهي بتتأمل معاني الرجولة العظيمة اللي بتشع من وشه، وتسمعها بتقوله: **أنا عمري ما حبيت قبلك، وعمري ما حسيت براجل قبلك،** ممكن تكون متجوزة قبل كده مرتين تلاتة غير العرفي، ومع ذلك عمرها ما حست براجل قبله، على أساس إن البلد مافيهاش راجل غير بسلامته، المشكلة إن الاهبل بيصدق وتلاقيه قايم من القعدة منفوش، وبيبص على الناس بكبرياء، وعينيه بتقول: **آه يا بلد مافيكيش راجل غيري!!**

وطبعاً أول بوسة بتدوخها ومتقدرش تصلب طولها وتحتاج تتسند، يا أخي مع إن البوس مش مخدر والتدفق الهرموني المصاحب للبوسة مفروض علمياً إنه يفوق مش يدوخ، لكن لازم الدور ده علشان العريس يقتنع إنه اداها جرعة زيادة من رجولته الدافقة فعملت دماغ بوس! البنت معذورة يا جماعة، دي أول مرة .. أول مرة بعد الألف!

وتاج العفة ده مش بس في الأفعال، البنت يا عيني معلوماتها دايما سطحية وبسيطة عن .. الحاجات دي .. والمقصود بالحاجات دي في لغة الكتاكيت هو كل ما يمت للعلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة بصلة، ماتعرفش حاجة عنها ولا تعرف يعني ايه حميمة أصلا، ولحد أول امبارح كانت فاكره إن المأذون لما بيكتب الكتاب وبعدها العريس والعروسة يبوسوا بعض يخلفوا على طول، ولما يتأخروا في الخلفة يدوروا يمكن المأذون كتب حرف غلط ولا حاجة، بريئة يا ناس .. بريئة البنت موت!

بس الحقيقة إن المشكلة دي أساسها من دماغ الرجالة، وحالة البنات مجرد انعكاس في المراية لتفكير الراجل، فيه بحث عن عدم رغبة الرجل المصري في الزواج من المطلقات والأرامل، طلع السبب الأول اجتماعي زي رفض الأهل وخلافه، وده مفهوم ومتوقع، السبب التاني كان هو المفاجأة، الرجل خايف من المقارنة بينه وبين الزوج السابق في العلاقة الحميمة، وأساس الخوف ده مش إن رجالتنا مضروبين ولا تايواني لا سمح الله، لكن أساسه الفشر، كل يوم واحد على القهوة يديها وصلة فشر عن قدراته الفظيعة، وكل اللي حواليه يقوموا قلقانين على نفسهم، والنتيجة إن كل واحد عاوز يتجوز واحدة زيرو خبرات جنسية أحسن المقارنة بالزوج السابق تطلع حضرته فرز تاني!

وللبريئة الأولى ولوحش الورق التاني أقول: يا بريئة هانم المعرفة والثقافة الجنسية المحترمة النهاردة بقت ميسرة بدون انحراف، ومن قنوات محترمة، يعني معرفتك بيها لا تسيء إليكِ أبداً، يمكن العكس، الجهل التام ده مالوش غير تفسير من اتنين، إما إنك عايشة خارج الزمن أو إنك متصنعة ومفتعلة وده غالبا بيكون لإخفاء مشكلة، أما لو ليكي تجارب فلازم تفهمي إن الكدب مالوش رجلين، وزي ما المثل بيقول: اللي يزمر مايخبيش دقنه! خليكي صريحة وواثقة في نفسك، لإن التجربة لا تعيبك طالما هتكوني صريحة، واللي مش عاجبه الصدق قلته أحسن، الإنسانة مش علبة بيبسي، لازم تبقى متبرشمة ومحدش شرب منها، الإنسان أكرم من أنه يكون فيه مستعمل وزيرو، وكونك حبيتي قبل كده لا يقلل من قدرك عند أي رجل حقيقي

وإنت يا وحش الورق. الرجولة مش بيبسي صاروخ يعني إنتعاش أكتر، الرجولة قدرة على الحنان والاحتواء والحب، والجنس حوار ذكي بين جسدين مش خناقة! وطالما صحتك العامة بخير وسنك مناسب لسنها فكن واثق من إنك طبيعي تماما

فُرجة العصرية .. ع المسكينة الضحية

إيه معنى إن اتنين مرتبطين عاطفياً؟ أظن معناها المنطقي إن اتنين بالغين راشدين أحرار، شعروا بنوع من الانجذاب ناحية بعض، ثم تحركت مشاعرهم وبالتالي ارتبطوا ببعض، والارتباط ده زيه زي أي علاقة إنسانية ممكن ينجح ويستمر أو يفشل وينتهي، لو نجح واستمر وقلب بتبات ونبات وصبيان وبنات يبقى خير وبركة، ولو فشل أو انتهى، عادة بيكون ده لواحد أو أكتر من أربع أسباب:

- واحد من الطرفين حس إنه مع عمق العلاقة وجد الطرف التاني مش مناسب ليه، فقرر ينسحب

- الطرفين لقوا إنهم مش قادرين على الاستمرار فقعدوا مع بعض بتحضر وختموها بكلمة it was nice loving you، ولو إن الطريقة دي نادرة جداً حسب سلو بلدنا

- طرف خارجي زي الأهل أو عريس جديد أو حب جديد تدخل بمغريات أو ترهيبات لإنهاء العلاقة

- الطرفين كانوا مناسبين لكن الظروف كانت غير مناسبة، زي اختلاف خطط المستقبل أو اختلاف مكان معيشتهم أو أي ظروف تانية

الأسباب دي من وجهة نظر المسكينة الضحية دائما مختلفة خالص، لو اكتشفت إنه مش عاجبها في أي وقت ولأي سبب، تلاقيها فجأة وبعد ما كانت أول امبارح شايفة إن ربنا خد الرجولة من الناس كلها وحطها فيه، اكتشفت انه جبان وبخيل وبيئة ومالوش شخصية، أحياناً كمان تقول إنه ... مفهوم طبعاً؟ ما هو المثل بيقول: يا رايح كتر من الفضايح، أما لو هو اللي قرر ينسحب لأي سبب فده طبعاً خلاص بقى ندل رسمي، وتبقى نفسها تنزل نشرة باسمه في أقسام البوليس، وإديها عياط لبعد بعد بكرة وفيلم الولاعة وعود الكبريت المعروف، أما لو طرف خارجي لوح لها بدبلة خطوبة، برده بيطلع الأمور بتاعها هو اللي غلطان، وتلاقيها بتقول: **أعمله إيه، ما هو مش بيتحرك وأنا الضغوط عليه بقت فظيعة .. فظيعة!** حتى لو كان طالب في تانية حقوق وهي عارفة من الأول إنه قدامه خمستاشر سنة على مايقدر يجيب دبلة، برضه بتلومه إنه مش بيتحرك! طب يتحرك يروح فين؟ يجري في مكانه؟ ولو برضو الظروف ماسمحتش اللوم من نصيب الأفندي، لأنه بيبقى مطلوب منه يا إما يغير ظروفه تماماً علشان تتفصل على ظروفها، يا إما يبقى إنسان ضعيف وغير قادر على تحمل المسؤولية، صح؟ مش ده اللي بيحصل؟

واقع الأمر إن الراجل والست الاتنين لما بيحبوا بعض، بيبقوا سعدا بالإحساس ده، ولو حصلت بينهم أي علاقة بأي درجة برده بتكون بقرار مشترك وببهجة مشتركة، فانتهاء العلاقة لا يعني إن فيه طرف ضحك على التاني، الحكاية مش مشروع عمل، دي مشاعر، والمفروض اللوم والتأنيب يكونوا في حالات معينة زي حالات التضليل والكذب والوعود الفارغة، غير كده يبقى لا فيه جاني ولا مجني عليه،

والأحسن ان الاتنين يحتفظوا بذكرى لطيفة وتقدير واحترام لبعض، وبس.

فُرجـــة الفاضي .. على الحلوة القاضي

قاضي متجهم مش قاضي دمه خفيف زي قاضي البلاج، صحيح هواية القضاء دي مش قاصرة ع البنات والستات، لكن زيادة عندهم عن الرجالة حبتين، نبدأ مثلاً بالحكم على مظهر الناس، مفيش واحدة تقعد في مكان إلا وتعمل نفسها قاضي ع الستات والبنات في المكان، وكل واحدة حسب مظهرها هي شخصياً، فلو كانت محجبة ولابسة طويل، هاتنقي أي واحدة لابسة ميدي وتقول: و ده إيه ده بقى اللي لا محصل ولا موصل ده؟ أما لو كانت لابسة ميدي هي شخصياً فأكيد هاتختار واحدة لابسة ع الركبة وتعلق: يعني هي جت ع الشبر ده؟ ماتلبس ميني وتخلصنا؟ وهكذا، حتى لو لابسة ميكرو، هاتنقي واحدة لابسة ميدي وتعلق: بيئة موت، فيه حد يلبس كده بالليل؟

وطبعاً حدود العلاقة بالجنس الآخر بتبقى برضو موضع تحقيق قضائي، كل واحدة حاطة لنفسها حد لا تتجاوزه وبتسب وتلعن في اللي تعديه، اللي مش بتكلم زمايلها في الجامعة تبص للبنت الاجتماعية الطبيعية على إنها سافرة ومتبرجة وبتخضع بالقول .. لأ.. دي مش "هند بنت عتبة" ولا حاجة، دي معانا برده في القرن الواحد والعشرين بس هي اللي ظروفها كده! واللي بتكلم زمايلها بس مش

بتحب تخرج معاهم تقولك: ما دام داخل الحرم الجامعي يبقى خلاص، تقولش الحرم النبوي! إيه علاقة المكان بحدود العلاقة أساساً طالما مكان عام ومحترم؟ واللي بتخرج تقول: مادام في جروب يبقى كويس، واللي مرتبطة بواحد زميلها تقول: مادام مافيش بيننا حاجة غلط يبقى خلاص، واللي فيه بينهم حاجات تقول: مادام بحبه ويحبني يبقى خلاص، واللي مش بتحب حد أصلاً وبتصاحب عشرة في وقت واحد تقولك: ليه يقولوا علي ..... هو أنا باخد فلوس؟ والله وحتى اللي بتاخد فلوس هتلاقيها بتقول: وماله؟ مش أحسن من البنات اللي مش ناقصهم حاجة وبيعملوا كده مزاج؟ على الأقل أنا محتاجة!

وهكذا، كله بيحكم على كله بشكل مباشر أو غير مباشر، من خلال اختراع حدود تفصيل، كل واحدة تحطها على كيف كيفها، وبعدين تقول إن اللي خارج الحدود دي غلط ووحشين و ياي خالص، طيب مين اللي اخترع الحدود دي أساساً؟ مش كل واحدة مع نفسها؟ يبقى عايزة تطبقها على الناس ليه؟

عموماً ، لكل الولاد والبنات، أفكرهم باللي قاله السيد المسيح عليه السلام، لو كل واحد فينا ركز في الخشبة اللي في عينه مش هيشوف القشة اللي في عين التاني، أستأذن منكم بقى أغسل عيني علشان فيها عشرين خشبة مولعينها نار!!

نموذج عدو المرأة كان منتشر في أوساط المثقفين وأنصاف المثقفين في وقت من الأوقات، أولاً لأنه وسيلة كويسة للشهرة، أي واحد يضرب بقين ماالهمش لازمة في حق الستات، تقوم شوية أقلام حريمي مشبشباله، مش واخدين بالهم إنهم بالشبشبة دي وصلوه لهدفه محمولاً على الأعناق، وثانياً موضوع الهجوم على الستات كان بيحط الكاتب المبتدئ في مصاف ناس كبار قوي، من "سقراط"، لجورج برنارد شو، للكبار المحليين زي "توفيق الحكيم" و"عباس العقاد"، فيخليه يحس إنه خليفة العمالقة دول في الهجوم ع المرأة، والسبب التالت إن كل اللي هاجموا المرأة حلموا بنادية لطفي اللي هتدخل عليهم من الشباك زي فيلم عدو المرأة، ونسيوا إنهم مافيهمش أي حاجة من المرحوم "رشدي أباظة"! واللي كانت كلمة "المرأة حشرة" من بقه تثير ابتسامات إعجاب على وشوش الستات بالذات، على طريقة هدلني يا معلم!



بوسترات دعائية للفيمنيزم، هل لدينا اضطهاد حقيقي و مقصود للمرأة في مصر أم أنها محدودية الثقافة و ما يتبعها من تسود الفكر الذكوري؟

كان طبيعي زي ما فيه عدو المرأة يبقى فيه عدوة الراجل، وأنا مانكرش اتفاقي مع منطق عدوات الرجال في أشياء، متفق معاهم في إننا مجتمع ذكوري مزدوج المعايير، ولا أعفي نفسي، ومتفق إن ثقافتنا العربية معادية للمرأة وبتعملها عملية تشيىء مهينة، وكمان متفق معاهم في عدم عدالة النظام الاجتماعي ومؤسسة الزواج، كل ده صح لكن إيه الحل؟

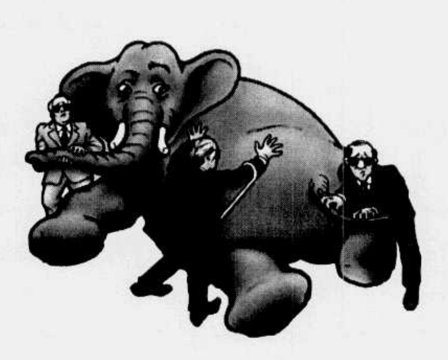
الحل في تقديري مش يا نساء العالم اتحدوا ولا ثورة نسائية على الرجالة، الحل لا يمكن يكون في عداء الرجل، الحل أبسط وأعمق، الست المصرية هتتحرر لو بطلت تحلم بضل الحيطة وبطلت تعيش من الطفولة وكأنها في مرحلة إعداد زوجة، واتحولت لإعداد إنسانة ناجحة، واتعلمت تمشي في حياتها وتمارسها كأنها بتبني مستقبلها لوحدها زي الراجل ما بيعمل، ساعتها بس هتتحرر، وكمان فستان الزفاف هييجي في معاده ويجري وراها، لأنها بقت إنسانة مكتملة النمو ذات كيان يُسعى إليه، وبعد الجواز هيكون لها الخيار، تحدد ايه اللي تحتفظ باستقلالها فيه، وايه اللي تدمجه مع الشريك الجديد؟

أما عداوة الرجل فمعناها إنها مسكونة بالرجل ومشغولة بيه لأبعد حد، والانشغال شكل من أشكال التبعية، بتجري هروباً منه بدل ماتجري عليه، وده مش استقلال، دي تبعية بالمقلوب، تشوف الراجل ماشي فين وتبعد عنه، الاستقلال الحقيقي إنها تمشي بغض النظر عن الراجل ماشي فين، تتقاطع طرقهم مافيش مانع، ماتتقاطعش مش مشكلة.

فيه اهتمامات كتير ممكن نهتم بيها كلنا رجالة وستات، زي مصير بلدنا ومستقبل الشرق الأوسط كله، وقضية الفقر اللي بيزيد على بعد خطوات منا وبيقرب علينا، وقضية الفتنة الطائفية اللي بتهدد حياتنا كلنا، كلنا في الهم شرق، وده وقت توحد مش وقت انقسام رجالة وستات، مش ناقصين انقسامات على نفسنا، ولا إيه؟

الفيل و العميان في المدونات

عندما نقع في مصيدة التعميم



حكاية الفيل والعميان، حكاية رمزية عن جماعة مكفوفين ولدوا محرومين من نعمة البصر، أتاهم حكيم قريتهم ذات يوم بفيل ضخم، وطلب منهم أن يتحسسوه ليخبروه ما هو الفيل وكيف يبدو، فأمسك الأول بخرطوم الفيل، وحين سأله الحكيم كيف بدا له أجاب: الفيل كائن أنبوبي أجوف وفي جسمه تجاعيد عميقة، وأمسك الثاني بأذن الفيل فقال: الفيل كائن لحمي رخو ومسطح في حجم طاولة صغيرة، وجاء دور الثالث وكان قد أمسك بساق الفيل، فقال: إنه اسطواني راسخ كالعمود، أما الأخير الذي أمسك بالذيل فقال: بل الفيل ينتمي لعائلة الحيات والثعابين، فهو رفيع دقيق، وهكذا وصف كل منهم الفيل

وفقاً للجزء الذي لمسته يداه من جسده، وبالطبع لم يكن وصف أي منهم صائباً، لأن الجزء ليس بالضرورة ممثلاً للكل، وهو ما يسمى في علم الإحصاء: **عينة غير ممثلة**، وفي الاحصاء شروط صارمة للعينة العشوائية كما وكيفا حتى تكون ممثلة للكل

تذكرت هذه القصة حين اكتشفت عالم المدونات عام ٢٠٠٧، فلسنوات كان استخدامي للإنترنت قاصراً على العمل والتواصل مع الأصدقاء المقيمين خارج القطر، فضلا عن بعض القراءات العامة، أثار هذا العالم الجديد اهتمامي، ففي عالم المدونات تجد مجتمعنا وقد تخلص من أسوأ عيوبه، النفاق الاجتماعي والكذب، ففيه ليس هناك ما يخشى من القيل والقال لأن أغلب المدونين لا يعلنون عن هويتهم، باستثناء بعض العناصر القليلة التي تظهر بشخصها

في المدونات وجدت شبابا مصريا يعبر عن نفسه بطلاقة في السياسة كما في الاجتماع، كما في الحب أو في العمل، وهذا أمر يستحق الإعجاب والاهتمام، خاصة لمن نشأ مثلي في عصر القهر الصحفي والجرائد القومية فقط لا غير! ويوم صدرت الدستور الأولى كان يوما لدينا مشهودا!

في المدونات وجدت الكثير من عناصر مثقفة كنت ظننتها على وجه الانقراض، وجدت مدونة رائعة لفتاة شديدة المصرية دخلت أنا عالم المدونات عن طريق مدونتها، تحلم بمكتبة صغيرة، تبيع فيها أرقى سلع الوجود، تبيع فيها غذاء العقل في كتاب، وتقضي يومها بين

القراءة والنقاش ومساعدة الغير في الوصول للغذاء المناسب لأرواحهم، فأي حلم جميل؟ أحياناً تستطيع أن تعرف الإنسان وتثق به من حلمه! ربما أكثر من سنوات من العشرة والتعامل اليومي! فحلم كل منا يتكون من خلاصة تفاعله مع الحياة

وعرفت المدون الباحث عن الحقيقة، مازجا بين شخصه وشخص "شي جيفارا" الخالد في اسم المستخدم، وعرفت شاعرا جميلا وإنسانا نقيا كحليب طازج، مرهف الحس والشعور، وعرفت صيدلانية تحاول أن توقد شمعة من التكافل الاجتماعي في ظلمات مستشفى جامعي، وحين ترهقها المحاولات تهرب بروحها لعالم جديد في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ورأيت في المدونين من يحاول أن يدافع عن دينه بذكاء، ومن يحاول الدفاع عن دينه أيضاً ولكن بمنتهى الغباء، وغير هذا كثير

لا يعيب المدونات في تقديري وجود بعض محدودي القدرات أو المبتدأين، فالفكرة في الويب لوج أو المدونات، هي أن يكتب المبتدأ والهاوي وليس المحترف، لكن يعيبها قليلا وجود بعض العابثين، ممن يخرجون عن حدود اللياقة المتعارف عليها عالميا في الكتابة المحترمة، أزعجني كذلك وجود بعض العناصر المعادية للأديان، ليس بالنقاش الهاديء ونقد الفكر الديني، ولكن في مقالات سطحية تسب الأديان وتكثر من البذاءات، وأزعجني بنفس القدر بعض مهاويس التطرف الديني من مسلمين ومسيحيين يتبادلون التهم والسباب، ويحسب كل منهم أنه بهذا يخدم دينه أو يحسن صنعاً! لكنني بقليل من مراجعة الذات، وجدت مثل هذه العناصر في كل شيء بحياتنا اليومية، من

العمل للحياة للنشاط الأدبي والفني، فمن الطبيعي جداً أن يكونوا في المدونات كذلك، ولعل نسبتهم في هذه المدونات الإلكترونية أقل بكثير من نسبتهم في الشارع

ثم لفت نظري أمر طريف، فاستدعى ابتسامة إلى وجهي، وجدت في كثير من مدونات الشباب نفثات من حقد مصبوب على رأس المرأة بصفة عامة حيناً، والمرأة المصرية في أغلب الأحيان، بالطبع كانت هذه النفثات نتيجة لدغات أنثوية علمت في قفا الحبيب الولهان، وعلى الصعيد المقابل وجدت في مدونات الفتيات والسيدات حمماً من الغضب، تنزل على رؤوس الرجل حيناً، والرجل الشرقي في أغلب الأحيان، الشرقي وليس المصري، ولا أعلم لماذا فضلت آنساتنا وسيداتنا هذا التوسع الإقليمي؟

قرأت لهؤلاء وهؤلاء مبتسماً، فأما ابتسامتي، فلأنهم ذكروني بحين من الدهر كنت أهبط فيه بالمرأة المصرية أسفل سافلين، بناء على بعض التجارب، وأعلو بغيرها إلى أعلى مكانة، بناء على ذلك الجزء من الفيل الذي لمسته يدي، ثم مرت الأيام، وحين أقرأ اليوم بعض ما كتبت في هذا شعراً أو نثراً، أضحك من ذلك الملدوع والمبهور والمسحور الذي كنته، ملدوع مقلب من مصرية، مبهور بجرمانية ومسحور بلبنانية

ما يحدث من الوجهة النفسية البحتة أننا نهرب، فعندما نفشل في علاقة عاطفية نهرب من مواجهة أنفسنا بأننا أخطأنا الاختيار، ونفضل أن نسحب خيبتنا على نساء ورجال شعب بأكمله، أو على الجنس الذي لدغنا برمته، ولسان حالنا يقول: ماذا نفعل؟ ما ذنبنا وكل النساء

في بلدنا بليدات شديدات الغباء ولا يفهمن الرجال؟ أو ما ذنبنا لو كانت البلد خلت من الرجال ولم يعد فيها غير العيال والأنذال؟ هروب يريحنا من مواجهة الفشل الشخصي بتعميمه فقط لا غير!

لو احتكمنا للعلم، سنعرف منه أن هناك صفات مشتركة بين الرجال، وصفات مشتركة بين النساء، وفقا للتكوين الفسيولوجي لكل منهما، كما أن هناك صفات مشتركة بين نساء ورجال مجتمع من المجتمعات نتيجة للاشتراك في عناصر كثيرة، الطبيعة والمناخ والتابوهات الاجتماعية والأديان السائدة، بل إن أبناء الإقليم الواحد داخل نفس القطر تجد بينهم العديد من الصفات المشتركة، ولكن هذه البيئة المحيطة لا تتحكم في تكوين الشخصية سوى بنسبة تتراوح من ٢٠ إلى ٤٠%، ويبقى النصيب الأوفر من تكوين شخصيتنا محكوما بالجينات الوراثية وبالبيئة الداخلية للفرد، كأسرته ومدرسته وأصدقائه

فالموضوع إذن فردي للغاية، وليست هناك يا صديقاتي العزيزات صفات مشتركة بين الرجال بما يكفي لأن نتخذ منهم موقفاً موحداً، سواء كان هذا الموقف صداقة أو عداء، وكذلك الأمر مع النساء، لا يمكن يا أصدقائي الرائعين أن نعمم عليهن صفاتاً ونحاسبهن جميعاً باعتبارها فيهن مسبقاً!

وأنا بهذه اللحظة من العمر بعد أن انقضى عهد الصبا وأغلب عهد الشباب، وبعدما عرفت أكثر وخبرت أكثر وفهمت أكثر، أجد أعظم ما قيل في المرأة قولٌ لا ينتمي لشاعر أو فيلسوف، ولكن للسيناريست

الرائع "وحيد حامد"، على لسان شخصية "بكري الصعيدي" في فيلم "الإنسان يعيش مرة واحدة"، وأذكر صوت الفنان "علي الشريف" رحمه الله وهو يقولها:

الستات يا ولدي زي الشمس، نحبها ساعات ونكرهها ساعات، لكن عمرنا ما نقدر نعيش من غيرها

هذه العبارة تقول كل شيء، فلا يوجد رجل سوي بدون امرأة ولا يحتاج لامرأة، ولا امرأة سوية بدون رجل ولا تحتاج لرجل، فلماذا نعمم إحباطاتنا؟ لماذا لا نتعلم من تجاربنا كيف نتوسم الرجل الصحيح أو المرأة الصحيحة؟ وأعني بالصحيح والصحيحة معناها النسبي عند كل منا، فليس هناك ابن حلال مناسب لجميع الفتيات ولا عروسة ألف من يتمناها تصلح لكل رجل، فعندما تذكر إحدى هاتين الجملتين لوصف شاب أو فتاة أمامي، لا يستدعي ذهني إلا صورة شخصية بلا مذاق، فلا يمكن أن يناسب أحد الجميع على طريقة "وان سايز" أو "يونيفرسال" إلا لو كان بلا شخصية!

علينا أن نبحث من جديد في كل مرة نفشل فيها يا شباب حتى نجد القطعة التي تتمم الصورة، فالرجل الغير ناضج والمرأة الغير ناضجة غالباً ما يكونان كقوالب الطوب الأحمر، قليل من الأسمنت يكفي للصق أحدهما بالآخر، لكنهما حين ينضجا، سيغير النضج من تركيبة وشكل مستقبلاتهما العاطفية والعقلية، فيصبح كل منهما كقطعة بازل تبحث عن القطعة التي تتممها لتكون صورة إنسانية معبرة، فالرجل نصف إنسان والمرأة نصف آخر، أما الإنسان الحقيقي فهو رجل وامرأة معاً

بيت العنكبوت

وأبوابه السبعة

شهد عام ٢٠٠٧ في مصر أكثر من ربع مليون حالة طلاق، منها أكثر من مائة ألف حالة طلاق خلال السنوات الأربعة الأولى للزواج[١]، و هذا الرقم بذاته صادم، فلو أضفنا إليه النصيب الوافر الذي حازته الطبقة الوسطى المثقفة منه والذي تجاوز نسبة ٢٤% من إجمالي الحالات، يصبح الرقم أكثر ايذانا بمشكلة اجتماعية متفاقمة، فهذه هي الطبقة المفترض فيها أنها مركز اتزان المجتمع، والمنتجة لقادته ورواده! في الوقت ذاته نشرت الجارديان البريطانية أن المملكة المتحدة شهدت خلال ٢٠٠٧ عدد ١٢٩,٠٠٠ حالة طلاق، فلو نسبنا عدد حالات الطلاق في البلدين لتعداد السكان لحصلنا على معدل طلاق بريطاني خام[٢] حوالي ٢,١% ومعدل طلاق مصري حوالي ٣,١%، أي بزيادة أكثر من ثلاثين بالمائة عن المملكة المتحدة!

وفوق هذا، لو كان في بريطانيا مائة وثلاثون ألف حالة طلاق فبإمكاننا أن نتوقع عددا مماثلا من حالات الزواج التعيسة والتي تستمر لسبب أو لآخر، فيكون الإجمالي ربع مليون حالة فشل، أما في مصر فلنا أن نتوقع حالات تعاسة زوجية وأسر آيلة للسقوط أربعة أضعاف حالات الطلاق، فتصبح المحصلة مليون أسرة، لأننا مازلنا أكثر تقبلا لحياة تعيسة ولمبدأ التضحية من أجل الأطفال.

---

[١] وفقا لما أعلنته جمعية المأذونين الشرعيين على لسان رئيسها في تصريحه للأخبار

[٢] معدل الطلاق الخام = عدد حالات الطلاق/ تعداد السكان في منتصف العام مضروبا في عشرة

فما هو الخلل الذي أصاب علاقة الرجل والمرأة في مجتمعنا بصفة عامة؟ ليعاني من ذلك الجميع، مطلقين ومطلقات، أزواج في حالة ترقب للانهيار، وفتيات في انتظار الزوج، وشباب عازف عن الزواج أو غير قادر عليه، ما الذي جرى لبيوتنا؟

أرى أن أسباب الفشل تتعقد وتتجذر في مصر لتصل إلى نشأتنا الأولى، ولا أعني بالفشل هنا الطلاق فقط، ولكن الفشل في بدأ علاقة مثمرة مع الجنس الآخر والحفاظ عليها، فتندرج تحت مسمى الفشل كل من حالات التعايش السلمي بين الأزواج لتربية الأطفال، وحالات الأسر الآيلة للانهيار في مرحلة ترقب وانتظار

ومع كامل احترامي للمنظمات المدنية التي أرجعت أسباب الطلاق لغرفة النوم في ٥١% من الحالات، فأنا أرى للفشل الزوجي في بلادنا سبعة أسباب، أو سبعة أبواب ينفذ منها للمجتمع ولوحدة بنائه الأولية، وليست هذه كل أسبابه، ولكنها الأهم في تقديري من حيث الانتشار العددي وعمق الآثار الناجمة عنها، فلنستطلع معا هذه الأبواب ونطرقها سوياً.

١- زواج قضاء الحاجة والخلل المنهجي في الاختيار

الزواج طريقة مشروعة ومقبولة اجتماعيا لارتباط رجل وامرأة يميل كلاهما للآخر ميلا يظنان معه أن بإمكانهما إقامة حياة سعيدة، إذن فهو وسيلة للارتباط والإنسان هو الغاية، وبنظرة إلى أحوالنا نجد أننا كعادتنا وضعنا عربة الزواج أمام حصان الإنسان، فجعلنا الزواج غاية

في ذاته، أما الزوج/الزوجة فهو وسيلة للوصول إلى الوضع متزوجة/متزوج، ولهذا الخلط في منطق الهدف والوسيلة تداعيات خطيرة، أولها قولبة المشاعر ومراحل العلاقة العاطفية وآخرها الفشل، فحين ينتهي الفتى أو الفتاة من مرحلة التعليم الجامعي في بلادنا، يبدأ المجتمع في تنبيهه بطرق مباشرة أو غير مباشرة لأنه في مرحلة استكمال الأهلية الاجتماعية بالزواج، فيبدأ الشاب في البحث عن عروسة وتبدأ الفتاة في التطلع للعريس، إذا لم تكن قد بدأت التطلع بالفعل منذ زمن بعيد، ثم يحدث الاختيار المؤسس على شروط ومواصفات متوارثة، وبعده يمر المقبلان على الزواج بتجربة تجريع، يزين لهما فيها كل المحيطين بهما من الأهل والأصدقاء الخطيب أو شريك الحياة المتاح، وهو عادة شريك مناسب من الناحية النظرية من حيث التوافق المادي والاجتماعي والمؤهل إلى آخره، ونسمي هذه الرؤية النظرية والتراثية لما هو مناسب وغير مناسب رؤية عقلانية، وهي تسمية ظالمة للعقل، فالعقل الإنساني تجريبي والثوابت النظرية تعاكس منهجه، وقد يقول قائل أن هذه الثوابت هي حصيلة تجارب الأجيال، فنرد عليه بأن العلاقات الإنسانية لا تحتمل القوالب ولا يمكننا فيها الاعتماد على حكمة التراث فقط، ونحن خلال عملية التجريع تلك لا نعطي أدنى اعتبار للتوافق الشخصي بين العروسين، ومع الإلحاح والتأثر بالإيحاء يتوهم الفتى أو الفتاة أنه متقبل لهذه العروس أو هذا العريس، ويعيش في هذا الوهم فلا يفيق ويكتشف الحقيقة إلا عندما تصهر الحرارة الناتجة

من احتكاك العشرة والتعامل اليومي هذا الوهم الذي صنعه التجريع والتبليع

أليس الأولى بنا كأهل أن نترك المقبل على الزواج يخوض تجربة اختبار الطرف الآخر بنفسه؟ فلا نشير إلا حين نستشار؟ ونمتنع عن التأثير على من هو عزيز لدينا حتى يتأكد بنفسه من مدى توافقه مع شريك الحياة المحتمل؟ فالأمر شراكة حياة يا وليس شراكة في رحلة سفر لمدة أسبوع! ولو نفع التجريع اليوم، فهل سنبقى طول العمر مستمرين فيه؟ أم سيأتي حين من الدهر يندفع ما جرعناه من جوف هذا العزيز جارفا معه عمراً طويلاً يضيع؟ ولكل فتى أقول: أنت تحتاج شريكة عمر وتجارب وحوار لا ينقطع وليس مربية ولا دادة ولا شريكة فراش، ولكل فتاة أقول: الدبلة من الرجل الخطأ قيد ومن الرجل المناسب حرز وحجاب مسحور، فتخيري لنفسك



هل تريدين الرجل أم الدبلة؟ هل تريد المرأة أم الدادة؟
أسئلة تحتاج إجابتها كثيرا من الصدق مع الذات، و تحدد مصير الزواج منذ اليوم الأول

٢- إهدار فترة الخطبة

الأصل في فترة الخطبة أنها فترة اختبار لتوافق العروسين أو مدى إمكانية تحقيق هذا التوافق، ثم هي بعد ذلك فترة إعداد تدريجي لهما للتعايش والتواصل معا، إعداد نفسي ومزاجي وعقلي وليس إعداد شقة أو فستان، فهل هذا هو حالنا؟ أم أننا حولناها لفترة تجهيز لا يفيق منها العروسان إلا بعد انتهاء شهر العسل؟ ينشغل كل منهما خلالها بالتزاماته، فينغمس العريس في تجهيز الشقة أو الأثاث، وتلتهي العروس في إعداد ثوب الزفاف وديكورات الفرح وبطاقات الدعوة، ويلتهي كل الأهل والأصحاب معهما في هذه الشواغل التي لن تقدم ولن تؤخر، وآخر شيء ينشغل به الجميع هو إجابة سؤال التوافق، هل هما متوافقان؟ هل يمكن أن تولد بينهما مشاعر عميقة؟ هل درجة انسجامهما تكفي لاستمرار الحياة في حالة تجانس؟ أسئلة عديدة يهملها الطرفان، فلو ظهر لأحدهما من الآخر ما يقلقه حول إمكانية التوافق، يأتي دور الأهل في إعطائه جرعة تنشيطية من التجريع، قائلين: إنه أمر بسيط .. بكرة لما يعاشرك هيفهمك وتفهميه .. كل حاجة بعد الجواز بتتغير .. الخ

وإصرارنا هذا نتيجة لتقديرنا الخاطيء منذ البداية، لأننا بمجرد الخطبة اعتبرنا الزواج خطوة تالية حتمية لها، فلا نرى خطيبين إلا ونسأل: إمتى هنفرح بيكم؟ لأننا سلمنا لا شعوريا بإتمام التجربة

واستغرقتنا تفاصيل الإتمام! ربهذا نكون قد أفرغنا الخطوبة من معناها لأننا ألغينا الجانب التجريبي فيها.



لماذا لا يفكر العروسان في اعداد غرفة واحدة مع المطبخ على أن يتمما بقية الشقة سويا بعد الزواج قطعة بقطعة؟ سيزيد هذا من الذكريات السارة معا فضلا عن شعورهما بالبناء المشترك

ألا يحسن بنا أن نجعل العام الأول من الخطبة عاما للاختبار والتثبت من القبول فقط؟ لا تتم فيه أي استعدادات ولا يتحدث الخطيبان فيه عما يخططان لحياتهما المشتركة، تكفي الأحاديث العامة المتشعبة والحديث حول الاهتمامات والأفكار للتعرف على الآخر، والأفضل أن تستمر العلاقة خلال هذا العام في إطار خطبة عائلية بدبلتين وحسب، فلا حفل ولا مدعوين ولا مهرجانات اجتماعية من أي نوع،

فقط ابداء حسن نوايا وجدية وتعارف بين الأسرتين، ثم عام كامل من التعرف على الآخر، وبعده يكون القرار، فنقول: نعم .. هذا هو شريك الحياة، أو نقول العكس، فهذا أفضل للكل من سيناريو خطبة، فكتب كتاب، فدخلة، فطفل، فطلاق!

٣- العلاقة المادية والخلل في تحديد المسئوليات

المنطق السليم يجيز شكلين لا ثالث لهما في العلاقة المادية بين زوجين، النمط الإسلامي والنمط اليوروأمريكي لو جاز هذا التقسيم

في النمط الإسلامي يتحمل الرجل مسئولية الأسرة ماديا بما في ذلك النفقات الشخصية لزوجته، فإذا كان معسرا وساعدته زوجته فذاك دين عليه يرده كأي دين، وإن عجز عن الكسب عجزا نهائيا كان أي دعم لا يرده لزوجته بمثابة صدقة عليه وعلى أولادها، هذا هو شرع الله حتى لو كانت الزوجة ذات مالٍ أو إرث، بل من حقها شرعا أن يوظف لها من تقوم بأعمال المترل لو كان قادرا، فدور الزوجة شرعا ليس دور خدمة الغرف في فندق الحياة الزوجية، هذا دور تطوعي لا يجوز أن تقوم به إلا مختارة، ولكننا جرت عاداتنا أن تكون المرأة مسئولة عن رعاية الأسرة والأطفال حتى يتفرغ الزوج لعمله بشكل أفضل فيعول أسرته بشكل أفضل

أما النمط الثاني وهو عادل أيضا، فهو اليوروأمريكي، وفيه تكون المسئوليات المادية والمترلية مشتركة بين الزوجين، فتشترك المرأة في دعم الأسرة ماديا ويشترك الرجل في مسئوليات المترل وتربية الأطفال، وقد

يتفرغ منهما الأقل راتباً لرعاية الأسرة بغض النظر عن موضوع رجل وامرأة، ليعمل الطرف الأعلى دخلاً لفترات أطول فيضمن دخلاً أفضل للأسرة، وإذا حدث انفصال كان للزوجة نصف الممتلكات تقريبا، مع فروق فردية في القوانين من بلد لآخر بالطبع.

وهذا النمط القائم على انصهار الذمة المالية وإن كان مناسبا جداً لطبيعة مجتمعاته التي تأخذ به يصبح مجحفاً للمرأة لو طبق على زوجين مسلمين، ففضلا عن كون القوانين في بلادنا لا تمكن الزوجة من ثروة زوجها عند الطلاق، يمثل هذا النظام خطرا جسيما على مصالح الزوجة ما دام الطلاق متاحا ومخولة سلطته بالكامل للزوج في أغلب الأحيان، ومادام للرجل أن يجمع بين أكثر من زوجة، فليس من العدل أن يمهر الرجل زوجته الجديدة بمال أسهمت في تكوينه زوجته الأولى بكدها وعرقها! ففي هذا كيد إضافي لها فضلا عن كيد الضرة التي تشاركها زوجها، بأن تشاركها كذلك حصيلة جهدها!

لكن أغلب الأسر اليوم لا تتبع نظامنا الإسلامي ولا النظام الوافد علينا، فما يحدث الآن في كثير من البيوت إن هو إلا غبن غير مقبول ولا تحمد عواقبه، فالرجل يريد من المرأة تحمل مسئولية الدعم المادي معه أو بدلا منه أحيانا، بينما لا يشاركها هو مسئولياتها بالمقابل، وكذلك يحتفظ بحقه في أن يطلقها وقتما شاء أو يتزوج عليها سرا أو علانية! والأمر لا يستقيم بهذه الطريقة، فتخرج مشاكل بلا حصر، لأننا تعاملنا مع كل من الدين والمدنية بأسلوب انتقائي يضمن أفضل الأوضاع للرجل

لهذا لا يكون لنا غير العودة للنمط الإسلامي الأول الذي يتماشى مع ديننا وقوانين الأحوال الشخصية عندنا، والتي تسمح بالطلاق وبتعدد الزوجات، وهو الوضع الذي يحمل الرجل المسئولية المادية كاملة عن أسرته وفقاً لجهده وطاقته، فهذا هو الوضع الأمثل لتوازن الزوجين نفسيا وتوازن علاقتهما في ظل معطيات مجتمعنا المصري المعاصر وقوانين بلادنا

٤- غياب ثقافة قبول الآخر

كلما زاد نضج الزوجين كلما زادت قدرة كل منهما على قبول الآخر، فلا تولد الفروق الفردية بينهما احتكاكا شديدا يفقد العلاقة رصيدها من المودة والرحمة، وحتى لو تولد الاحتكاك أحياناً، سيحتفظ الزوجان به سراً حتى يخمد لهيبه بالحوار والوقت

أما غير الناضجين فسرعان ما تشتعل بينهما نار لا يطيقون إطفاءها، والسبب هو رفض الآخر وعدم القدرة على قبوله كما هو، وليس هذا قاصراً على الزوجين، بل ممتد للأهل في الطرفين، فما أن تبلغ الأهل أخبار الخلاف بعد الزواج، إلا ويمدون النار بالبترين لتتوهج، وهو موقف لعمر الحق غريب! خاصة لو قارناه بموقف نفس الأهل الذين كانوا يجرعون قبل الزواج! فكأن دوافعهم قبل الزواج كانت تتجه لا شعوريا لإتمام الزواج بأقصى سرعة كأنه هم ثقيل، فإذا تم، تنمروا لزوج البنت أو زوجة الابن واتخذوا وضع القتال معها ومع أهلها! قتال تفري شظاياه أول ما تفري أبناءهم وأحفادهم على خط النار، ولست

أرى لهذه التناقضات تفسيرا غير قصور النضج الشخصي، فيندفع الطرفان اندفاعات عاطفية غير مبررة من النقيض للنقيض، أما هذا القصور في نضجنا رجالاً ونساءً، فله أسباب اجتماعية وسياسية وثقافية يضيق بها المجال، لكن تبقى مهارة الاحتفاظ بالخلاف بين الزوجين أحد المهارات المتاحة للكل، والتي تضمن لهما دوماً الجو الأمثل لحل مشكلاتهما بدون تعقيدات التباين ورفض الآخر بين الأهل في الطرفين

٥- الخلل العاطفي و الجنسي

من أهم دوافع الرجل والمرأة للزواج تحقيق الإشباع العاطفي والجنسي، وعلى هذا يكون استعداد وأهلية كل منهما لإقامة علاقة ناجحة مع الآخر عنصراً محورياً لنجاح تجربة الزواج بتحقيق أحد دوافعها، وعلل الصحة الجنسية والسلوك العاطفي المتوطنة بيننا عديدة، منها الختان النفسي للبنات، فتجد أبا ينهر طفلته ذات الخمس أو الست سنوات بعصبية لو ظهرت سيقانها عفواً أثناء اللعب! فما أن تبلغ العاشرة حتى تهبط عليها قائمة المحظورات: ممنوع اللعب مع الأولاد، ممنوع لبس المايوه ... الخ، المشكلة أن هذه القائمة تهبط عليها وحدها، وبدون محاولة كافية لشرح السبب، بينما أخوها الذكر لا تتغير حياته ولا تهبط عليه محظورات، وقد تسمع البنت إمام المسجد المجاور لمنزلها يوم الجمعة واصفا المرأة بأنها عورة وصوتها عورة، وحياتها عورة لا يسترها إلا القبر! مدللاً بحديث نبوي أثبت الشيخ "ناصر الدين الألباني" رحمه الله أنه موضوع منذ عقود، بكل هذا نجري لبناتنا عمليات ختان نفسي و إن لم يختن مادياً، ختان قهري لا تقل آثاره عمقا عن الختان المادي بل تزيد، فعاماً بعد عام، تشب الفتاة ليتأصل في عقلها اللاواعي

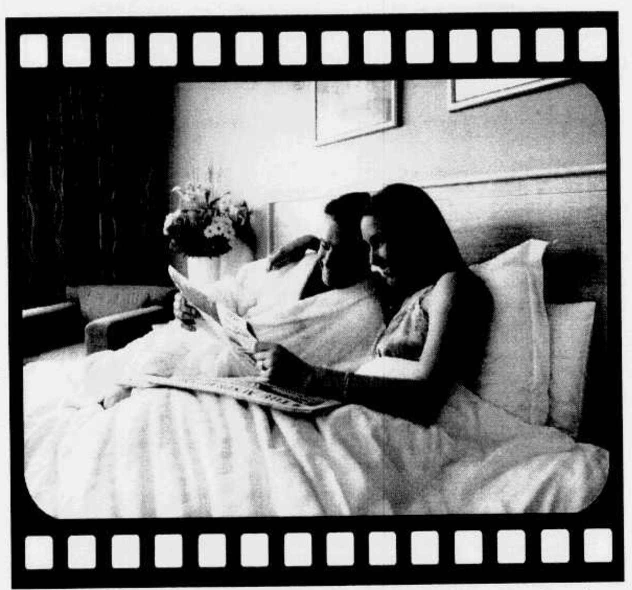
أننا مجتمع يجرم الأنوثة ولا يحترم غير الأمومة، فيتحول رصيد العطاء الأنثوي بداخلها كاملا إلى شكل الأمومة المقبول اجتماعياً وأسرياً، فلا تتعجب لو سمعت زوجة تقول بأنها حققت هدفها من الزواج يوم أنجبت، فهي لا تبالي بعد ذلك بذكر النحل الذي انتهت مهمته!

كذلك من أهم أسباب الفشل في إقامة علاقة جنسية ناجحة ثقافة الفاعل والمفعول به في عالمنا العربي، وحتى في لغتنا العربية، فنحن وحدنا فيما أعرف من لغات نستخدم صيغتين للتعبير عن اللقاء الجنسي، صيغة الفاعل للرجل وصيغة المفعول به للمرأة! بينما في اللغات اللاتينية والأنجلوساكسونية تستخدم صيغة الفاعلين، والمفارقة هنا ليست مفارقة لغة فقط، لكن للغة دلالتها على الثقافة ونمط الحياة، نمط يرى في إيجابية المرأة جنسيا عيباً لا يليق ويرى في التعامل معها كدمية في الفراش أمراً طبيعياً، فهي مفعول به، وهذا النمط فاشل بالضرورة ومنافي للفطرة الإنسانية السليمة، فنحن الرجال نحطم المرأة في صورة ابنة لنعاني منها في صورة زوجة، فلا نلومن إلا أنفسنا بنهاية الأمر

ثم يأتي تأخر سن الزواج ليزيد مشاكلنا تعقيداً، فالنشاط الجنسي من سن البلوغ وحتى سن الزواج (١٢-٣٠ سنة) قد يكون غائبا أو قاصرا على ممارسة العادة السرية، وهي سلوك جنسي فردي، بينما الأصل في الجنس أنه سلوك ثنائي تفاعلي، وليس معنى هذا أنها عادة سيئة أو ضارة، فهي سلوك طبيعي في معدلاتها المعقولة، لكن طول فترة ما بعد البلوغ وقبل الزواج تؤصل هذا السلوك الفردي عند الفتى والفتاة، مما يؤدي للفشل في التفاعل الثنائي بعد الزواج

كذلك تتجاوز تجارب بعض الشباب الممارسة الفردية إلى ممارسة الجنس مع المحترفات، وهي في أغلبها ممارسات تشوبها المبالغة والافتعال،

فيتشكل وعي الشاب بالجنس على هذه العلاقة الشاذة، فلا يجد بعد الزواج ما يرضي نزواته الغير سوية التي اعتادها، لأنه لن يتزوج من محترفة بطبيعة الحال!



الزوجان وحدهما بإمكانهما تدارك مشاكلهما العاطفية و الجنسية، فإن لم يمكنهما ذلك عليهما بمشورة طبية متخصصة، استشارات الأصدقاء و الصديقات لا تجدي

ثم لدينا بعد هذا كله كما وافرا من الجهل الجنسي، فعلى صعيد السادة الرجال، يشب الفتى ويبلغ مبلغ الرجال ليتعلم الجنس من الأصدقاء الأكثر جهلا ويسمع منهم المبالغات والمهاترات عن هذا التابو المحرم، أما جهل النساء وتبادل الخبرات العقيمة بينهن فحدث ولا

حرج، وأهم هذه الخبرات هي عملية الكمين الأسبوعي أو النصف أسبوعي، حين تنتظر زوجها مهيأة بتحمل مصطنع مبالغ فيه في موعد معين، على أساس أنها بهذا تؤدي واجبها كزوجة في إحصان زوجها! وهذا الطقس تتوارثه الأجيال من أم لبنت، فأصبح أحد أهم معالم قولبة الجنس بحياتنا

وتأتي الآفة الكبرى في مشاكلنا الجنسية، المخدرات والمنشطات، فالرجال يتداولون المخدرات في اعتقاد وهمي بأثرها الإيجابي على القدرة الجنسية، فيدخنون الحشيش مثلا لقولهم بأنه يطيل فترة اللقاء، وواقع الأمر أنه يفسد إحساس المخ بالزمن فيتوهم المتعاطي أن مدة الجماع كانت طويلة، والحقيقة أن كل المخدرات تؤدي للعجز الجنسي الكامل للرجل مع الوقت، أما المنشطات فقد زادت وتيرتها بجنون مؤخرا، وبين الأصحاء والشباب أكثر منها بين المرضى والشيوخ، لأن الشاب يبدأ حياته الزوجية بها ويعتادها، ثم يعتمد عليها نفسيا فيفقد قدرته الطبيعية!

٦- الهاجس الاجتماعي للزواج

يضع مجتمعنا الزواج والأمومة بالنسبة للمرأة لا كأولوية كما يجب أن يكون، ولكن كمعيار أحادي للنجاح، فتجد التجمعات النسائية تمصمص الشفاه حسرة على أستاذة جامعية ناهة لمجرد أنها لم تتزوج، وكأن نبوغها العلمي لا شيء لأنها لم تفز بابن الحلال! هذا الضغط الاجتماعي يشكل عنصراً فاعلاً بالغ الأثر في قولبة شخصية المرأة، فكل منا يحتاج لتحقيق الذات والعقل الجمعي للمجتمع يضع المعايير لتحقق

هذه الذات، فعندما يضع الزواج كشرط جوهري لتحقيق ذات الأنثى يصبح الزواج هاجسها الدائم منذ طفولتها، ويؤثر عليها سلبا في أمور عديدة، منها الشعور بأنها كائن ناقص في ذاته و يجب عليها أن ترتبط برجل لتكتمل، فتتكون في أعماقها بذرة شعور بالنقص تجاه ذلك الرجل، ممزوجة بشيء من الكراهية والرغبة في التمرد، وتصبح فريسة للقلق الذي يصل أحيانا إلى حد مرضي، لشعورها أن مصيرها مرهون بمن يتقدم لها من خاطبين، شعور بالغ القسوة أن تشعر أن مصيرك مربوط بإرادة غيرك، فيعبر هذا القلق عن نفسه بظواهر سلوكية مثل التطرف في إظهار مفاتنها لتحريك إرادة الآخر، أو الالتزام الديني الشديد لتحريك إرادته أيضا ولكن بمغازلة السلوك الاجتماعي المحمود، وكذلك يعبر القلق عن نفسه بظواهر نفس-جسمية كثيرة كالصداع، والمغص، ونوبات الدوار، والطفح الجلدي، وحبوب الوجه، وغيرها.

٧- تضاؤل القيم الروحية و تعاظم الروح الاستهلاكية

كل الأسباب التي فصلناها تعد أسبابا مزمنة في مجتمعنا، أراها تساهم بنصيب وافر بي حالات التعاسة التي أسميها أنا الإجهاض الزوجي (Mismarriage)، ولكن لماذا تحولت التعاسة من هذه العلل المزمنة إلى حالات طلاق مسجلة؟ لماذا تعبر هذه الأسباب عن نفسها الآن فقط وكأنها لم تكن موجودة لمئات السنين؟

حالات الاجهاض الزوجي المؤهل للطلاق كانت موجودة دائما بيننا، لكنها لم تكن تصل في أغلبها لطلاق رسمي بهدف الحفاظ على الشكل الاجتماعي للأسرة ومراعاة لمصلحة الأبناء، اليوم ومع تيار العولمة الاستهلاكية من ناحية والتدين الظاهري من ناحية ثانية، تراجعت القيم الروحية العميقة وأولها التضحية من أجل من نحب، فسادت المجتمع مبادئ براجماتية ذاتية، الكل يريد أن يعيش حياة حافلة بالاستهلاك والمتع الحسية كمكافئة له على سعيه الدؤوب لجمع المال، وهذه الحياة الحافلة تقتضي شريك حياة متوافق معه، أو على الأقل عدم وجود شريك متنافر مع طباعه، فما المانع من المحاولة عدة مرات مادام هذا ممكنا؟

مشكلة مؤسسة الزواج كغيرها من مشاكلنا، بنت شرعية لتصرفنا بعقلية القطيع، فلا نتوقف لنسأل أنفسنا، ماذا أفعل؟ ولماذا؟ وكيف؟ وما هي الطريقة الأمثل؟ فلا المقبل على الزواج يقف ليسأل لماذا أرتبط بهذا أو هذه؟ ولا الأهل يسألون أنفسهم لماذا التجريع؟ ولا الأب يقف ليسأل كيف أربي ابنتي لتكون زوجة صالحة بمفهوم القرن الحادي والعشرين وليس القرن العاشر؟ نحن نتحرك على الطريق الذي وجدنا عليه أباءنا دون أن نسأل، فلماذا نتوقع أن ننجح في زماننا بأساليب زمن انقضى وانقضت معه ظروفه ومعطياته؟ بل لعل هذه الأساليب في زمنها ذاته كانت فشلا مقنعا

حين يكون هذا حالنا فالعجب لا يكون من ارتفاع معدلات الطلاق، ولكن ممن استمر زواجهم -بستر من الله غالباً- في ظل هذه الأوضاع!

مبارك شعبي مصر

حديث في المسألة الطائفية



أيقونة قبطية للعذراء و المسيح الطفل على ورق البردي، من القرن الثالث الميلادي

قرأت منذ فترة كتاباً هاماً للدكتور "نبيل لوقا بباوي"، وأهمية الكتاب لا تقل عن أهمية كاتبه، فالدكتور "بباوي" مصري مسيحي مستنير تعده الكنيسة المصرية وفقا لمعلوماتي علمانياً، لا بالمعنى الصحيح للعلمانية ولكن بالمعنى الذي يقصده رجَال الكهنوت دوماً، لواء سابق

ومثقف حقيقي، ولقب دكتور الذي يحمله مدعم بثلاثة رسائل دكتوراه في القانون واللاهوت والشريعة الإسلامية

والكتاب تناول جريء للمشاكل المزمنة، والتي أوضح المؤلف أن تسميتها مشاكل قبطية أمر غير منطقي، لأنها مشاكل كتلك التي يعاني منها كل أبناء الوطن، وأعتقد أن تشخيصه وتلخيصه للمشاكل المتعلقة بالمسيحي المصري هو تلخيص وافٍ متكامل، حيث حددها في عشرة نقاط أساسية هي:

١)مشكلة فرمان **الخط الهمايوني** (هاتي هومايون) فيما يتعلق ببناء وترميم الكنائس، والذي جعل التصريح ببناء الكنائس من سلطات رئيس الجمهورية! واقترح لحل هذه المشكلة أسلوباً لا مركزياً بتفويض المحافظين في هذا الشأن

٢)**ضيق الهامش الإعلامي الديني المخصص للمسيحية**، والهجوم على المسيحية في بعض البرامج الدينية الإسلامية، واقترح لحلها أن يبث القداس من خلال إحدى الفضائيات المصرية، وأن يوجه المتحدثون في أجهزة الإعلام من رجال الدين مسلمين ومسيحيين لعدم التعرض للأمور التي من شأنها تسفيه أو مهاجمة عقيدة الآخر

٣)**مشكلة الأوقاف القبطية**، واقترح عودتها تدريجياً لسلطة الكنيسة

٤)**مشكلة تعداد الأقباط**، واقترح التصريح بنشر التعداد الحقيقي للأقباط مع الرفض التام لربط نسبة التعداد بنسبة تمثيل في الوظائف الحكومية

٥)**ضعف نسبة التمثيل الحكومي**، ويرفضها الدكتور "نبيل" كما أسلفنا وهو ما نؤيده فيه كل التأييد

٦)**ضعف نسبة التمثيل البرلماني**، ويرفض المؤلف منطق توزيع المقاعد على أساس ديني، والذي يطالب به بعض الأقباط، وهو ما نؤيده فيه أيضاً.



مظهر الود و الاحترام بين البابا و شيخ الأزهر مظهر حضاري جميل ، لكنه لا يحل شيئا على الأرض

٧)**صيغة المادة الثانية في الدستور**، والتي تنص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، ولا يرى المؤلف بأسا ببقائها لعدم وجود ضرر فعلي واقع على الأقباط منها.

٨)**تجاهل المناهج التعليمية للمرحلة القبطية**، ويقترح تخصيص لجنة علمية لكتابة تاريخ الحقبة القبطية بشكل علمي وإضافتها للمناهج.

٩)**الخطاب الديني المتعصب** والمعادي من الطرفين في الكنائس والمساجد، ويقترح لحلها دعم الوسائل المساعدة على نشر ثقافة التسامح والتعدد وقبول الآخر.

١٠) **الاعتداءات المسلحة** على أقباط الصعيد، ولا يرى الدكتور "نبيل" أنها تصل لحد الظاهرة، ولا تقتضي حلاً لو خف الاحتقان الطائفي باتباع ما اقترحه من تدابير.

كانت هذه النقاط العشرة، و تلك التدابير المقترحة لمعالجتها أهم ما جاء في كتاب الدكتور "بباوي"

نعلم كلنا أننا عشنا عقوداً دون أن تكون هناك مسألة مسيحية، عقود كان المد الوطني فيها هو شاغلنا الأكبر، فرأينا مصريا مسيحياً يغتال "بطرس باشا غالي" رئيس الوزراء المسيحي المكروه من الشعب، وحين سأل في التحقيق الجنائي عن دافعه قال: خفت أن يسبقني إليه وطني مسلم فيستغل المستعمر الأمر لشحن البسطاء من الأقباط ضد المسلمين والعكس، ففي هذا نهاية الجميع مسلمين وأقباطاً!

وعاش الوطن أياماً اختلف فيها "مكرم عبيد" المسيحي مع "مصطفى النحاس" المسلم على زعامة الوفد، فكان لكل منهما أنصار على أساس رؤية وطنية وليس هوية دينية، لهذا ضم فصيل كل منهما عنصري الأمة معاً، ثم مررنا بعهد كان فيه أول تبرع لبناء الكاتدرائية الجديدة، هو مدخرات بسيطة من حصالة أبناء الرئيس "عبد الناصر"، أعطوها للبابا "كيرلس" في منديل حين كان في زيارة لبيت الرئيس، و كان من قلائل يلتقون به في بيته، فكانت جنيهاتهم القليلة هي أول ما دفعه البابا للمقاول كما صرح البابا نفسه فماذا حدث لنا؟ ماذا جرى لمصر؟ متى توغلت كل هذه المشاكل بيننا؟



لليمين: النحاس مع مكرم عبيد و قيادات وفدية، لليسار: عبد الناصر بجوار البابا كيرلس
عهود كنا نقول فيها أن الدين لله و الوطن للجميع عن إيمان لا بحكم العادة!

أعلم في نفسي ودا مفقودا مع عصر الرئيس السابق "أنور السادات"، لهذا اجتهدت لأكون موضوعياً بالبحث عن جذور المشكلة في تاريخنا المعاصر بعيداً عنه، لكنني فشلت! فالجذور شديدة الالتصاق به وبسياساته! فكما يعرف الكل، تفتقت قريحة "السادات" عن حل أشر لمواجهة المد الناصري الرافض لسياساته، فعقد حلفاً سياسيا صريحاً مع "عمر التلمساني" المرشد العام للإخوان المسلمين في ذلك الوقت، حررت الدولة بمقتضاه المتطرفين الضالعين في محاولة انقلاب عام ١٩٦٥م[١] من السجون، مقابل تكريس نشاط الإخوان المسلمين لمواجهة المد الناصري واليساري في الجامعات والمؤسسات، مع التزامهم بعدم نقد الرئيس وسياساته الرئيسية، وحصل الإخوان في سبيل هذا لا

[١] أقرت بها السيدة زينب الغزالي و غيرها من ناشطي الإخوان في مذكراتهم

على حريتهم وحسب، بل على كل ما تمنوه من دعم حكومي للقيام بمهمتهم التصفوية، فقاموا بها على الوجه الأكمل، ثم طمحوا لما هو أكثر! لم يتصور "السادات" أن التطرف الذي زرع خلاياه السرطانية في مجتمعنا، سوف يتنامى ويتشعب حتى يقتله! وبالطبع منهج الإخوان في التعامل مع القضايا القبطية أكثر من معروف وأقل من أن يوصف بالمدنية أو الوطنية أو حتى المنهجية! وليست الشراذم التي خرجت من عباءة الإخوان أفضل منهم في هذا، بل أسوأ.

كذلك زادت في السبعينات عمالتنا بالمملكة العربية السعودية، وشجع الانفتاح الاستهلاكي المصريين على السفر، حتى الفلاح تطلع للسفر ليستمتع بمباهجه المستوردة، وبعد أن كان العمل في السعودية شبه قاصر على المهنيين، ضمت عقود عمل السبعينات حرفيين وعمالة غير مدربة ممن يسهل التأثير عليهم لضعف اعدادهم العلمي، فعاد لنا الحرفيين والفلاحين بالبطانية ماركة النمر والمروحة الكهربائية "أم لمبة"، والستيريو كاسيت "أبو روحين"، والجلباب الأبيض، وفكر وهابي متطرف ومغلق ومعادي للآخر! وعاد لنا المهني بتي شيرت مونتجو، ونظارة بيرسول، وحافظة باسبورت جلدية في يده، وقلم باركر في جيب قميصه، وفكر مذبذب بين التطرف والاعتدال، ومعادي للآخر كذلك، والآخر في حالتنا هو المصري المسيحي بالطبع.

ثم جاء خلاف الرئيس مع البابا، نقمة على رفض البابا لاقتراح سفر الأقباط للحج في القدس المحتلة ضمن بروتوكولات التطبيع، وهو موقف كان البابا فيه أشد وطنية وحكمة من الرئيس، أما الوطنية فواضحة،

وأما الحكمة فكانت إبعاد الأقباط عن سمة الخـــائن للاجمـــاع العـــربي الرافض للتطبيع وقتها.



حصاد الغربة الذي عدنا به من سنوات السبعينات و الثمانينات

ثم حدثت أحداث الزاوية الحمراء وأحـــداث أســيوط وغيرهمـــا، ووجد الشاب المسيحي رئيس الجمهورية يخطب قائلاً: أنا رئيس مسلم لدولة مسلمة، فالرئيس "السادات" إذن ليس رئيسه؟ فهل أصبح مواطنا من الدرجة الثانية في بلاده؟ فزادت تيارات الهجرة لأمريكا وكندا بين الشباب القبطي لتصل لمعدلات مخيفة، واستمرت كذلك حتى اليـــوم، هذا هو ما حدث لنا باختصار أرجو ألا يكون مخلاً، ولا أجد بدايـــة أخرى في تاريخنا المعاصر لتعكير السلام الاجتماعي غيره!

رغم اتفاقي مع الدكتور "بباوي" في رصد المشكلات، أختلف معه في آليات الحل التي طرحها، لأني أراها أقرب للمساواة في الخطأ منـــها لتصحيحه، وكما يقول المثل الانجليزي: خطآن معـــا لـــن يؤديـــا إلى صواب، فالحلول التي طرحها الكاتب تضمن أوضاعاً عادلة للأقبـــاط،

لكنها تطلب تكريس الهوية الدينية للأقباط لتقابل تكريس الهوية الدينية الحالي للمسلمين، و هذا يحمل خطراً مستطيراً على المدى الطويل، فالأصل في الدولة المدنية أن الجنسية هي أساس المواطنة، أما الأديان المختلفة في المجتمع فثراء له بالاختلاف، على أن يقتصر دورها على توجيه سلوك الأفراد لا الجماعات، من خلال الحفاظ على علاقة وثيقة للفرد المؤمن بربه.



أقباط المهجر ظاهرة سببها تعامل السبعينات العشوائي
مع السلام الاجتماعي للوطن

لهذا أرى الحل في العودة بجرأة لخط المجتمع المدني، والذي يضمن حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر للجميع، على ألا يتجاوز أحد حدود نفسه ليحتك بأنف الآخرين، وعلى ألا تهدر إمكانيات المجتمع في منافسات دينية كما يحدث اليوم، فلو أردت طرح حلول لما أثاره الدكتور "نبيل" من قضايا ستكون أطروحتي كالتالي:

١) تأسيس **هيئة الأبنية الدينية** كهيئة مدنية مائة بالمائة، مكونة من خبراء مؤهلين في الإحصاء والعلوم الاجتماعية، ومهمتها المتابعة المستمرة والرعاية والصيانة لدور العبادة القائمة من مساجد وكنائس ومراقبة كفايتها لتعداد السكان من الدينين في كل منطقة سكنية، وتبسط هذه الهيئة سلطاتها على جميع مساجد وكنائس مصر إداريا دون تدخل في الشؤون الروحية، ولها اتخاذ قرارات بناء المساجد والكنائس وفقاً للاحتياج ولا يصرح لأي أفراد أو جهات أخرى ببناء دور عبادة، فعلى من يرغب في المساهمة في بناء مسجد أو كنيسة التبرع لهذه الهيئة، أما الإشراف الديني على المساجد فيكون للجان من علماء الأزهر كما يكون الاشراف الروحي على الكنائس للكهنوت الخاص بكل طائفة

٢) يقتصر الهامش الإعلامي الديني في القنوات العامة المصرية على إذاعة مواقيت الصلوات الخمس والأذان ومواقيت الصلوات المسيحية، وتخصص قناتان للبرامج الدينية الإسلامية والمسيحية كل على حدة، مع مراعاة تخصيص وقت مناسب للمذاهب المختلفة في كل دين

٣) إنشاء **وزارة التكافل الاجتماعي والأوقاف** كوزارة مدنية يتكون هيكلها من كوادر مالية وإدارية، وتبسط سلطاتها على جميع الأوقاف المصرية إسلامية ومسيحية، وعلى صناديق النذور والعشور في الكنائس والمساجد، وتلتزم برواتب العاملين بالإشراف الديني من الوعاظ ورجال الكهنوت، كما تتحول لملكية الدولة وتضم تحت هذه الوزارة جميع المدارس والمستشفيات والمنشآت الخيرية ذات الصبغة الدينية، فتخصص

هذه الأصول كلها لأعمال التكافل الصحي والتعليمي للطبقات غير القادرة من المصريين

٤) تعداد السكان من الدينين سيكون ضمن مهام هيئة الأبنية الدينية آنفة الذكر، والتي ستحتاجه لاتخاذ قرارات بناء دور عبادة جديدة

٥) أما عن نسبة التمثيل الحكومي، فالكفاءة المهنية هي المعيار الوحيد للتعيين في مختلف الوظائف، ويفصل القانون واللوائح الداخلية معايير التوظيف لكل جهة اعتبارية في القطاعين العام والخاص، على أن يخصص بند في القانون الجنائي لتطبيق عقوبة جسيمة على كل من يثبت بحقه التمييز ضد مواطن مصري، لأي سبب من الأسباب، فحتى القطاع الخاص لا يجب تركه ليتحول لمنشآت طائفية

٦) الديمقراطية والانتخاب هما المعيار السليم للتمثيل النيابي، كما يفضل الغاء مقاعد التعيين التي تغازل بها الدولة قضايا المرأة والأقباط، فلو أراد الناخبون رجلاً أو امرأة فلهم من أرادوه أيا كان دينه أو جنسه أو توجهاته، وتقع على عاتق المرشح وحده مسؤولية إقناع ناخبيه بصلاحيته وأهليته لتمثيلهم

٧) المادة الثانية من الدستور حديث ذو شجون، فقد استمرت قضية إضافة نص يشير إلى مسيحية أوروبا في دستور الاتحاد الأوروبي قضية خلافية لأمد طويل حتى استقر الرأي على عدم اضافته، رغم حشد الفاتيكان كل طاقاته حتى يضاف، وكانت حيثية عدم اضافته أن الدستور يوضع ليحدد علاقات دول مدنية ببعضها البعض وبالأفراد في

كل منها، وعليه فلا موقع فيه لذكر هوية دينية، ومع ذلك لسنا نـرى في المادة الثانية بنصها الحالي بأساً ولا بغيابها على حد سواء، فلن تحدد هذه الفقرة هوية مصر

٨) من حقنا جميعاً وليس الأقباط فقط أن تضاف حقبة تبلـغ ٦٠٠ عام من تاريخ بلادنا إلى مناهجنا، فليس من حق أحد أن يطمـس أو يبرز في ذاكرة الشعوب، ولست أعتقد أن هذه قضية تواجه اعتراضـا من أي عاقل، انما سيظهر الاعتراض على ما يوضع فيها بخصوص الفتح العربي، فهل سنذكر ما يحويه التراث القبطي من مذابح؟ أم ما يحويـه التراث الإسلامي من ترحيب الأقباط بالعرب؟ أعتقد أن الاعتماد على مراجع معتدلة من التراثين كتاريخ ابن الأثير وكتابات يوحنا النقيوسي سيكون مفيدا في عرض صورة حيادية لا تبالغ في رصـد فظـائع، ولا تبالغ في تصورات ملائكية

٩) الخطاب الديني يقتصر علـى المـساجد والكنـائس والقنـوات المتخصصة وبدون استخدام وسائل تضخيم صوتي فيمـا عـدا الأذان والأجراس، حرصا على تجنب سماع المواطن ما يخالف عقيدته ويجـرح مشاعره الدينية، كما تنشأ بكل مدرسة قـاعتين لتـدريس الـدينين الإسلامي والمسيحي، على أن تقتصر المناهج الدينية على مواضـيع لا تحمل قضايا خلافية بين مذاهب الدين الواحد، فمـن حـق الطفـل الكاثوليكي مثلا أن يدرس الخطوط العريضة للمسيحية دون الإشـارة إلى الخلافات الكنسية

١٠) التعامل بمنتهى الحزم وبالعقاب الرادع مع من يتخذ من العنف وسيلة للتمكين لأهداف سياسية أو طائفية وبأية درجة.

أعلم يقينا أننا اليوم نبعد عن تحقيق ما أقترحه هنا كل البعد، لكن هـذا لا يعني عدم إمكانيته جزئيا، فليس ضروريا أن يطبق كل هـذا في وقت واحد وبحذافيره، وإنما الخط الفكري العام للمجتمع والنسق الحضاري الذي نسير في ضوئه هو همنا، يهمنا أن يكون التوجه العام للمواطن المستنير نحو الدولة المدنية، وليس المجتمع المصبوغ دينياً، فالمجتمعات المصبوغة دينيا أصبحت شاذة في عالم اليوم، كجزر ضئيلة في محيط مدني، ويجب أن نتذكر دائما ونذكر من حولنا أن مصر ليست أفغانستان، ولا يمكن أن تكون!

أزمة مع وطن

حوار بين عقل وقلب

أستمع لأغانيَّ المفضلة من اسطوانة الشحن المصري، اسطوانة لا تباع ولا تشترى، فهي كوكتيل شخصي وصناعة منزلية، أحفظها في سيارتي لأسمعها خلال سفري في عطلات نهاية الأسبوع على الطريق الزراعي بين القاهرة حيث أعيش وطنا حيث مسقط رأسي وحيث يعيش إخوتي، أسمعها بينما مشاهد الريف المصري - أو ما بقي منه - تتوالى عن يميني وشمالي.

أول ما فيها أنشودة كتبها الشاعر الجميل الذي تتضوع كلماته بعبق الصعيد "عبد الرحمن الأبنودي"، وغناها مطرب يشدو بأوتار قلبه، هو "علي الحجار"، وفيها يقول:

راحل .. من تاني راحل .. تردني السواحل .. فايت قلبي في حاراتك .. فايت صوتي في سكاتك .. وخضرتي في نباتك يا مصر .. وتني راحل .. ومهما أنزل بلد .. بانزلها بالجسد .. لكن القلب راحل.. له في السواحل ساحل .. في غيرك ما انوجد

تليها أغنية النهاية لنفس المسلسل لا تقل روعة وجمالا، تقول كلماتها:

يا لولا دقة إيديكِ ما انطرق بابى .. طول عمرى عارى البدن وإنتِ جلبابى .. ياللى سهرت الليالى يونسك صوتى .. متونسة بحس مين يا مصر فى غيابى؟

ثم تختم بالبيت الدامي عندما تسمعه بصوت "الحجار" وهو يئن قائلاً:

أسكت الجرح يسكت .. ينطق التانى

أتذكر رباعية لصلاح جاهين بصوته، يقول فيها عن الوطن:

قالوا ابن آدم روح و بدنه كفن .. قالوا لأ بدن، قالوا لأ ده روح في بدن .. رفرف فؤادي مع الرايات في الهوا .. أنا قلت لأ، روح في بدن في وطن

فهل حقاً نحن روح في بدن في وطن؟جربت الأسفار كثيراً، فوجدتها جميلة شائقة حين تكون جولة بعد جولة، نعود بعدها لحضن الوطن، وجربت الاغتراب الطويل عن مصر والإقامة خارجها فوجدته مريرا مؤلما، وأشهد أنني خلال عام ونصف قضيته خارج الوطن في أول الشباب كنت رجلا .. بلا روح! لكن ماذا عسانا أن نفعل؟ مصر حالة شديدة الخصوصية بالنسبة للمصريين، وطن نتعذب فيه، فاذا ابتعدنا عنه قليلا .. نتعذب به! ونشعره في الفؤاد وخزا مستمرا وفي الرؤوس صداعا مزمنا!

ألوم نفسي على فكرة السفر قائلا:

- ناقصك إيه تسافر علشانه؟ فيه اللي بيسافر في طلب الرزق وانت ربنا موسع عليك والحمد لله، وفيه اللي بيسافر يتعلم وانت خلصت المرحلة دي، وفيه اللي بيهاجر علشان مالوش مستقبل ودي مش حالتك، يبقى مسافر ليه؟

كان هذا سؤال نصفي المنطقي المنظم التفكير، نصفي العاقل الباحث المحلل لو جاز التعبير، ولنتفق على تسميته بعقلي، طرحه على نصفي الشاعر، الروح الحالمة المؤرقة والمتقلبة، ولنتفق على تسميته مجازيا بقلبي

ابتسم قلبي للسؤال، ثم ترنم بكلمات لصلاح جاهين:

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء .. أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء .. بحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب .. و بحبها وهي مرميه جريحة حرب .. بحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء .. وأكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء .. وأسيبها واطفش في درب وتبقى هي في درب .. وتلتفت تلاقيني جنبها في الكرب .. والنبض ينفض عروقي بألف نغمة وضرب

تنهد قلبي بعدما انتهى من ترنيمته، ثم رد على عقلي فقال:

– عاوز أسيبها علشان هم سابوها

– هم مين؟

– المصريين، البلد ماعدش فيها مصريين

– لا يا شيخ، أمال فيها مين ؟ أمريكان؟

– ياريت، يا ريت أي أمة لها طعم وشكل ولون، كنت هافتقد المصريين صحيح، المصريين بخفة دمهم وشقاوة عيونهم وذكاء فطري في تصرفاتهم، وتحايل علشان لقمة العيش بكل شيء، لكن برضو كنت هالاقي شعب تاني أعيش معاه، أما الموجود دلوقت ده فلا شرق ولا غرب ولا وسط، ده طبق سلاطة، القاسم المشترك الوحيد فيه هو

التطرف والقطبية، تطرف ديني أو تطرف لا ديني، نقاب أو عري، تطرف يساري أو تطرف يميني، فقر بدون دعم، أو غنى بدون ضرايب، كنا بلد إشتراكي، النهاردة أمريكا نفسها اشتراكية أكتر منا، على الأقل فيها ضمان إجتماعي وتأمين صحي، فين الاتجاه؟ فين الشخصية؟ فين الشعب؟

– بس دي بلدنا، لازم نحاول نتأقلم معاها

– في عرضك بلاش البقين دول، أنا عايز أعيش حياة طبيعية، إنت مش واخد بالك أنا وانت بقينا ازاي يا أستاذ؟ ده احنا داخلين في اكتئاب؟ نخلص شغل، ننفرد ببعض في أوضة مع كتاب أو ع الكمبيوتر، ملينا من بعض، إحنا ناس عاشت عمرها في حالة حوار، انت نفسك كنت بتقول: على درب "سقراط" نسير، حياة بين الناس وحكمة من الحوار معهم، طيب "سقراط" كان بيخرج بأفكاره من حواره مع الناس في شوارع أثينا، هتجيب إنت أفكار منين يا مسكين؟ لا عاد فيه ناس ولا حوار؟

– يعني عاوزني أقيم حوار مع مين؟ منين أجيب ناس؟ فيه ناس علشان تحوارهم لازم يرجعوا بطون أمهاتهم ويتولدوا من جديد وبعدين يتربوا تاني ويتعلموا أساسيات الحياة وبديهياتها، وبعدين نشتغل على نضافة، ممكن تحاور حد مختلف عنك في الفكر والاتجاه، بس تكون في دماغه بنية تحتية، يكون مد كابلات كهربا ومواسير مياه. لكن للأسف إحنا محاطين ببشر عشوائيات مجاري دماغهم ضاربة

– لازم الناس مجاري راسهم تضرب، مش مرضى بالثلاثي

– ثلاثي ايه؟

– كرة القدم ومشايخ الفضاء وبرامج النص التحتاني، مهرجان احتفالي لأي ماتش خايب، ومشايخ عاوزين يشربونا بول إبل ويرضعونا واحنا رجالة، وشلة نسوان ضايعة، من اللي عمالة تاكل في نفسها وتتشال وتتحط، للي تابت وعاوزة تحلل كل أشكال الانحلال علشان تبقى منحرفة بس شرعي، للكبيرة بتاعتهم اللي خدت كاريير غلط ولو كانت اتولدت في الزمن الصح كانت هتبقى زعيمة في وش البركة!

يطرق عقلي مفكرا للحظة، ثم يقول:

– تعرف؟ ممكن يكون عندك حق، ممكن يكون الحل هو السفر، الهجرة من مجتمع لسة بيتخبط ويناقش بديهيات، لمجتمع استقر على طريق وبيناقش التحسين والتطوير، تقدر تقول هجرة ثقافية، على الأقل الجيل الناشيء، ولادنا، يكبروا في وسط أفضل وبنية دماغهم ماتدمرهاش منظومة الإعلام التافه والدروس الخصوصية

– يعني مقتنع؟

– إنت عارفني، لازم أفكر وأناقش قبل ماخد قرار، بس في النهاية عندي شجاعة الاعتراف بالحق، وكلامك مقنع

– بس تفتكر ممكن نسيبها بالسهولة دي؟ دي برده مصر؟

– الله؟ نفتح الباب تقول نقفله، نقفله تقول نفتحه! إنت عاوز إيه بالظبط؟ ما ترسى على بر!

– مانت برده عارفني، قلب شاعر متقلب وبمية حال، عصب مكشوف على الهوا مباشرة .. الهوا .. فاكر الهوا هوايا؟

عقلي يبتسم و يجيب:

– فاكر .. اشغل لك عقد غالي يضوي بأحلى الصبايا .. زمن عجيب .. أيام بتمر زي نسمة صيف، بسرعة ومن غير ما نشبع منها ولا نتهنا بيها!

– أهي الهوا هوايا دي حاجة من الحاجات اللي مخلياني متردد

– ازاي؟

– هنلاقي فين "حليم" جاي صوته من بلكونة بنت سهرانة مع النجوم؟ ونلاقي فين صوت الشيخ "رفعت" من راديو رمضان؟ ولا صوت "ثومة" صاحبة العصمة لما نسهر معاها في ليالي الصيف؟ وصوت ترام إسكندرية؟ وريحة البطاطا المشوية ع البحر عند السلسلة في ليلة شتا، أو أكلة سبيط وجمبري في بحري؟ صلاة الفجر في السيد البدوي، الجرايد من محطة القطر في طنطا بعد الفجر، الشاي وشيشة التمباك على القهوة الأحمدية، الساعة ثلاثة ميعاد خروج مدرسة "قاسم أمين" الثانوية بنات وقوافل الصبايا في شارع الفالوجا، ويا بنت يا أم المريلة كحلي .. ياه .. حاجات كتير قوي جوانا بتجسدها كلمة مصر لما تيجي على لساننا .. نسيب ده كله إزاي؟



مسجد السيد أحمد البدوي بطنطا

يضحك عقلي الذي تبادل الأدوار مع قلبي فصار متحمسا للرحيل، ويعلق على كلام قلبي حول مدرسة البنات الثانوية والشمس المطلة من المريلة الكحلي فيقول:

– يا أخي احترم سنك، بنت إيه ومريلة إيه؟ ده احنا بقينا في منتصف العقد الرابع من العمر! ثم إطمن، كل ده يا إما خرب يا إما تحت التخريب حالياً، الموسيقى حرموها، حتى الشيخ "رفعت" حل محله مشايخ السعودية مع المؤثرات الصوتية والإيكو، السيد البدوي حرام طبعاً علشان القبور في المساجد بدعة، الشيشة فسق مش عايزة كلام، والبنت في ثانوي دلوقت ممكن تغنيلها: يا بنت يا أم النقاب الكحلي، يا ضلمة كابسة وحالة من الكولة، خلاص يا أستاذ، مصر اللي عرفناها وحبيناها بتتاكل حتة حتة وبتتقسم نصين، نص متأمرك إلى ما لانهاية، ونص متصحر برده إلى مالا نهاية! والاتنين في الآخر ولاد عم والاتنين ضدنا إحنا واللي زينا

– يعني فكرك كده يا أبو الأفكار؟ نسافر؟

– أيوة يا أبو الأشعار، فاكر البيت اللي بيقول: إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة، فإن فساد الرأي أن تترددا؟

قلبي ينظر بعمق في العدم، بينما دمعة تترقرق من عينيه، ويقول مرتجلاً:

مفـــــارق يا مصـــر .. و قبل الهجر أشتــــاق

مفـــــارق يا مصـــر .. أراده الفـــــــــراق

وما كل الفراق بغــض .. و لا كل العشق التصاق

و لكن ..

قد آن للرضيع فطـــام .. وآن للحليل طـــلاق

أميرة في عابدين

دراما تلخص تاريخ الوطن

لعل أغلبنا مازال يذكر الكلمات الجميلة التي كتبها "سيد حجاب" ولحنها موسيقار الدراما العبقري "عمار الشريعي"؟ ملحن يضعك بموسيقى التتر وأغنية المقدمة في جو الإستقبال الأمثل للعمل الفني، ثم يختم كل جرعة فنية بأغنية نهاية لا تقل روعة، في هذا المسلسل كانت أغنية المقدمة تقول:

بركة دعا الوالدين ليوم الدين
تحمينا من كل العدا اللابدين

لكن الجانب الفني لهذا العمل الدرامي برغم جمال عناصره ليس موضوعنا، فالجانب الفكري فيه هو ما يهمنا، كانت فكرة الكتابة عنه موجودة بذهني منذ عرض قبل سنوات، ثم أخذتني الحياة فنسيت حتى ذكرتني نفس الحياة حين أرادت! أضع اسطوانة تحمل أغنيتيه المميزتين بسيارتي وأعيش مع الكلمات والأنغام قليلاً، فتتداعي الأفكار تنادي بعضها بعضاً، حتى أراني اليوم في ٢٠٠٨ أكتب عن مسلسل عرض للمرة الأولى ربما عام ٢٠٠٢، لكن الفن والفكر لا يسقطان بالتقادم لحسن حظ البشر

من الحلقة الثانية للمسلسل اتضحت الرمزية السياسية والإجتماعية فيه، تلك التي يجيد الرائع أبداً "أسامة أنور عكاشة" تضمينها بأدبه

الدرامي رفيع المستوى، رمزية عبقرية لخص فيها المأساة السياسية والاجتماعية التي عشناها في تاريخنا المعاصر منذ السبعينات ولليوم، ولست أدعي بالطبع أن ما فهمته هو عين ما قصده "عكاشة" لكن أظنني لم أبتعد كثيراً عن مقاصده.

رأيت في "أميرة" الوطن، جميلة كجمال مصر مشرقة البسمات كصباحها، ثم نعرف أنها كانت زوجة لضابط بالجيش، "رأفت" الشهم الشريف الذي يقيم مع زوجته في شقته العادية في حي عابدين، ويظهر اسم الحي مع اسم "أميرة" في عنوان المسلسل؟ فإذا كانت "أميرة" هي مصر، فعابدين لابد أن يكون رمزاً للمد الثوري الشريف، كان رمزا للملكية ذات يوم لوجود القصر الملكي به، ثم صار رمزا للثورة عندما حاصر الجيش "فاروقا" فيه، وفي المسلسل نعرف "رأفت" الضابط متوسط الحال، رجل بكل ما بتلك الكلمة ثلاثية الحروف من زخم المعاني، عاش بقيم الطبقة المتوسطة المصرية، وسطي في كل شيء، ثم فدى هذه القيم بدمه يوم استشهد، فهو رمز الزعيم "جمال عبد الناصر"، الضابط الذي تزوج من مصر بعمله الثوري في عابدين ثم عاش بها ومعها زمن البراءة الجميل كما تقول أغنية المسلسل، لكن الموت خطفه مبكراً قبل أن يكتمل مشوار النضج الوطني، ليخلفه "عبد المنصف"، الرجل الذي يدخل حياة "أميرة" بوعود المستقبل المبهر، رجل أعمال من الدرجة الأولى وبلا مباديء تحكمه أو تحد من حريته في الحركة والمناورة، نراه هنا معادلاً موضوعياً لعهد "السادات"، فهو الرئيس الذي قال عن نفسه: **اللي مش هيتغني في عهدي مش هيتغني أبداً**

ويندمج الإبن "جمال" مع "عبد المنصف" في عمله، ابن "أميرة" من الشهيد، وهو هنا رمز لجيل الثورة الذي أقنعوه في مرحلة من المراحل ببيع المباديء مقابل الرخاء الاقتصادي، وبالفعل يعيش الجميع وهم الرخاء، وهم تزينه كباريهات شارع الهرم وأنوار النيون في البوتيكات تماما كمصر السبعينات والثمانينات، حتى تفيق "أميرة" على كابوس الحقيقة ذات يوم، فإذا وعود الرخاء تنتهي بنهب أموال البنوك وتهريب رؤوس الأموال ثم هروب "عبد المنصف" رمز الفساد والانتهازية! وفي لحظة الحقيقة، عندما تنهار طموحات النهضة الإستهلاكية ومتاع الغرور التي باعها "السادات" للشعب الطيب، لا تجد "أميرة" غير شقة عابدين تؤويها، ثم تأتي ذروة الرمزية في المسلسل: الذهب!

الذهب الذي أهداها إياه الشهيد المكافح، **الذهب هو رمز القطاع العام المصري** الذي باعوه بالبخس بعد أن ادعوا أنه خاسر، رمز شديد الذكاء من المؤلف المتفرد، فقد حمى ذهب "رأفت" أميرة من الجوع والذل، كما يحمينا عائد بيع القطاع العام حتى اليوم من عجز الموازنة، القطاع العام المصري الذي سجل بشهادة البنك الدولي أعلى معدلات النمو والقوة الاقتصادية لمصر في تاريخها الحديث عام ١٩٦٤، والذي أعلن رئيس الوزراء هذا العام في ٢٠٠٨ عزم الحكومة بيع بعض أصوله لتغطية الزيادة في أجور العاملين بالدولة! القطاع العام الذي نشأ ونما وتطور في أربعة عشر عاما ثم لبثنا نبيعه مدة تربو على العشرين عاما لتغطي به حكوماتنا المتتابعة عورتها الاقتصادية، ممثلة في ميزان مدفوعات مصاب بعاهة مستديمة وعاجز للأبد!

عودة "أميرة" لشقتها في عابدين، واندماجها مع أهل الحي ثانية هو رمز عودة مصر لإتجاه يوليو وأرضية يوليو الصلبة، بعد أن جربت أرضية مايو فوجدتها رخوة زلقة لا يقر لها قرار، ومن ينظر للشعبية المتصاعدة للراحل "جمال عبد الناصر" اليوم، يعرف إلى أين تتجه مصر، لكنها هذه المرة لن تكون خلف زعيم، لأن عهد الزعامة الفردية قد انقضى كما قال "عكاشة" نفسه وفقا لما روي لي، ستعود لتيار الرشاد الاشتراكي عودة منهجية بعد أن اكتوت بوعود رخاء تنتهي بالهروب بأموال البلد! وليس هذا الزخم الاشتراكي قاصرا على مصر، لكنه ممتد بامتداد العالم كله خاصة بعد أزمة الاقتصاد الحر في ٢٠٠٨م!



مظاهر الحنين لزمن الكرامة و النزاهة و البناء الوطني و الانحياز للكادحين
مكانك في القلوب يا جمال

السبت للإنسان

بين الإطار والمضمون

حكمة خالدة قالها السيد المسيح يوما في القدس، لتكون من أعظم ما قيل من كلمات جامعة على مر الزمان:

"إنما جعل السبت للإنسان .. وليس الإنسان للسبت"

(مر ٢:٢٣)

قالها المسيح حين سمح لحوارييه بجمع المحاصيل الزراعية يوم السبت، فلامه الفريسيون لأن اليهود يرون السبت يوماً مقدساً لا يجوز العمل فيه، فرد المسيح عليه السلام بحكمته المفحمة، لقد جعل الله السبت للإنسان يوم راحة أسبوعي حتى لا ينسى الإنسان حاجته للراحة في خضم الحياة العملية، لكن جمود اليهود حول السبت من راحة لهم إلى قيد عليهم، فيالها من عبارة تلخص كل معاناة البشرية وتصف طريق نجاتها في كلمات!

لو نظرنا في الحياة الخاصة أو العامة، في الزواج أو التعليم، في العمل أو السياسة، في الدين أو العلاقات الإنسانية، الفارق في هذا كله بين الحكيم والساذج هو إدراك هذه الجملة البسيطة حق إدراكها وإحسان العمل بها، فالحكيم يدرك أن سعادة الإنسان وخيره هما الهدف الأسمى، وأن كل ما عدا ذلك وسائل لتحقيقه، ويدرك أن الإطار- أي إطار- غايته أن يحفظ الصورة ويظهر جمالها، فلا يمكن أن يفوق الصورة أهمية

حتى لو صنع من ذهب نضار، أما العاطل من الحكمة فينسى الصورة مع الوقت، ويصير الإطار عنده مقدسا في ذاته

ولكن أليس هذا ما يفعله الكثيرون منا صباح مساء؟

دعونا نرى، وسنضرب أمثلة هنا بأربعة إطارات، هي إطارات الدين والزواج والتقاليد والعمل، لنرى هل نحن نحفظ السبت أم نحفظ الإنسان بالسبت؟

إطار الدين

الدين، أي دين، هو في جوهره منظومة من العقائد التي تدعم روح الإنسان والشرائع والأخلاقيات التي تنظم علاقته بالغير وتقدم له طريقة أفضل للتعامل مع الحياة والعبادات التي تعينه على هذا كله بعقد صلة مستمرة بينه وبين ربه.

فهدف الدين إذن هو حياة أسعد للإنسان في الدنيا والآخرة معاً، وعادة يتداول الناس أديانهم من خلال نصوص محددة اللفظ، تعارفنا على وصفها بالنصوص المقدسة، ومن خلال الفكر البشري في فهم الدين، وهو ما تعارفنا على تسميته بالتراث الديني، وهنا تواجهنا مشكلة أن النص - أيا كان - يحتمل دائماً أكثر من فهم وأكثر من تأويل، كما قال "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه في وصفه للقرآن: **إنه حمال أوجه**، وما يصدق على القرآن في هذا يصدق على غيره من الكتب

والنصوص المقدسة، فكيف نستعين بالنص على الوصول لسعادة الإنسان وخيره؟ وإلى أي مدى يتعين علينا الالتزام بالتراث الديني في هذا؟

هنا تظهر لنا قيمة العقل الذي به توزن الأمور وتقدر وبه يراعى مقتضى الحال، فكان الإمام "محمد عبده" رحمه الله يقول: **آتوني ما ينفع الناس، آتيكم بدليله من القرآن والسنة**، وهذا هو منهج أهل الصواب، يضعون خير الإنسان وصالحه دوماً نصب أعينهم في التعامل مع النص، فلو وجدوا أن فهما معيناً للنص قد أدى لمعاناة الناس يفهمون من ذلك أن فهمهم للنص يحتاج لإعادة نظر، طالما كان النص يحتمل أكثر من فهم، فعندما يتضح مثلا وبشكل حتمي أن نظام الزواج والطلاق كما تقره إحدى الطوائف المسيحية لا يؤدي لسعادة الإنسان، ولكن لقهره وتعاسته، بل ويلقي بظلال قاتمة على حياته فيجعل المسيحي المخلص بين خيارين كلاهما مر، يعيش تعيسا في رضا الرب أو يعيش سعيدا في خطية؟ ألا يكفي هذا ليفيق كهنوت هذه الطائفة من غفوته؟ ألا يكفيهم هذا ليفهموا أنهم لابد قد ضلوا عن الفهم الصحيح للنص فلم يحققوا السعادة المرجوة للإنسان؟

وعندما يفهم بعض المسلمين الجهاد فهما يتحول به الفرد إلى كتلة سوداء من الكراهية والغضب الأحمق، إلى عدو للحياة وللبشرية تلفظه الدنيا لفظ النواة، أفلا نجد الشجاعة لننفي عار فهمهم عنا وعن ديننا؟ فنقول للعالم أن الجهاد ليس ما فهموه ولا ما قالوه؟

الأصل أن الله جعل الدين من أجل الإنسان، لكننا أبينا إلا أن نجعل الإنسان من أجل الدين، فماذا كانت المحصلة؟ بشر تعساء، لأننا أفرغنا الدين من هدفه الذي جاء به وكنا أغبى كثيرا من فهم المقصد الإلهي، ولم يكن الغباء قاصرا على أتباع ديانات السماء، فحتى المذاهب والفلسفات الأرضية وجدت من يتخذها تابوهات مقدسة ويتجمد في معبدها حتى الموت!

إطار الزواج

حدث ولا حرج، نحن في هذا الوطن لا نتزوج بقدر ما نوضع في إطار الزواج، الإطارات موجودة والجوهر غائب في أحوال كثيرة، عريس طيب وابن ناس يصلي في المسجد ولا يدخن ولديه شقة وعربية، جميل، هو جار جيد إذن، لن يدخن في الشرفة وينفض رماد سيجارته على أحبال الغسيل، لكن ما علاقة هذا بالزواج؟

عروس بنت ناس ومؤدبة وتخدم في الكنيسة، رائع، مرشحة مثالية حين نبحث عن متطوعة لرعاية أيتام، لكن ما علاقة هذا بنجاحها كزوجة لفلان تحديداً؟

لا شيء، لكن الإطار جميل ومناسب اجتماعيا، الزواج عندنا قرار أسرتين وليس فردين، والهدف انسجام أسرتين وليس فردين، ولو كان انسجام الفردين ليس سهلا فانسجام أسرتين مستحيل، لهذا تتداعى مؤسسة الزواج الاجتماعي في مجتمعنا، وتنشأ مؤسسات موازية تخدم بعض حاجات الإنسان كأنواع الزواج غير الاجتماعي العديدة التي

هلت علينا، زواج عرفي وزواج مسيار وزواج "هبة" .. وفي انتظار ظهور زواج "رانيا" و"داليا" و"شيرين" حالياً!

وكلها للأسف لن تحقق خيرا للناس ولا سعادة، فهي وإن كانت تلبي بعض الاحتياجات العاطفية والجنسية للأفراد، لا تلبي الاحتياجات الاجتماعية ولا تكتمل فيها المشاركة، لأنها علاقات تتجنب المجتمع بدرجات متفاوتة من السرية، فضلا عما يشوبها من نذالة بعض الرجال وتفاهة بعض النساء، فتتقوض من أساسها، فما نتيجة مؤسسة الزواج الإجتماعي الفاشلة ومؤسسة الزواج غير الإجتماعي الأكثر فشلا؟



الحفاظ على إطار الزواج بعد فقد جوهر المودة و الرحمة لا يضيف للزوجين و لا الأبناء و لا المجتمع، فما الهدف منه؟

انظر حولك لترى تعاسة في كل مكان، ذلك أن الزواج للإنسان، ولكننا جعلنا الإنسان للزواج.

إطار الأعراف والتقاليد

من الأعراف ما هو محمود كالتقارب الأسري والشهامة والتكافل الاجتماعي في المناسبات السعيدة والحزينة وغيرها، لكن منها كذلك ما هو بقايا من عصور مضت ولم يعد له مكان في زماننا.

كانت الزراعة يوما هي النشاط المحوري في مصر وكان عمل الفلاح فيها موسميا بطبيعته، فكان في وقته متسع للعديد من الأنشطة الاجتماعية التي تساعده على قتل الوقت، فتفنن الفلاح المصري بالتبعية في مراكمتها على مر الزمن ليزجي بها وقته ويقتل وحدته، فواجب العزاء ليس عزاء واحداً، بل تشييع جنازة ثم وقوف على المدافن، ثم عزاء تمهيدي مساء يوم الوفاة، ثم عزاء كبير في اليوم التالي حين يتيسر إبلاغ العزب المجاورة والأقارب المقيمين خارج القرية، ثم يومين آخرين للعزاء لمن فاته اليوم الأول، ثم خميس صغير فخميس كبير فأربعين، ستة زيارات عليك القيام بها لأهل الميت لتكون قد وفيت الواجب كاملاً! فهل هذا أمر يستوعبه زماننا؟ أم أن مرة واحدة في تشييع الجنازة تشد فيها على يد أهل المتوفي كافية لمواساتهم؟ أذكر حين توفي والدي ثم والدتي أنني كنت خلال الطقوس الاجتماعية المطولة تلك، أتمنى أن ينتهي هذا السخف لأخلو بالأخوة والرحم القريب، لنستوعب مصابنا ونتآزر فيه، فللحزن أيضا خصوصيته.

ولم يكن نصيب الأفراح من الطقوس في مجتمع القرية أقل حظا من الأحزان، تبدأ الطقوس بقراءة فاتحة ثم قافلة لشراء شبكة العروس تحضرها مندوبات ساميات من كل بطن من بطون الأسرتين، ثم قافلة مماثلة لجلب الأثاث، ثم كتب كتاب، فليلة حنة، فدخلة، فصباحية، سبعة طقوس على كل الحبايب حضورها! تفنن رائع في تزجية الوقت وطقوس تناسب زمانها الذي ابتدعت فيه وأحوال أهلها الذين اخترعوها اختراعا، لكن حياة اليوم لا تستوعب أكثر من حفل استقبال صباحي للعرس في يوم إجازة ودمتم، فالمطلوب منهم المشاركة في هذه المناسبات من الأهل والأحباب ليسوا عاطلين فوق المقاهي، ولكن أرباب أسر من العاملين والعاملات، ومجتمع اليوم الصناعي التجاري لا يحتمل هذا السفه في التعامل مع الوقت، لقد نشأت هذه الأعراف من أجل تسلية الإنسان، ومن أجل الإنسان يجب أن تنتهي لأنها أمست تثقل كاهله، وحتى من يملك رفاهية الوقت، عليه الاستفادة به فيما يرجع عليه بفائدة، فهل قراءة كتاب أعظم فائدة أم حضور حفل خطبة؟

إطار العمل

من المنطقي أن تتركز كل مؤسسة حول وظيفتها المحورية، فيتم تنظيمها داخلياً والتخطيط لأعمالها خارجياً وفقاً لمعطيات سوقها الذي تتعامل معه ووفقاً لأهدافها العامة، فتكون طاقات المصنع مثلاً موجهة نحو قسم الإنتاج، وتكون مقدرات شركة خدمات مالية متمحورة

حول قطاعها المالي، وتكون موارد شركة أبحاث دوائية مسخرة للبحث والتطوير ومتابعة احتياجات السوق، هذه بديهيات حياة فضلاً عن كونها بديهيات العلوم الإدارية.

لكن كم من مؤسساتنا تراها متمحورة باتجاه تحقيق أهدافها على هذا النحو؟ وكم منها تذلل العقبات وتخضع الإطارات لعملية الإنتاج؟ فلا تتخذ فيها القرارات بناءً على علاقات شخصية ولا تضيع فرص النمو نتيجة وضع الشخص غير المؤهل في المكان غير المناسب؟

أقل القليل بكل أسف، لهذا لا تتعملق مؤسساتنا ولا نرى العديد من المؤسسات المصرية تحقق ريادة اقليمية فضلا عن الريادة العالمية، والنتيجة؟ تناقص الدور المصري على مستوى الأعمال في الشرق الأوسط يوماً بعد يوم! فلا نلومن إلا أنفسنا، لأننا نسينا جوهر العمل وهو تحقيق النجاح، وانشغلنا بالإطارات، نتأملها بإعجاب ثم نعبدها، فيحل بنا التدهور!

لقد بدأ القطاع العام المصري مؤسسا على مواهب فنية طموحة، أعدت دراسات الجدوى لمشروعات عملاقة في الخمسينات، ثم قادت هذه المشروعات في الخمسينات والستينات لتبني اقتصادا قويا مر بالعديد من الحروب ولم يهتز، وشهد بصلابة نموه العدو قبل الصديق، ثم جاءت السبعينات وتغيرت توجهات القيادة السياسية، فبدلت القيادات الفنية المؤهلة بقيادات بيروقراطية من عناصر مالية وادارية أدت بيروقراطيتهم لهدم المشروعات من الداخل وهم يحسبون أنهم يحسنون

صنعاً، وظهرت بيننا النكات والقفشات على بيروقراطية القطاع العام، حتى تداعى هذا القطاع الذي قاد الاقتصاد المصري لسنوات طويلة

وليس القطاع الخاص اليوم أسعد حظاً، فرأسالمال المصري ليس في أيدي مواهب فنية أو عناصر مؤهلة اداريا قدر ما هو في يد أثرياء الصدفة، وهذا النوع من حملة الأسهم وملاك المؤسسات يسهل اثارة فزعه من قبل حرس البيروقراطية، فيتبع طريق الإطارات المقدسة، لأنه من الأساس لا يملك رؤية واضحة ولا نقاط ارتكاز لاتخاذ القرارات الاستراتيجية الصائبة، فلا نجد مؤسسة تحبو قليلا إلا لتتعثر بعد خطوات!

وهكذا تستغرقنا الإطارات في كل جوانب حياتنا، فتذهلنا عن محتواها، حتى أننا في بعض الأحيان نقدسها رغم خلوها من أي محتوى، كم رأيت من مدعي دين يطل الشر من أنيابه والشرر من عينيه؟ كم رأيت من عش زوجية أوهى من بيت عنكبوت؟ كم من ضاحك في مأتم وكم من حاسد في عرس؟ كم من مؤسسة تعدو بخطا حثيثة نحو الفناء؟

أليس خلع الزيف عن كواهلنا أفضل للجميع؟ ليسأل كل منا نفسه كم نشقى بتلك الأطر سابقة التجهيز؟ تخنقنا بضيقها وتشقينا بعنتها؟ رغم أن الحل دوما عند أطراف أصابعنا وأطراف عزائمنا، وفي هذا أذكر قولا بسيطا لرجل أكثر بساطة هو أنا: **الطريق إلى الجنة يبدأ من رأسك والطريق إلى الجحيم يبدأ من عيون الناس**، فلتحطم اليوم كل

سبت جعلت له، ولتبارك كل سبت جعل في خدمتك أو خدمة الإنسانية، أخرج من قيدك .. من ليلك .. للنور يغرد في عينيك

مدد يا سيدي المسيري

عبد الوهاب المسيري .. فارس العقل الذي ترجل

مدد يا سيدي "عبد الوهاب" يا "مسيري"، مدد يا فارس العقل الذي ترجل، مدد يا صارخا بصرخة الحق "كفاية"، ومفكراً راسخاً لم يرتمي في أحضان المد النفط-ديني ودولاراته و لم يرقص كغيره للقرد في دولته، مدد يا حبيب فلسطين وشاعرها وعرابها، ويا وجعاً في قلب صهيون لم يزل يقض منها المضاجع، يحاولون تخدير وجعهم بالرد عليك لكن ردودهم تتضاءل أمام عملقتك الموسوعية، مدد يا يسارياً على سنة الله ورسوله كما وصفت نفسك، ومسلماً مشى في طريق العقل حتى وصل للإيمان، لإسلام نقي مستنير، منحاز لجماهير البسطاء والكادحين، للدين الحق قبل أن يتم تأميمه (نسبة للأمويين وليس الأمة).

مدد يا "مسيري"، فلطالما ألهمت بقلمك في حياتك، وأراك اليوم تلهم بموتك، فلله درك من ولي تقي نقي، تلهم أعماله وكتاباته حياً وتلهم ذكراه وأفكاره ميتاً!

أتعجبون لأني أنادي إماما من أئمة العقل المنهجي التفسيري بكلمة "مدد" الصوفية؟

ليس مدد الصوفية اللدني[1] ما عنيت، ولكنه المدد العقلي الذي تلهمه سيرة الرجل ونتاجه الفكري السامق، وحده "المسيري" رحمه الله من كنت أحسن الظن بدينه وتقواه من جحافل اليسار التي يممت وجهها شطر البيت الأبيض، وشطر وكيله المعتمد في الجزيرة العربية، هؤلاء الذي قال فيهم "أبو النجوم" يوماً:

يتمركس بعض الأيام .. يتمسلم بعض الأيام .. و يصاحب كل الحكام



تراث غير مسبوق من الفكر الباحث في الخلفية الحضارية للعدو هو ما أراد الإخوان نسبته لأنفسهم بادعاء انتساب المسيري إليهم لولا حديثه المسجل بالصوت و الصورة

وحده "المسيري" لم يخلع إيمانه بالتوجه اليساري ولم ير فيه فجأة تعارضا مع دين الله، على عكس من طبلوا لرقصة الانفتاح الاستهلاكي

---

[1] تعبير صوفي عن العلم الإلهي الممنوح من الله بغير اكتساب، و عكسه العلوم الدنيوية المكتسبة.

في بلادنا، وكالعادة، رحل الفرس العربي الأصيل وبقيت على المزاود شرار البقر

المسيري و فرية الإخوان

موسوعة ويكيبيديا لمن لا يعلم هي موسوعة مجانية على شبكة الانترنت يمكن لأي قاريء أن يضيف لمحتواها بشرط ذكر مراجعه، وعلى نسختها العربية، حاول نفر من جماعة الإخوان المحظورة أن يشوه تاريخ الرجل، فكتبوا تحت عنوان نشاطه السياسي رحمه الله: ظل طوال عمره منتمياً للإخوان المسلمين!

يا الله .. سرعان ما كذبوا على الرجل وجثمانه لم يبرد بعد؟ أي فرية كاذبة يحاول بها فصيل سياسي لا ينتمي إليه أي من عقول مصر الرائدة أن ينسب لنفسه قمة من قمم الفكر الحر؟

تلك عادة الجماعة المحظورة، لا يرهقون أنفسهم بصناعة النجاح، فالاستحواذ على نجاح الغير هو الأسهل، تماما كما فعلوا يوم أرادوا القفز على ثورة يوليو في مهدها بعد أن نجحت في السيطرة على الحكم واقصاء الملك، يحاولون اليوم السطو على تراث "المسيري" وعليه شخصيا بنسبته إليهم! حسبوا أن الموتى لا يتحدثون ولا ينفون عن أنفسهم التهم، وفاهم أن من كان مثل "المسيري" يتكلم عادة وهو ميت من خلال تراثه الفكري الخالد، فشاء الله سبحانه وتعالى أن يصرح العلامة رحمه الله بحقيقة علاقته بالإخوان المسلمين قبيل وفاته في حوار مع الأستاذ "سامي كليب" على قناة الجزيرة، وفيه صرح

"المسيري" أنه انضم للإخوان وهو صبي في مسقط رأسه بدمنهور ظناً منه أن لديهم ما يشبع نهمه الفكري، لكن هذا الوهم لم يستمر سوى عام أو عامين فيم يذكر، خرج بعدها من الجماعة لما ثبت له تهافتها الفكري، ثم التحق بالحزب الشيوعي المصري لسنوات، وانتهى آخر الأمر اشتراكيا في منهجه وفكره، عقلانيا في إيمانه وفهمه الديني، وهو طريق لعمر الحق بعيد كل البعد عن مسالك الإخوان، لكنهم أرادوا استغلال تعاطف الرجل معهم بحكم سماحته الطبيعية رحمه الله، وبحكم علاقته الشخصية ببعضهم ليستولوا عليه، فيضموا تراثه الفكري الذاخر لتراثهم الفارغ.

قال المفكر الكبير حين سأله محاوره في الجزيرة عن عقيدته الدينية، وكيف يجمع بين الفكر الإشتراكي والثقافة الدينية: **إن الإيمان لم يولد داخلي إلا من خلال رحلة طويلة وعميقة، إيمان يستند إلى رحلة عقلية طويلة، لم تدخل فيه عناصر روحية، يستند إلى عجز المقولات المادية عن تفسير الإنسان وإلى ضرورة اللجوء إلى مقولات فلسفية أكثر تركيبا**، و هذا هو تحديدا القول الذي لأجله طلبنا المدد الفكري منه إلهاماً، فالعالم الراحل يتحدث هنا عما نراه النمط الفكري الذي نحتاجه في الشرق الأوسط البائس، نمط يمكننا أن نسميه علمانية روحية أو إيمان عقلاني، لا تهم الأسماء، نمط يعتمد على حياة عقلانية لها بعدها الروحي الذي يثبتها ويضيف إليها ولا يتعارض معها أو يناقضها، هذا النمط هو ما نراه نموذجيا لبناء الفرد في بلادنا، فالمادية المطلقة لا تناسبنا، ولا أحسبها ستناسبنا في المستقبل، والثيوقراطية

الاجتماعية السياسية الشاملة التي تخلط الدين بالدولة تأخذنا كل يوم ألف ميل للوراء، فلابد لنا من منهج مغاير لكليهما، وتلك العلمانية الروحية ليست طريقا وسطا، يمزج بعضا من الفكر المادي مع بعض من الحقائق الإيمانية، ولكنها فهم مختلف لكل من الدين والمنطق، بحيث لا يحدث بينهما تعارض أو تضاد، بل العكس، يدعم أحدهما الآخر ويثريه، مثل هذا المنهج هو ما نحتاج لنخرج من العالم الموقوف نموه، والذي جاملونا فأسموه نامياً!

كلمات ليست كالكلمات

بين النوم واليقظة كما بين الموت والحياة، يصل الإنسان لذروة تجرده العقلي، حيث يتجرد من الجسد بآلامه وآماله، فيتهيأ لرؤية النور الذي تتخلل خيوطه نسيج الكون المادي، وعلى ضوء هذه الخيوط النورانية تتفتح للعقل البشري كثير من الحقائق كتفتح الزهور.

نفس الحالة يمر بها من يشفى بعد ألم مبرح، فعندما يهدأ الألم، يتلاشى شعور الإنسان بجسده المادي تماماً ويتحول إلى عقل محض طهره الألم من شوائب الزيف.

في مثل هذه اللحظات، تلمع بالرأس كلمات، عادة ما تكون كلمات ليست كالكلمات، وهنا أكتب بعضا من زهور لحظات النشوة بعد مبرح الآلام، لا أدعي أن بها حكمة، لكنني أدعي أن بها شيئا من تجربة وشيئا من صدق، وأشياء من مراعاة مقتضى الحال.

- أنت لا تقتل من تكره ولا تجدع أنف من تضيق به، فلماذا يجب أن تتزوج من تحب؟
- شعورك ملكك تماما مادام في قلبك، لكن تحوله لفعل مادي قد يؤدي إلى كارثة، فانظر أين تضع قدمك.
- الحب طاقة للبناء والألم دافع للهدم، فكيف لشعب أن يبني مجدا لو كانت دوافع الهدم فيه أضعاف طاقة البناء؟

- ليس ما نشعر به أو نكتبه عن أوطاننا دليلا على وطنية، فلو كانت المسافة بين الحس والقول ميلاً، فالمسافة بين القول والفعل أميال

- فتاة الأحلام كرأس ميدوسا، تهيم على وجهك باحثا عنه حتى تجده، وحين تنظر إلى عينيه تفقد الحياة لفورك وتتحول إلى حجر

- تزوجت "ليلى" وجن "قيس"، تزوجت "جولييت" وتعذب "روميو"، أهي مازوشية الرجل مقابل واقعية المرأة؟ أم مثالية الرجل مقابل وصولية المرأة؟

- الحياة قداحة سجائر معتمة لا ترى الغاز في مستودعها، وكل مرة تشعل فيها سيجارة هناك احتمال ألا يتأجج اللهب، كذلك كل ليلة تنام فيها هناك احتمال لا بأس به ألا تفتح عينيك في الصباح، فاستمتع بالسيجارة التي في يدك قدر جهدك، واحرص ألا تنفث دخانك بوجه الآخرين، عش حقك في الحياة، واجعل حياتك في الحق فلا تجور على الناس وأنت تعلم.

- ما العمر إلا ثلاث لحظات، لحظة صدق أو لحظة حب أو لحظة مجد، فكم لحظة بلغت من العمر؟

- العلوم والآداب والخبرات تورث، لكن الحكمة الناتجة عنها جميعا لا تورث، هذه هي مأساة البشر.

- نأتي للحياة بلا حكمة، وعندما تكتمل لدينا حكمة الحياة نرحل عنها، فكأن الحكمة والحياة ضدان لا يجتمعان!

- الطريق للجنة هو طريقك لعملك أو لمن تحب، فبالعمل والحب وحدهما تتحقق نجاة الإنسان.

- طريق الجنة يبدأ من عقلك، وطريق الجحيم يبدأ من عيون الناس.

- هل نلوم القلوب على تقلبها؟ أم نلوم النار التي تلفحها من كل جانب فتتقلب؟

- لطالما كان تراث الآباء والأجداد ذريعة للكفر والعناد، القائلين بتقديس التراث البشري اليوم هم من كانوا كفارا معاندين بالأمس، أما أبو الأنبياء فكان يقلب وجهه في السماء بحثا عن إجابات.

- لا يأت من كلام الله عذاب لبشر، فوكلاء العذاب المعتمدون حصرياً هم الحمقى منا نحن البشر.

- الحب كالإدمان، حتى تقلع عنه يتعين عليك أن تترك كل ما ارتبط به من عادات وذكريات.

- الوسطية في الحب غير ممكنة، إما جوع وإما تخمة، فوسطية الحب تجلب الجنون.

- لقد جعلنا من لوحة الحب زينة لإطار الزواج، ومع الوقت نستغني عن اللوحة ونكتفي بالإطار فارغاً على حائط، فما أغبانا؟

تاريخ الوعـــد

لقطات من تاريخ الرقيق الأبيض

لا هو وعد "بلفور" ولا أي وعد تاريخي هام أو حتى وعد محترم! أتذكرون الفنانة "ملك الجمل" حين كانت تلوي شفتيها وهي تلعب دور القوادة في فيلم شفيقة ومتولي للرائع "علي بدرخان" وتقول:

واحنا فيه في ايدينا حاجة؟ ده كله وعد ومكتوب!

إنه الوعد بلغة أهل الكار، وتجارة الرقيق الأبيض بلغة صفحة الحوادث، والآداب بلغة البوليس، والدعارة بالفصحى، والمشي البطال بلغة أولاد البلد، والبغاء بلغة المثقفين.

مع تاريخ الدعارة نلتقي اليوم، نعم، لقاع المدينة أيضاً تاريخ وللجواري أيضاً تراثهن الممزوج برائحة العرق والخمر المغشوشة والبنكنوت، وقاع المدينة يروي دائما حدوتة الوجه الآخر، الوجه الذي لا نحب أن نراه فينا ولا نحب أن نعترف به في إطار الإزدواجية الاجتماعية، لكن هذا لا ينفي وجوده، ولا ينفي أن التاريخ كما يحفظ سير العظماء والنبلاء، يحفظ شذرات من سيرة ملح الأرض، الناس العاديين وما تحت العاديين، فاليوم موعدنا مع أحد الطوائف التي ينظر لها المجتمع كطائفة تحت عادية، ولعل من أوفى الأبحاث بهذا الصدد ما قام به الدكتور "عبدالوهاب بكر" في بحثه الشيق بعنوان: **مجتمع القاهرة السري**، بحث تاريخي قيم أتاح للدكتور ورجل الشرطة السابق النفاذ

لأعماق مجتمع الدعارة المنبوذ من خلال وثائق بوليسية غير منشورة، غير أني أردت أن أصحبكم في جولة أقدم من تاريخ البحث قبل النفاذ إلى موضوعه، لأننا نحن أبناء الطبقة الوسطى المصرية نلعب دائما دور المضحوك عليهم في مسرحية التاريخ، تربينا على منظومة قيم لا تتمسك بها سوى هذه الطبقة، أو بعضها لو أردنا الدقة، وقدمت لنا هذه المنظومة على أنها السائدة في بلادنا، فتعاطينا منذ الصبا الباكر حشيشة مخدرة محتواها أن الغرب له العلم والتقدم ونحن لنا الأخلاق، فتعالوا بنا ننظر لقاع مدننا وبلادنا عبر التاريخ لنعرف أن مجتمع الفضيلة لم يوجد على سطح الأرض أبداً، ولن يوجد في غير الأساطير، فلكل محصول آفته، ولكل مجتمع علله.

الدعارة المذكرة والسيادة الاقتصادية

ما أقوله في هذا الجزء من مقالي هو محض رؤية شخصية و تأملات خاصة لا أنسبها لأي مرجع آخر، رؤية بنيت على ملاحظة نشوء وتطور الدعارة المذكرة تاريخيا، فالتاريخ يقول لنا أن عمل الرجال بالدعارة لخدمة رغبات من تدفع من النساء كان معروفا في المجتمعات الأنثوية، وهي المجتمعات التي كان للمرأة فيها سيادة اقتصادية وبالتالي اجتماعية على الرجل مثل اليونان فيما قبل العصر البرونزي، وفي مرحلة أحدث نسبيا في اليابان، نعم، منذ هذه العصور القديمة وجدت وانتشرت الدعارة الرجالي للترفيه عن الأنثى المتعبة والمكدودة، يبدو أن إناث ذلك الزمان وجدن من التبريرات مثل ما يجده رجال اليوم لهذا

السلوك المشين، فكن يقلن أن رجلا واحدا لا يكفي وأن المرأة بطبيعتها تميل للتعدد بينما الرجل تكفيه امرأة واحدة!

ثم ابتكر الرجل الآلة والسلاح، فبدأ عصر الملكية الفردية بحيازة الأرض والممتلكات والحيوانات. وبدأت معه سيادة الرجل اقتصاديا واجتماعيا، فالرجل هو من يقاتل حماية للملكية بالسكين، وهو من يملك البلطة والرمح للصيد وهي أدوات الانتاج الوحيدة في ذلك الزمان البعيد، فعرف العالم المجتمع الذكوري، وعرف معه دعارة الإناث لتحل محل دعارة الرجال وبنفس الحجج القديمة، امرأة واحدة لا تكفي والرجل يميل بفطرته للتعدد، فانتشرت الدعارة المؤنثة للترفيه عن السيد الجديد صاحب رأسالمال.

اليوم، بعد أن استعادت المرأة بعضا من سيادتها وامتلكت بعض النساء رأسالمال ثانية، عادت الدعارة المذكرة للظهور، من إيطاليا لمصر لأسبانيا لجنوب أفريقيا وكل البلاد السياحية تقريباً، في صورة الجيجولو[١] صديق النسوة العجائز، ولمن لا يعلم، توجد في مصر اليوم مقاهي اشتهرت بوجود هذا الصنف من الفتية المراهقين والشباب خاصة في مارينا وشرم الشيخ، وفي بعض إمارات الخليج الأكثر تفتحا توجد أماكن مشابهة لخدمة ثريات البلد والبلاد المجاورة ذات المجتمعات المغلقة، فهكذا تعود الدعارة الرجالي للظهور مع بداية الإستقلال الإقتصادي للمرأة، فالموضوع في حقيقته ليس طبيعة جنس الرجال أو النساء،

---

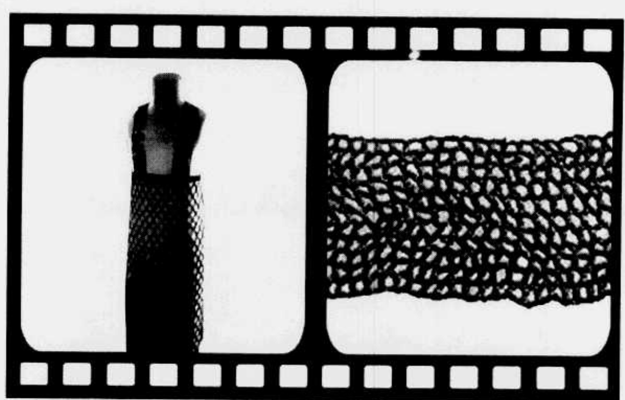
[١] كلمة ايطالية تعني الرجل متين البنيان و استخدمت عرفا للعامل في الدعارة المذكرة.

وليس سليقة موجودة في أحدهما، فالله لن يخلق في الرجل أو الأنثى فطرة تميل للخطايا، حقيقة الأمر أن من يمتلك فائضا من المقومات الاقتصادية، ولا يمتلك معه الوازع الخلقي بما يكفي، يبدأ في البحث عن الترفيه بكل وسيلة بما في ذلك الجنس والتنويع فيه، واليوم، نجد ألفاظاً تعبر عن هذه الفئة من العاهرين الرجال في كل بلاد العالم تقريبا، جيجولو في إيطاليا وبولندا واليونان وتركيا، وهاسلر في أمريكا، وستريخر في ألمانيا وسانكي بانكي في جزر الكاريبي! ليصبح العهر الرجالي مرة أخرى حقيقة موجودة في حياتنا!

الدعارة المقدسة في مصر القديمة

لم يكن الجنس عند الفراعنة تابو اجتماعي كما هو اليوم، فقد آمن المصري القديم بأهمية الجنس، حتى أنه اعتقد بوجود الجنس في الحياة الأخرى كما اعتقد في الحاجة للطعام والشراب فيها، وجد بين المصريين القدماء اعتقاد مشابه للمفهوم الهندوسي في التطهر بالجنس للوصول لحالة الصفاء الروحي، وعرفت مصر الدعارة المقدسة كغيرها من بلاد العالم القديم، وعندما نقول دعارة في هذه الحقبة يجب أن ننفي من عقولنا الصورة التي نتخيلها بتأثير واقعنا المعاصر، صورة السيدة المتهتكة الهلوك، حين نقول عاهرة في مصر القديمة فنحن نتكلم عن سيدة محترمة جدا في زمانها وقريبة الصلة بالعديد من الآلهة، على رأسهم "بس" رب المرح والترفيه و"هاتور" ربة الجمال والحب، فلم تكن تلك المهنة محتقرة أو مزدراة وقتها!

وفقا لموقع علم المصريات بجامعة آيوا الأمريكية، كان الزي الرسمي للدعارة وقتها فستانا من نسيج أشبه بشباك الصيادين قريب الشبه مما يستخدم اليوم في ملابس الإثارة، وكانت العاهرة المقدسة تحرص على المكياج الصارخ، من أحمر الشفاه الثقيل، للكحل المرسوم بعناية حول العينين على الطريقة المصرية الشهيرة، وتحرص كذلك كما تضيف مصادر جامعة تورنتو على دق الوشم على صدرها وفخذيها خاصة وشم الإله "بس"! فكم تشبه الليلة البارحة؟



الزي الرسمي لفتيات المتعة في مصر القديمة كان من نسيج الشباك
تماماً كالذي تفضله كيلي كلاركسون اليوم و الفارق 6000عام!
(الصور ملكية فكرية لمتحف بيتري بلندن)

كان من ضمن مهام عاهرات المعبد تدريب المقبلين على الزواج من الشباب والفتيات على فنون الجنس بطريقة بيان على المعلم،

وكانت معارف الفراعنة في هذا لا تقل عن معارف التراث الهندي التي اشتهرت تحت اسم فنون السوترا الهندية، ومن أشهر مراجعها كتاب كاماسوترا الأشهر لأوضاع الجماع، وبينما يعرف الكثيرون آثار خواجيراهو الهندية المليئة بالأيقونات الجنسية، نجد القليل جداً من المصريين من يعرف شيئا عن بردية التورين التي صورت الأوضاع الجنسية المختلفة في شكل احتفالي إلى حد كبير، وكذلك بردية لإمرأة ترتدي التاج الملكي ويرجح أنها "حتشبسوت" في لقاء جنسي مع رجل، ولم تكن مصر وحيدة في هذا،فمثلها كانت بابل والهند واليونان وغيرها،عرفت الدعارة المقدسة كمهنة خدمية محترمة، وغالبا ما قدمت العاهرة المقدسة خدماتها في معابد الآلهة!



بردية التورين

الرايات الحمر

لطالما ارتبطت الدعارة بالأديان الوثنية القديمة في كل بقاع العالم تقريبا، وقد عرف مجتمع العرب الجاهلي هذا الأمر فكان هذا النشاط المشين من آفات الجاهلية التي قضى عليها الإسلام، ولم تكن مكة في الجاهلية استثناء من هذا، بل كانت أحد المجتمعات التي عرفت الدعارة المقدسة بحكم شهرتها وموسم الحج الرائج فيها بين عرب الجزيرة جميعاً، ولم يكن العرب يعتبرون ممارسة الجنس مع العاهرة زنا! فالزنا عندهم ما كان مع امرأة حرة لما قد يترتب عليه من عار للقبيلة التي تنتمي إليها المرأة نظرا للإعتداء على ممتلكاتها، باعتبار النساء ضمن هذه الممتلكات في ذلك الزمان، فيترتب على هذا حرب انتقامية من قبيلة أو عشيرة المرأة ضد عشيرة الرجل، فكره العرب هذا اللون من الزنا لأنه يجر عليهم الدمار، أما المحترفات فكن يعتبرن جواري من لا جارية له، وبسبب هذا التفريق الجاهلي بين الزنا مع الحرة وممارسة الجنس مع صاحبات الرايات الحمر جاء تحريم الدعارة والتشجيع عليها في القرآن مستقلا ومنوهاً عنه برغم التحريم العام للزنا قبله.

وبعض صاحبات الرايات الحمر كن يعملن موسميا فقط خلال فترة الحج، أما بقية العام فهن إما جواري مملوكات لبعض سادة مكة أو زوجات في بعض الأحيان النادرة، فكما كان في مكة بيوت شرف عريق كالبيت الهاشمي الذي ينتمي إليه الرسول صلى الله عليه و سلم، كان فيها بيوت انعدمت فيها النخوة والشهامة وبيع فيها العرض بدراهم معدودة في هذه البادية الصحراوية.

وكان زواج الرهط شكلا من أشكال الدعارة المقننة، حيث يتزوج رهط من الرجال من ثلاثة لعشرة من امرأة واحدة من العاهرات فتقتصر عليهم ولا تواقع غيرهم، ويشترك الرهط في مهرها ومعاشها، فإذا حملت وولدت كان لها أن تلحق وليدها بأي رجل من الرهط، و لا يستطيع الرفض وفقا للعرف القبلي.

دعارة القرنين الثامن والتاسع عشر



الكارخانات و المواخير ، علب الليل في القرنين الثامن و التاسع عشر

لم يكن البغاء مشروعا في القاهرة في القرن الثامن عشر إلا أن كل منطقة فيها كان لها ما يسمى بشيخ العرصة، ومنه يشتق اللفظ العامي المعبر عن الديوث حاليا، وهذا الشيخ الغير محترم يعتبر موظفا شبه

نظامي كشيخ الحارة، لكن منطقته أوسع من مناطق شيوخ الحارات ومهنته أحقر بكثير من مهنتهم، مهنته كانت تنسيق علاقة العاهرات بالدولة، فعدم مشروعية البغاء لم تمنع الدولة من جمع الضرائب من العاهرات والمندارين.

و عندما جاء "نابليون بونابرت" إلى مصر كانت خطته الأولى هي الإقامة الطويلة بجنوده فيها، لذلك أنشأ كارخانة لعسكر الفرنسيس وألحق بها الراقصات والعاهرات، فكانت تعرف باسم غيط النوبي، لأن شيخ العرصة بهذه المنطقة كان نوبياً، وحين تولى "محمد علي" باشا حكم مصر سمح بالدعارة لفترة، لأن كثيرا من أولاد الناس كانوا يستثمرون في شراء الجواري لتشغيلهن في الدعارة! وأولاد الناس هو اللقب الذي كان يطلق على المماليك وأولادهم تمييزا لهم عن أولاد البلد من المصريين، فلما قضى "محمد علي" على المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة نفى العاهرات لمدن إسنا والأقصر وقنا في الصعيد، ولكن حين تولى "عباس الأول" سمح دولته بعودة رعاياه من البغايا للقاهرة!

دعارة التاريخ الحديث

في القرنين التاسع عشر والعشرين بلغت حركة التنوير في مصر أقصى معدلاتها، أفاق الواعون من أبناء البلد لوضعه الحضاري المتدهور، فقاموا يجاهدون ليصلوه بالعصر الحديث وآدابه وعلومه، وبينما كان هؤلاء المتطلعين نحو العلا يلهجون طلبا للعلم والنور، كان قاع المجتمع مشغولا بأحداثه الخاصة، حيث مثل جنود الاحتلال الإنجليزي سوقا

ضخما للبغاء، فازدهرت هذه الصناعة أيما ازدهار في ظل الاحتلال، وأرجو أن ننفي من رؤوسنا صورة البغي الشريفة التي تمارس البغاء مع المستعمر لهدف قومي وتساعد الفدائيين، فصويحبات الإنجليز هؤلاء كن أخلص للجنيه منهن لآبائهن فضلا عن الوطن! على هذا تربين فنشأن بناتاً مخلصات لبيئتهن.



فتاة ليل في نهايات القرن التاسع عشر

ثم عرفت مصر الدعارة المشروعة المرُخص بها قانونا في الفترة ما بين عام ١٩٠٠م وعام ١٩٤٩م حين منعها القانون بموافقة مجلس النواب، وخلال هذه الفترة صدرت عام ١٩٠٥م لائحة تنظيم بيوت العاهرات، ثم صدرت بعدها لائحة البيوت العمومية عام ١٩١٦م كما يورد الدكتور "عبد الوهاب" في بحثه، ويروي أن الإنجليز اهتموا بالعاهرات

كثيرا للحفاظ على صحة جنودهم، فكان مندوبو السرية الطبية البريطانية يجلسون أمام الطوابق الأرضية للمواخير حيث يسلمون لكل جندي واقيا ذكريا وعلبة مرهم وكراسة التعليمات! نعم كراسة لتعليمات الوقاية من الأمراض الجنسية وأهمها في ذلك الحين الزهري والسيلان.

كان للوعد ساحاته وميادينه، فكانت مناطق كلوت بك والوَسَعَة ووِش البِركَة ودرب طِياب وعطفة جَندَف ودرب المصطفي هي ساحات الوعد في القاهرة، وكذلك كانت منطقة ما وراء الحقانية وجبل ناعسة وحي اللبان هي مناطق الدعارة في الإسكندرية.

وكانت أرخص المواقع لممارسة الجنس هي منطقة عرب المحمدي، ويصفها الدكتور "عبد الوهاب" في كتابه قائلا: كانت محلات الممارسة فيه لا تتجاوز حفرة في الأرض ممهدة للقاء، تغطي من أعلي بستارة مثبتة ببعض الحجارة من أطرافها، وعندما يفرغ العميل من مهمته يتم رفع الحجارة وإزالة الستارة لدخول عميل جديد، أما نظام المحاسبة في عرب المحمدي فكان مقززا حتى الموت، كان العميل يدفع للقواد قبل دخول الحفرة، وفي نهاية اليوم، حتى تحصل المومس علي أجرها على قدر إنتاجيتها كانت تقدم للقواد حصيلة إنتاجها، كيزان ممتلئة بالسائل المنوي للعملاء، بعد أن أفرغته من جهازها التناسلي! فيدفع القواد مبلغاً محدداً لقاء كل كوز! لا أظن أن هناك أكثر بشاعة من هذا الامتهان لآدمية البشر؟

أما منطقة الأزبكية طبقا لتقرير بوليس القاهرة عام ١٨٩٣ فكانت تضم أعلي نسبة من الفنادق والغرف المفروشة، فكانت مرتعاً للخاصة والأثرياء، بينما منطقة الوسعة ووش البركة تضم عشرات البيوت المقسمة لغرف أو دكاكين مغطاة بستائر، وسعر الممارسة كان يتراوح في العشرينات بين شلن وخمسة عشر قرشاً وكان السعر مكتوباً علي الباب، كما كانت هناك بيوت أخري مغطاة بقضبان حديدية تجلس خلفها المومسات بوجوههن المصبوغة، وعندما صدر الأمر العسكري عام ١٩٤٢ بإغلاق منطقة وش البركة لجأت العواهر لممارسة الجنس مع جنود الاحتلال في المقاعد الخلفية لعربات الحنطور.

ألم تتساءل أبداً ما هو موضوع "علي عوض" هذا ولماذا يضايق اسمه العربجية؟ خاصة اذا ذكر مقترنا بكرباج ورا يا أسطى؟ فاتت هذه النقطة الدكتور "عبد الوهاب" في بحثه الشيق، والمروي بخصوصها أن "علي عوض"- وهذا كلام سمعته بأذني من عربجي عجوز والعهدة عليه- كان أحد شيوخ العربجية وكان مشهوراً بالتنسيق بين العاهرات والعربجية مقابل عمولة من العربجي، فكان العربجي الشريف اذا أراد أن يكيد زميلا له ممن يقبل بركوب المومسات مع الإنجليز في عربته، يقول له: كرباج ورا يا علي يا عوض، أي يا قواد، وتعبير "كرباج ورا يا أسطى" يقال لتنبيه العربجي لوجود أطفال متعلقين بخلفية الحنطور، ولكنه في حالة حناطير العاهرات هذه كان يقال لمضايقة العربجي لأنه لا يستطيع ضرب كرباج للخلف وإلا أزعج العاهرة وزبونها في العربة الخلفية المغطاة! ثم انتشر التعبير فعير به كل العربجية ظلما وعدواناً!

مصطلحات وتخصصات وعدية

لكل مهنة تخصصاتها ومصطلحاتها، وكذلك كان الحال عندما ازدهرت أقدم مهنة في التاريخ في المحروسة، كانت هناك تخصصات وأدوار موزعة بدقة وعمل يمتاز بروح فريق عالية جدا في خدمة الشباب وطلاب العلم والفلاحين والأفنديات من طلاب المتعة الحرام كما تسميهم صفحات الحوادث، وإليكم بيان بالتخصصات:

- المومس: وهذه معروفة للجميع، فهي لب الموضوع والسلعة التي تباع للمستهلك النهائي

- المندار أو الخنت: وهو الذكر المخنث الذي يهوى كما تهوى النساء، وكان مفضلاً للخدمة في بيوت الدعارة كما كان بعض الزبائن من الشواذ يفضلونه على النساء

- البادرونة: وهي صاحبة البيت الحاصل على رخصة دعارة، وهي مأخوذة من باتروناج الفرنسية وباترونة الإيطالية ومعناها في الحالتين الراعية أو الجهة التي يتم تحت اسمها العمل أياً كانت طبيعته

- السَحَّاب: وهو الموكل باسلقاط البنات المرشحات للعمل وإقناعهن بالعمل في الدعارة لأول مرة، فيسحبهن للعالم القذر

- القواد: وهو المكلف بفرز الناس في الشوارع المحيطة واختيار الزبون المليان ليكون من نصيب فريقه

- **العايقة:** وهي العاهرة بعد الخمسين، السن التي لا يجدد لها ترخيص الدعارة بعد بلوغها، فغالبا ما تعمل سحابة أو قوادة حسب مهاراتها وعلاقاتها، ومن هنا جاء المثل الشعبي بما معناه: إذا تابت المومس عملت بالقوادة.

كانت هذه هي الوظائف الجوهرية في سوق الوعد، ولدينا بعد هذا بضعة وظائف طفيلية تعيش على إنتاجية الوظائف سالفة الذكر، وأهمها ما يلي:

- **البرمجي:** ليس مفرد برمجيات، فهذا البُرمجي بضم الباء هو عشيق المومس والحارس الخاص لها، وكان على كل مومس أن تملأ عين البرمجي خاصتها وتطعمه وتجلب له الدخان والكيوف وإلا هجرها إلى غيرها، فإذا كان خلفه ضعيفا أصبحت هي وهو هفية في حي البغاء ومطمعاً للبلطجية.

- **البلطجي:** كان عنصراً بلا دور حقيقي كذلك، لكنه يفرض إتاوة على المومسات والبرمجية بقهر عصابته، وقد بدأ البلطجية أتراكا ثم خلفهم المصريون في هذا الشرف، وأصل الكلمة من فرقة "البلطة جية" أي الضاربين بالبلطة في الجيش العثمانلي، وكان دورهم تقطيع الغابات لمرور الجيش التركي أثناء غزو أوروبا، فكانوا ضخام الجثث يجيدون الضرب بالبلطة ولا يجيدون القتال، وحين أصبحت تركيا الرجل المريض وتوقفت عن الغزو سرح هؤلاء من الجيش، فانتشروا بين مصر والشام يرتزقون بالبلطة والإرهاب، وكانت أسهل الفئات انصياعاً لهم

هي فئة الدعارة، لأن البغي تخشى أن يشوهها البلطجي برش ماء النار أو إصابتها بالجراح البالغة فتفقد بذلك مؤهلاتها وإمكاناتها الوظيفية.

الصيني في المهندسين

مازالت الدعارة موجودة ومتنامية في مصر ولا ريب كما هي في كل الدنيا، وفي السبعينات والثمانينات ذاع صيت شارع الهرم داخل مصر وخارجها، حيث كانت بعض ملاهيه الليلية مكانا للقاء الزبائن بالمومسات والاتفاق على كل شيء، كذلك كانت شوارع وسط البلد - خاصة ما قرب من البارات القديمة- مليئة بالقوادين الذين يتوسمون الزبون المناسب ويتفاوضون على الأجر، أما منذ نهايات التسعينات وحتى اليوم فقد أزاحت المهندسين كل هذا لتحتل موقع الصدارة، فأصبح الحي كله وخاصة شارع جامعة الدول العربية وما حوله لا يطاق صيفا، لكثرة العيون الجائعة للحم رخيص وانتشار إماء الدولار والدرهم والريال، ثم ظهرت بدعة جديدة جداً، هي ما يسمى بالزواج السياحي، وهو زواج يدوم مادامت زيارة الأخ النفطي للبلد، وليس هذا الزواج قاصراً على مصر، فهو معروف كذلك في سوريا ولبنان وغيرها.

يقول من يدعي العلم ببواطن الأمور أن هناك مومسات متخصصات في الأجانب من الأوروبيين والأمريكان، وهؤلاء يقطن المعادي والزمالك وغيرها ويرافقن الزبون مدة وجوده أو جزء منها مقابل راتب يومي أو شهري ثابت، فهي دليله في النهار و ونيسه في الليل، و هو ما يعرف في أوروبا باسم المرافقة المحترفة وهن أرقى مستويات الدعارة،

وكذلك هناك متخصصات في السياح العرب، وهؤلاء يتعاملن بالليلة أو الأسبوع، أما أحط الأنواع فيقال لها بتاعة الطلبة، وهذه عادة ما تكون في الترع الأخير من عمر أنوثتها ولذلك فهي متهاونة في أجرها، فيكنى عن هذا بأنها في متناول الطلبة الذين لا يملكون ثمن عاهرات الدرجة الأولى.

المصيبة الجديدة أن الصين دخلت معنا على الخط، فالغزو الصيني بعد أن احتل مرافق وأسواق البلد، بدأ الهجوم على سوق الدعارة، ويقال أن الظاهرة على مستوى إقليمي وتعاني منها لبنان والإمارات والمغرب فضلا عن مصر، والصينيات بالطبع يحطمن الأسعار تحطيما، فضلا عن شبابهن ورشاقتهن الغير متوفرة في الصنف المحلي، فبدأ زبائن الصيف من الدول الشقيقة يلهثون وراء البضاعة الجديدة، ويبدو أن البساط بدأ يسحب من تحت يد المنظومة المحلية من السحابين والقوادين والمومسات، فهذا العنصر الوافد يعمل بطريقة البيع المباشر للجمهور بدون وسطاء ولا سحابين ولا غيره، لهذا فالمنافسة السعرية ساحقة.

والمنافسة ليست من الصين ومن جاء منها وحسب، لكن مأساة سوق الدعارة اليوم في منافسة الهاويات وأنصاف الهاويات! كلنا سمعنا عن شبكة دعارة العذارى في الصحف! فضلا عن وجود بعض السائحات من الدول الشقيقة يرددن القلم ويمارسن نفس اللعبة مجانا مع الشباب المصري وفي ذات الأماكن التي يعبث بها رجالهن! متسترات بالسواد وغطاء الوجه أحيانا!

وهنا يطرح سؤال نفسه بوضوح، لو كانت مصر الخمسينات والستينات ضالة كما يدعي البعض، ثم شهدت من السبعينات ولليوم حالة صحوة دينية كما يدعي نفس البعض، فلماذا خمدت فيها أصوات المصانع وعلت أصوات الكباريهات؟ لماذا قل دوران السواقي وزاد دوران الروليت؟ لماذا نزلت فتيات الجامعات لسوق الدعارة؟ أليست كل هذه ظواهر الانفتاح؟ الانفتاح على العالم القذر تحديداً؟

دموع السينما

يوم وفاة الشاهين الحـــر

مات عصفور السينما المصرية المتمرد على الأقفاص والأقفال وصقرها الشاهين الذي لم يدجن أبداً و لم ينافق أو يهادن، قرأت خبر موته منذ لحظات، هو المبدع السينمائي المصري الأعرق ومربي جيل من المبدعين، المتمرد على المألوف والمكرس في حياتنا والثائر على الظلم والقهر بلا حدود، مات "يوسف شاهين" النقي كقطر الندى، المبدع كتصاريف الدهر، والثائر كبركان، وخمدت الرأس التي كانت عنيدة صلبة في وجه كل ما هو قبيح في حياتنا، وأغلقت العين التي أعدت أجمل اللوحات في تاريخ السينما المصرية، مات عميد الفن السابع المصري وفي غضون أسابيع قليلة بعد موت الكاتب الكبير "عبد الوهاب المسيري"! فمالك بنا يا موت؟ مالك لا تخطف إلا أروع الجياد؟ و لا تنتقي إلا من نحب ومن بهم نثق؟ اللهم لا اعتراض وكل نفس حتما تذوق الموت، لكن كما قال "صلاح جاهين" يوما: بس الفراق صعب .. واحنا شعب قلبه حنون، لقد كان هؤلاء في حياتنا أقمارا وكانت معاصرتنا لهم شرفا نشرف به ونفخر، فمن للأحياء من مفكرين ومبدعين بعدما تختفي أجمل الجياد في صحرائنا وأسطع النجوم في سمائنا؟

الموت حق على كل حي، وليست المأساة فيه، لكنها في عدم ظهور كبار جدد ليحلوا في حياتنا محل الراحلين، فما عدا فلتات متناثرة مثل "علاء الأسواني" أو "خالد يوسف" أو "محمد منير" أو "خالد الصاوي" وغيرهم، لا يظهر فينا الكبار في إبداعهم ومواقفهم من الحياة بذات الزخم السابق في فن ولا أدب.

مشوار مع ملح الأرض

قال بعض نقاد السينما عن "شاهين" يوما أنه مخرج الصفوة وليس مشغولا بالجماهير، وهذا ما نختلف معهم فيه، فقد عاش بفنه وعطائه منحازا لملح الأرض، للفقراء والمهمشين والبسطاء وللطبقة المتوسطة التي تفريها الحياة المعاصرة، فلم يكن مخرجا نخبويا أبداً، ربما كانت مفرداته الإبداعية نخبوية، لكن هاجسه المحوري كان الكادحين، فمر رحمه الله بمرحلة كان فيها مخرجاً وحسب قبل أن يصبح المخرج النجم في ظاهرة هي الأولى من نوعها في السينما المصرية، وربما الوحيدة بخلاف "صلاح أبو سيف" و"شادي عبد السلام"، وفي مرحلة ما قبل النجومية هذه كانت له أفلام مثل "بابا أمين" و"صراع في الوادي" و"ابن النيل" وغيرها، أفلام وإن تميزت بمذاق خاص إخراجيا مقارنة بزمالها إلا أن الفرس الجموح فيها كان بعد مقيدا بضوابط التقاليد الفنية، ولكننا نرى التيمة الأخلاقية تجاورها التيمة الاجتماعية في "ابن النيل"، بينما "صراع في الوادي" هو صراع اجتماعي بحت، حقق فيه ابن الطبقة المتوسطة والذي لعب دوره "عمر الشريف" الاستقلال لأرض والده، على

عكس خطط الانتهازي "فريد شوقي" والملكي "سراج منير"، فقد كان الفيلم المنتج عام ١٩٥٤م تأريخا للثورة التي عشقها "شاهين" وعاش معها الانتصارات والانكسارات مؤرخا لها بفنه، أما "صراع في الميناء" وشخصية "رجب" مميزة التركيب، فكانا تصويرا لصراع طبقي مكتمل الأركان ينحاز فيه الفيلم للكادحين.



لكنني أحسب أن الحرية الكاملة لم تتحقق لشاهين قبل "باب الحديد"، أحد روائعه الخالدة، فحين نرى أنا أو أنت أحد المهمشين في حياتنا أثناء لقطة عابرة أو موقف طارىء في محطة القطار أو في الشارع، لن نلبث بعد لحظات أن ننشغل بحياتنا تماما وننساه، هذا هو الفارق بين المبدع الكبير والإنسان العادي، فشخصية بأبعاد شخصية

"قناوي" لن تشغل غير عين مبدعة كعين "شاهين" لترصدها وتجعلها بابا لفيلم يتناول تيمة الطغيان الاقتصادي وكفاح المهمشين ومعاناتهم، ممثلا في تطلعات "هنومة" وإحباطات "قناوي" المعتل عقلا وصحة فضلا عن علته الاجتماعية وهي الفقر والعوز.

ثم يخرج فيلمه العالمي المستوى "جميلة" عن القصة الحقيقية للمناضلة الجزائرية "جميلة بوحريد"، في زمن كانت فيه القاهرة تحتفي بالمناضلين، والفيلم أخرج عام ١٩٥٨م بعد أن استقبل الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" المناضلة "جميلة بوحريد" ضمن من استقبل من مناضلي الجزائر، وكان الفيلم أيضا مع المكافحين ضد الطغيان، طغيان شعب على شعب هذه المرة ممثلا في الاحتلال، وفي حين أرخ فيه "شاهين" للنضال القومي العربي، تجنب التطرف نحو الصرعات المعادية للغرب من خلال إبراز شخصية المحامي الفرنسي الشريف، والذي لعب دوره الفنان القدير "محمود المليجي"، لينبه المشاهد أن المحتل الفرنسي لا يمثل كل شعب فرنسا وأن لكل شعب شرفاؤه بعيدا عن ألعاب السيرك السياسي، فلا توجد أمة شريرة ولكن يوجد عادة سياسيون أشرار.

ثم أخرج فيلم "الناصر صلاح الدين" فأرخ للروح القومية التي سادت مصر وقت انتاجه عام ١٩٦٣، عندما كانت مصر مع قائدها في عنان السماء اقتصادا وسياسة وتتطلع لتكرار أكثر نضجا لتجربة الوحدة مع العراق وسوريا ولبنان هذه المرة في وحدة رباعية، وللمرة الثانية ركز "شاهين" على الايجابي في شخصية "ريشارد قلب الأسد" حتى نكره الشر المتمثل في الحروب الصليبية ومن أشعلها دون

أن نتورط في كراهية الآخر، والآخر هذه المرة هو أوروبا مجتمعة، ويبرز الفيلم إمكانية اللقاء الإنساني مع الغرب من خلال القصة المؤسطرة للقائد "عيسى العوام" مع "لويزا" الأميرة الصليبية، وجعل "عيسى العوام" مسيحياً ليبرز من خلال معاملاته مع السلطان وأقرانه مدى مدنية الإسلام واحتفائه بالآخر، لأن الفيلم عرض ويعرض في الخارج



سبحان الله .. تجد اليوم من يقول أنه رحمه الله فعل ذلك حقدا على الإسلام! فغير شخصية العوام الذي كان مسلما بشخصية مسيحي لأنه هو نفسه مسيحي! وأنه دعى للرذيلة من خلال علاقة القائد بالأميرة الصليبية! وهنا لا نعلق بقول غير .. وماذا علينا لو لم يفهم البقر؟

بعد حرب النكسة، والتي كسرت شيئا كبيرا بقلب شاهين، صـــام عن الإبداع أربعة سنوات ثم صور فيلم "الأرض" الذي أخرجه عـــام ١٩٧٠م قبل وفاة "ناصر" مباشرة، فكأنه كان نبؤة بالارتداد عن خط الثورة بعد قائدها، والانحياز الذي ساد بعـــد "ناصـــر" للإمبراطوريـــة العثمانية من الوجهاء والأثرياء نسبة للسادة "عثمان أحمـــد عثمـــان" و"رشاد عثمان" والارتداد عما أنجزه الإصلاح الزراعي في مصر، فكأن "شاهين" كان يسجل في "الأرض" مآسي إقطاع ما قبل الثورة ومعاناة الفلاح البسيط والعلاقات الاجتماعية البسيطة ظاهرا والمعقدة باطنا في مجتمع القرية المصرية، ربما ليبرأ نفسه مما سيحدث من ردة اجتماعية في السبعينات، والفيلم يبقى أقوى انحيازات "شاهين" للفقراء والبـــسطاء ضد الفساد.

فيلم "العصفور" عام ١٩٧٤م بعد نصر أكتوبر، صور فيه "شاهين" حالة التوهان التي عاشتها مصر عقب الهزيمة وجسد الحماس للنـــضال والتمسك بالرمز رغم الهزيمة في اندفاع "بهية" نحو الشارع مع سمـــاع خطاب التنحي وهي تقول: مش معقول .. مش معقول، لتنادي مـــع الناس بعودة الزعيم، وتهتف معهم قائلين: حنحـــارب .. حنحـــارب، تعبيرا عن مرحلة الصمود والتحدي، ستلاحظ بعض المرارة من الزعيم "جمال عبد الناصر" في الفيلم، لكنها مرارة ممزوجة بقدر كـــبير مـــن الحب، مرارة الاحباط ممن توقعت منه خيرا كثيرا! ثم يأتي العبور العظيم الذي دفع ثمنه الشهداء وتسلمه رجال الأعمال والمطبعين، لقد كانـــت "بهية" في الفيلم هي الرمز التقليدي لمصر و ابنتها رمز الكادحين مـــن

الشعب، وقد كتب العديد من النقاد عن آخر أفلام "شاهين" وهو فيلم "هي فوضى"، والذي أرخ فيه لفساد السلطة التنفيذية في الألفية الثالثة، ورأوا الفيلم كأنه الجزء الثاني من "العصفور"، فأمين الشرطة الفاسد "حاتم" يغتصب ابنة "بهية" كما اغتصبت السلطة التنفيذية الكثير في مصر المعاصرة، ويردد طول الوقت عبارة: اللي مالوش خير في حاتم مالوش خير في مصر! خالطا ذاته بذات الوطن! وتعرض "بهية" مشكلتها مع أمين الشرطة "حاتم" على عضو مجلس الشعب الإخواني عن دائرتهم، فيصعقها الكذب والفساد في الرجل الملتحي مدعي التدين، فتخرج من مكتبه غاضبة وهي تنزع الحجاب الذي لبسته خصيصا لمقابلته من فوق رأسها، و لم ينقذ سمعة البنت ويحقق عقاب الجاني في النهاية إلا رجل القضاء الشريف، هنا يتنبأ "شاهين" بأن السلطة القضائية هي المحرر المنشود من فساد السلطة التنفيذية، في فيلم رائع في رمزيته وتبشيره بنهاية الفساد بإطلاق "حاتم" النار على نفسه حين تحاصره جموع الشعب في قسم البوليس.

بشارة العودة في الابن الضال

بعد هذه القفزة على المشوار والتي اقتضتها علاقة "العصفور" مع "هي فوضى" نعود للفيلم الذي أرخ لمصر السبعينات، فيلم "عودة الابن الضال" من إنتاج عام ١٩٧٦م، وواحد من أروع أعمال "شاهين"، فهو يمثل الصراع بين الشباب القومي الاشتراكي الممثل في "علي" المتمرد على أخيه "طلبة"، والذي يرمز للسلطة المتحالفة مع رأسمال

المستغل من خلال شخصية الضابط الذي ترك الجيش وعمل في المقاولات والتوريدات، في إشارة واضحة لتركيبة الرئيس "السادات"، و"طلبة" حين يغتصب "سهير المرشدي" في دور خطيبة أخيه وحبيبته، يرمز لاغتصاب رجال الأعمال والأفاقين لمصر الثورة، بعد أن تمرد "علي" عليه وخرج في رحلة خارج "ميت شاتورة" كما خرج المبدعين الناصريين من مصر أفواجاً بعد ١٩٧٤م، واسم القرية الذي يمزج "ميت" المصرية مع "شاتورة" السورية هو أول الإشارات الوحدوية في الفيلم، ثم يبشر الفيلم بعودة "علي" وبانحياز الشباب "هشام سليم" و"ماجدة الرومي" له ولحلمه النظيف، ويمثل موقف كل من "علي" و"طلبة" من عمال المصنع موقف الفيلم الاجتماعي المنحاز للبسطاء، كما يمثل شخص والد الفتاة الشابة، السوري الذي عشق مصرية وتزوجها وأنجب منها منهج الفيلم العروبي الوحدوي، والحوار الغنائي الرائع في استعراض الشارع لنا يلخص رمزيات الفيلم كاملة



الحرب ضد التطرف الديني

كانت هذه برأيي أهم ملامح مشوار "شاهين" قبل رصده للمد الجديد، وهو مد ديني ظاهريا وسياسي فاسد باطنيا، رصده الراحل في أفلام "المهاجر" و"المصير"، فضلا عن رصده علاقة هذا المد بأمريكا في فيلم "الآخر"، ففي "المهاجر" يقدم رؤية مغايرة لفهم القصص الديني، وكان قد قدم الفيلم عام ١٩٩٠م للأزهر تحت اسم "يوسف واخوته" فرفض، فعدل الأسماء وحور القصة فقبل الفيلم ونفذ عام ١٩٩٤م، والفيلم يقدم تصور للدين كثورة اجتماعية، فالبطل "رام" ثائر على حياة الرعي الجافة، جاء إلى مصر إثر مؤامرة إخوته عليه فطلب تعلم الزراعة، وفي مصر كانت الثورة على الجمود والخمول الفكري والاجتماعي، يتعلم "رام" الزراعة على حدود مصر ويخضر الأرض،

والفيلم رؤية رمزية في أن النبوة والنماء والخير والتقدم معاني متقاربة، لأنها تخدم هدف الله من خلق الانسان، التقدم والخلافة في الأرض، ولما منع الفيلم من العرض ورفع من دور السينما نتيجة الهجوم الضاري عليه من التيارات السلفية وغيرها، تفرغ "شاهين" في فيلمين متتاليين لضرب التطرف في مقاتله، فخرجت للنور أجمل روائعه، فيلم "المصير" الذي بعث فيه رسالة واضحة لثقافة المنع والحجب، محتواها لخصته العبارة على لسان شخصية "ابن رشد" في الفيلم، حين قال أن للأفكار أجنحة لا يستطيع أحد أن يقيدها، هازئا ممن منعوا فيلمه، وتحققت سخريته، فكلنا الآن يمكنه الحصول على فيلم "المهاجر" الذي منع قديما من شبكة الانترنت!

كذلك ضرب "المصير" تيار التطرف بكشف ازدواجيته وأهدافه السياسية الطامحة للسلطة من خلال القصة المحورة لحياة الفيلسوف الإسلامي الأكبر، قاضي قرطبة شيخ الإسلام "ابن رشد الأندلسي"، الذي يعرفه كل دارس للفلسفة في العالم، وصاحب الفكر المناهض للفكر الأشعري بريادة "أبو حامد الغزالي"، وأغنية الفيلم: **على صوتك بالغنا .. لسه الأغاني ممكنه**، هي أحد أجمل العلاجات النفسية الممكنة عندما تشرف على الاكتئاب لأي سبب، أما الأغنية التي يغنيها الارهابيون في قلعتهم: يا ربنا ليس لنا من أمرنا إلا السكوت .. يا ليتنا نرضى بما يعطى لنا حتى نموت، ففيها سخرية لاذعة من عقلية التطرف.

ثم ختم "شاهين" معاركه ضد التطرف بفيلم "الآخر" الذي رصـــد علاقة التطرف السلفي والإرهاب بعصر القطـــب الواحـــد والهيمنـــة

الأمريكية من خلال سيدة أمريكية تكره فتاة مصرية فقيرة يحبها ابنها، فتكيد لها من خلال أخيها المتطرف والذي تدعمه الأمريكية ماليـــا، ثم تعتزم السيدة تدبير مصرع الفتاة مع أخيها الإرهابي في مواجهة أمنيـــة، تحرك هي فيها كل الأطراف لصالحها، لكن ابن الأمريكية يكون مـــن ضمن الهالكين مع حبيبته، وهنا تنبأت رؤية الفنان المبدع عام ١٩٩٩م بالمصير الذي ينتظر أمريكا في ٢٠٠١، بعد أن كثـــر لعبـــها بورقـــة التطرف الديني عبر السبعينات والثمانينات والتسعينات.

و على مر الفترة من ١٩٧٩م و حتى ٢٠٠٤ أخرج "شاهين" ســـيرته الذاتية في أربعة أجزاء، كانت في فصولها الأولى اضاءات على الطبقـــة الوسطى المصرية ثم اضاءات على العلاقة المشتبكة بين العربي والأوروبي والأمريكي، مع رصد دقيق لتحولات المجتمع عبر مساحة واسعة مـــن الزمان والمكان.

رحمك الله يا "يوسف" يا ابن مصر البار وابن الإسكندرية البـــار، يـــا خريج فيكتوريا كوليج ومعاهد السينما الأمريكية المصري جدا، وابـــن البلد الجدع جدا والصريح جدا، المؤمن بفنه إلى مالا نهاية، والمتواصـــل العطاء عبر ما يقرب من ستين سنة في بلاط الفن السابع، رحمـــك الله بقدر ما أسعدت وقدر ما علمت ونبهت، رحمك الله قدر ما حاربـــت من قوى الجهالة والظلام، ورحمك الله قدر ما أحببت بلادك وأمتـــك، وقدر ما قدمت لهما من فن جميل.

الفقاريات قليلة الأدب

ملحوظة هامة: قراءة هذا المقال لمن هم فوق عمر ١٨ عاما فقط

من لطائف لغتنا العامية التي تعكس ثقافتنا، التعبير عن الجنس وكل ما له علاقة به بكلمة "قلة أدب"، خاصة في أوساط السيدات والفتيات، على الأقل حتى جيلي أنا من السيدات والفتيات، ولأن هذا المبحث عن الجنس في الفقاريات يهدف بالطبع للتثقيف الجنسي للإنسان، فقد رأيت أن أسميه باسمه هذا احتفاءً بثقافتنا الجنسية المميزة في مصر!

لدراسة الجنس في الثدييات خاصة والفقاريات عامة أهمية تتجاوز علوم الحيوان ذاتها، فلها مدلولاتها في علم النفس الإنسانية، وعلم النفس الجنسي تحديداً، فضلاً عن جدوى دراستها للمهتمين بفلسفة الحياة والبيولوجي وغيرهما، فالجذور العميقة للسلوك الجنسي للإنسان تجدها هناك في مملكة الحيوان، خارج إطار العقل والضمير المتحكمين في السلوك الجنسي البشري، والمشكلين له وفقاً لأعراف وتقاليد كل مجتمع وظروف وبيئة كل فرد، فبينما كان الإعتقاد حتى منتصف القرن العشرين أن الإنسان والدرافيل والأسود هي وحدها الأجناس التي تمارس الجنس بهدف المتعة خارج إطار التناسل البحت، تغيرت هذه الصورة تماما في العقود الأخيرة، فخرج علينا علم الجنس في الحيوان بأعاجيب كثيرة.

هناك عدد لا نهائي من الأبحاث والتجارب العلمية في هذا المضمار، لعل من أثراها تجارب الباحث الأمريكي "بريان لاندر"، فضلاً عن المراجع العلمية الهامة بهذا الصدد وفي مقدمتها كتاب بيولوجية الجنس والتناسل للباحث العالمي "آلان مولومبي"، كتاب من الممكن أن يغير نظرتك للعالم، ولا عجب أننا نجد في القرآن عشرات الوصايا بالتأمل في الكون حتى نكتسب حكمة الحياة، كما قال تعالى "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**" (فصلت:٥٣)، فاليوم يمكننا أن نفهم الكثير عن فلسفة الجنس ودوره في حياة الإنسان وكيفية تقويم انحرافاته من خلال دراسة الجنس والتناسل الحيواني، ونظراً لكون الفقاريات عامة والثدييات خاصة هي الأقرب للإنسان، فسنوليها هنا عنايتنا الكاملة.

مراهقة القوارض

تحدث مع البلوغ الجنسي تغييرات هرمونية حادة تؤثر في كيمياء المخ ضمن ما تؤثر، وهي المسئولة عن التغييرات السلوكية التي يمر بها المراهقون من البشر، المرهقون دائما بإعادة اكتشاف أجسادهم من جديد، ونفس هذه القصة بحذافيرها تحدث في القوارض من عائلة الهامستر، حيث تظهر مداعبات جنسية بين الذكور والإناث التي قاربت البلوغ، مداعبات تشمل ما يشبه القبلات والعناق والاحتكاك الجنسي، ولأن هذه المداعبات لا يحدث فيها لقاء جنسي كامل، لعدم جاهزية الأعضاء التناسلية للقيام بدورها، فهي بالطبع لا تتم بهدف

التناسل، ولكن بهدف المتعة البحتة! فكان هذا أول إثبات على عدم اقتصار الجنس عند الحيوان على دافع التناسل.



مداعبات جنسية بين المراهقين
من ذكور و اناث الهامستر

إناث البونبوس

إناث القرود من فصيلة البونبوس أصغر من الذكور حجما، لكنهن متسودات على الذكور فعلياً! فإناث البونبوس يعملن أفضل ويجلبن كماً أوفر من الطعام مما يجلبه الذكر برغم حجمه، وكما يقول المثل الأمريكي: المال يتحدث! المهم أن لإناث الفضليات فيما يبدو قررن الحصول على الإشباع الجنسي بمعزل عن الذكور، ربما للاستغناء عن الذكور الكسالى، لهذا وجد العلماء أن إناث البونبوس يمارسن السحاق

بهدف اللذة الجنسية وحتى الوصول لرعشة الجماع بالرغم من وجود ذكور كافية في القطيع! بينما يمارسن الجنس مع الذكور عند الحاجة للإخصاب فقط، وهذا يثبت لنا وجود الازدواجية الجنسية (Bisexuality) في مملكة الحيوان!

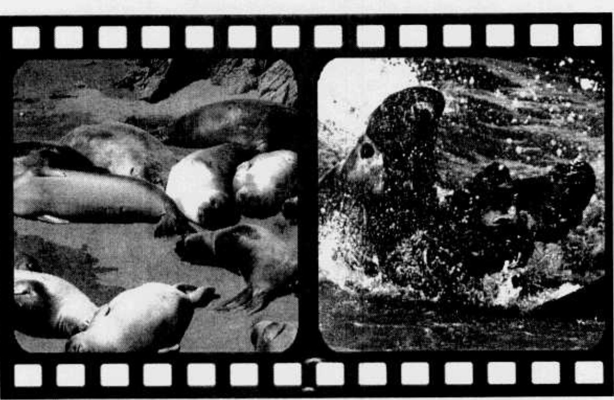


إناث البونبوس في حالة شذوذ
بممارسة احتكاك الأعضاء التناسلية

الحريم السلطاني والأرستقراطية الجنسية

الفقمة الفيلية هي أحد الثدييات المميزة في سلوكها الجنسي، والنظام الجنسي المتبع فيها هو نظام الكل للرابح بلغة القمار أو نظام الحريم السلطاني بلغة المماليك، فهناك أربعة فقط من كل مائة ذكر من

الفقمة يستطيعون ممارسة الجنس في حياتهم! أما الستة وتسعون الباقون فيتبعون نظام رهبنة إجباري، فالذكور يدخلون في معارك دامية للفوز بالليالي الدافئة، والذكر الفائز يستأثر بكل إناث القطيع منفرداً حتى يستطيع ذكر جديد أن يقهره، في وسيلة انتخاب طبيعي تحتفظ بجينات أقوى الذكور كما في العديد من الفصائل، لكن ما يميزها في الفقمات الفيلية هو الخضوع التام الذي تبديه الإناث للذكر الفائز، على طريقة الجواري، مجتمع لن ترضى عنه أي فيمنيست بالطبع!



معركة ضارية، الرابح يكسب الكل و للخاسر الوحدة و الجراح
و حريم السلطان فقمة ينتظرن من سعيدة الحظ التي سيرضى عنها الرابح

البومة سيئة السمعة

يقال لفظ سيئة السمعة على بائعات الهوى من فصيلة هوموسابيتر الشهيرة بالإنسان، وسلوك إناث البوم ليس أفضل حالاً من بائعات الهوى من البشر، فالبومة تمارس الجنس مع من يدفع أكثر، هذه هي الحقيقة المؤلمة، على الذكر أن يحضر هدية كبيرة من طعام شهي كالديدان أو الحشرات أو الأسماك والرخويات كصداق للعلاقة الحميمة التي يود اقامتها مع الأنثى، فلو بدأت البومة الغانية في تناول الطعام فهذه إشارة الموافقة على ممارسة الجنس مع صاحب الهدية، وبعد العشاء تبدأ الليلة الحمراء! لكن لو أتى ذكر آخر بطعام أفضل في الصباح ستسك البومة باب عشها في وجه زبون الليلة السابقة فوراً! لا تأمنن للبومات ولا تثق بعهودهن!!



البومة حبيبة الأغنى و الأكثر ديداناً!

الممارسات الذاتية والمثلية الجنسية في الفقاريات

كثير من الحيوانات ذكوراً وإناثاً تمارس العادة السرية، أو الجهرية بواقع الأمر لأنها لا تتحرى السرية، وذلك في حالة عدم وجود فرصة لممارسة الجنس الطبيعي، من هذه الحيوانات الخيول والسباع والوطاويط والقنافذ، وتستخدم الحيوانات الذيل أو الساقين لإحداث الإثارة الموضعية اللازمة للاستمناء، ومن أطرف وجوه الاستمناء ما تفعله إناث القنفذ، مستعينات بقصفة صغيرة من فرع شجرة أو ما شابهها! وتبقى القردة العليا هي أكثر الحيوانات غراماً بالاستمناء، ونرى في شيوع هذا دليلاً حاسما على ممارسة الجنس للجنس في عالم الحيوان.

كذلك المثلية الجنسية سواء حصرية فلا يواقع الحيوان إلا نفس جنسه، أو في شكل الازدواجية الجنسية، نجدها بوفرة بداية من الماعز وحتى الأسود! و في بعض الأحيان يغتصب الذكر المنتصر غريمه المهزوم لإثبات الصدارة والسيطرة خاصة بين القرود من باب كسر عين المهزوم، حيث يحدث هذا على مرأى ومسمع من إناثه وأطفاله!

بكل هذا أوضحنا وجود الجنس خارج اطار التناسل في الفقاريات، فهل هناك تناسل خارج إطار الجنس فيها؟

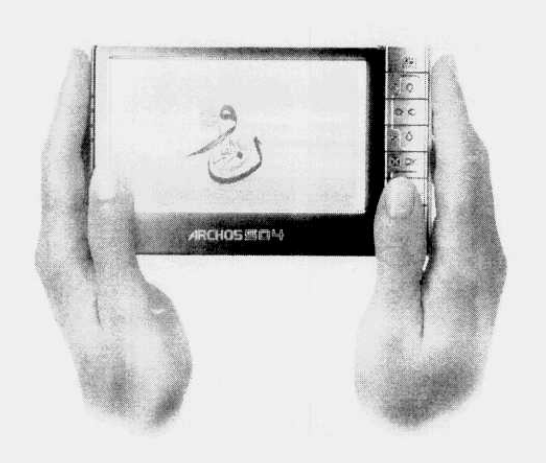
التناسل العذري

في اللافقاريات، توجد إمكانية معروفة منذ القدم للإخصاب الذاتي، وهذا في حالة انعزال أفراد من الإناث بعيدا عن الذكور، فيحدث مع تكرر التبويض بغير إخصاب حالات تتطور فيها البويضة الغير مخصبة إلى زيجوت ثم جنين، وفي العقود الأخيرة سجلت هذه الظاهرة في الفقاريات في بعض فصائل الأسماك والطيور، حيث تتحول البويضة إلى زيجوت وتنقسم لتمر بكل مراحل نمو الجنين لتنتج أنثى جديدة تتطابق جيناتها بنسبة ١٠٠% مع جينات الأم .. استنساخ طبيعي يمكننا القول! ومؤخراً جداً سجلت هذه الظاهرة في ثدييات بحرية! ومن يدري ماذا يحمل الغد؟

من كل ما سبق نخرج بحقيقة واحدة، لو أراد الله لنا أن نتناسل فقط لما كانت هناك حاجة لآلية الجنس! فالإبداع الإلهي مليئة جعبته بأشكال وألوان التناسل الغير جنسي والعذري كما رأينا، كذلك لو أن الجنس ليس إلا للتناسل لما مارست الحيوانات كل ما قلناه آنفاً، ولكنه سبحانه كانت له حكمة عليا في الجنس كحافز للحيوان ثم الإنسان على تميز الفرد، وسعي الفرد لكل ما يدعم تميزه ليفوز بأجمل وأفضل الإناث/الذكور، فالجنس بحد ذاته والذي تسامى به البشر فظهر الحب بينهم، يعد عاملا حفازا للفرد نحو العمل والتميز وتحقيق الذات حتى يحوز إعجاب أفراد من الجنس الآخر، وكل هذا يصب في النهاية في نهر الحياة الكبير، للوصول بالخليقة لأكمل حالاتها والوصول بالإنسان لأرقى مستوى من التحضر، فتبارك الله أحسن الخالقين!

نظرات في الدين و الحياة

"آتوني ما ينفع الناس، آتيكم بدليله من الكتاب و السنة"
الإمام محمد عبده



بين ثقافة الطرح وثقافة الجمع

كلما زادت درجة تحضر ونضج مجتمع من المجتمعـــات الإنـــسانية ازدادت ثقافة الجمع فيه، وثقافة الجمع هي ببساطة ثقافة قبول الآخـــر ومحاولة فهمه وإيجاد أرضيات مشتركة لبناء علاقة إيجابية معه، وعلـــى النقيض نرى المجتمعات الأقل نضجا تميل إلى ثقافة الخصم علـــى حـــد تعبير أستاذنا الجليل "محمد حسنين هيكل"، وهي النقيض المباشر لثقافة الجمع، فهي رفض الآخر والنفور منه بل والسعي إلى تدميره إن أمكن، تدميراً مادياً حيناً ومعنوياً في أحيان كثيرة.

وأولى الخطوات نحو ثقافة الجمع هي فهم الآخر، فبفهمـــه نكـــون صورة واضحة عنه خالية من المبالغات والخرافات التي غالباً مـــا تزيـــد الهوة بيننا وبينه، ونفهم من هذه الصورة آمالـــه وآلامـــه واهتماماتـــه ومخاوفه، فلو فعل هو مثل ذلك وفهم من أمرنا ما فهمناه مـــن أمـــره بدون وجود أجندات خفية، فلابد أن نصل جميعا لأرضية مشتركة في النهاية.

ولعل الخطوة الأولى في هذا هي نفي الأساطير ومعرفـــة الحقـــائق الأساسية، فعندما يكون لديك انطباعا أن الهندوسي يعبد البقرة ستميل إلى اتهامه بالحمق، ولكن عندما تعلم أن حقيقة الأمر ليس فيها عبـــادة، ولكنه شكل من أشكال التقديس الفلسفي المعقد يجعل البقـــرة تحمـــل رمزية الأمومة، سوف تقل درجة ميلك لاتهامه بالحمق وسوف تـــرى

فقط أنه إنسان مضلل، وفارق كبير بين الأحمق والضال وكمسلمون على المذهب السني، يكون بديهيا أن نفهم على الأقل المذهب الرئيسي الثاني في ديننا، والذي يتبعه قرابة المائتي مليون مسلم في العالم، فهل هذه هي الحال؟ هل نفهم الفكر الشيعي بما يكفي ونعرف أساسياته؟

بكل أسف أجد درجة فهمنا للمذاهب الشيعية وفهم الشيعة لنا لا تؤهلنا جميعا سنة وشيعة لدرجات مرتفعة في اختبار ثقافة الجمع، فما من حوار دار أمامي في مصر حول الشيعة إلا وأثار في نفسي الألم لجهلنا بالآخر وبالتبعية رفضه والنفور منه، ما كل هذه الخرافات التي نلصقها بهم عن غير عمد؟ وما هذا التعميم المخل الذي يحيي مذاهبا ماتت منذ قرون كالسبئية، ثم يسحبها لتغطي على صحة إيمان إخوان لنا في العقيدة أولاً وفي الإنسانية ثانياً وفي الاضطهاد الغربي ثالثاً؟

تعالوا نطالع معاً بعض وجوه الخلط الذي تتناوله ليس الألسنة وحسب، بل وبعض الأقلام أيضاً! فنطرح عددا من الأسئلة ونرى كم تبعد الإجابة الصحيحة عليها عما هو شائع بين الناس وفي مقالات تنشرها صحف الدرجة الثانية!

هل يعتقد الشيعة أن الوحي نزل خطأ على سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم، وكان من المفترض أن ينزل على "علي بن أبي طالب"؟

الإجابة هي ببساطة لا، فالفرقة القائلة بهذا كانت فرقة خارجة عن الدين و لم تستمر لأكثر من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ثم اندثرت، وهي في كل حال لم تكن مذهبا شيعيا بل فرقة مستقلة

فهل يدعي الشيعة بحلول الله تعالى في شخص سيدنا "على بن أبي طالب"؟ أو بعودة سيدنا "علي" في نهاية الزمان؟

الإجابة أيضا بلا، فهذا خلط بين الشيعة والسبئية وهي طائفة لا وجود لها اليوم، وقد عاقبهم "علي" رضي الله عنه حرقا بالنار على قولهم هذا، ولكن هناك بعض الكتب، خاصة ذات المرجعية الأشعرية أو الوهابية، تقول بأنهم أحد طوائف الشيعة، وهذا تخليط مقصود لأهداف سياسية، ومعارض لما جاء في تاريخ الطبري وفي الفرق بين الفِرَق للبغدادي من انتهاء هذه السبئية في القرن الأول الهجري

نأتي لسؤال هام ومرتبط بما يدور اليوم في العراق الشقيق، هل يستحل الشيعي دم المسلم السني؟

الإجابة قطعاً بلا، ولا نعلم لهذا القول سبباً، فمن استحل دم المسلمين هم الخوارج، وأشبه الناس بهم اليوم من يستحل دم المسلمين من الإرهابيين، لكن لم يرد في الفكر الشيعي الموثق أبداً تمييز لسفك الدماء بين شيعي وسني ولا حتى بين مسلم وكتابي أو غيره، فحرمة الدم هي حرمة الدم، للإنسانية جمعاء، إلا من كان معتديا أو محتلا أو غاصباً.

هل هناك نوع من الزواج الجماعي عند الشيعة؟

لا، ولا أساس لهذا الكلام غير خيالات مريضة، فزواج الرهط كان من أنكحة الجاهلية التي أبطلها الإسلام لأن فيه اختلاط الأنساب.

هل هناك فارق بين زواج المتعة المحدد المدة وبين الزنا؟

فارق كبير، والذي يصف زواج المتعة بالزنا يجهل أن هناك إجماعاً بين السنة والشيعة على أنه كان حلالاً في مرحلة زمنية معينة، وهناك آية في القرآن الكريم تقننه وهي **"فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة و لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما"** (النساء: ٢٤)، إنما يقع الخلاف بين السنة والشيعة حول توقيت تحريمها أو منعها، فيؤمن السنة أن الرسول حرمها في حياته، ولهم على هذا نصوص وأدلة، ويرى الشيعة أن الرسول مات وهي حلال ثم منعها "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه بسلطته الزمنية في خلافته، وهذا لا يجعلها حراما، بل هو منع من قبل حاكم مسلم رأى فيه مصلحة ولحاكم آخر أن يعود إليه لو رأى في العودة إليه خيراً، ولهم على ما يقولون نصوص وأدلة أيضاً، وتدقيق أدلة الطرفين يخرج عن إطار موضوعنا اليوم.

ولست هنا في مقام دفاع عن الشيعة أو بيان أنهم مذهب من المذاهب الإسلامية باستثناء الطوائف الشاذة منهم، فهذا أمر أقره الأزهر الشريف منذ زمن بعيد، معتبرا المذهبين الزيدي والجعفري من المذاهب التي يجوز التعبد بها كالمذاهب الأربعة السنية.

ولكني في مقام نفي أشهر الأساطير أولاً، وهذا ما فعلناه، ثم البحث عن أسباب سوء الفهم وسوء الظن بالشيعة في مصر، وهي البلد الذي كان شيعيا ذات يوم، ثم بيان ما يثير الطغاة في المذهب الشيعي عموماً، ويجعلهم نافرين منه ومعادين له.

فأما عن أسباب سوء الفهم المتفشي بيننا في مصر عن الشيعة فإنني أجدها خمسة أسباب، أولها تاريخي وهو قيام الدولة الفاطمية بمصر، وما واكب قيامها من محاولات لنشر مذهبها، فطبيعي أن تسيء الظن بمستعمر يدعوك إلى اعتناق ما يعتنق، وقد أسرفت الدولة الفاطمية في محاولة صبغ المجتمع بالصبغة الشيعية على مذهبها الإسماعيلي، وهو أحد مذاهب غلاة الشيعة، وهذا بذاته سبب آخر لسوء الظن لأن احتكاكنا كان بطائفة من غلاة الشيعة وليس طائفة معتدلة.

في كل الأحوال، نجح الفاطميون في تشييع مصر إلى حد كبير، حتى كان يوم عُدَّت فيه مصر قطراً شيعياً، وكرد فعل مساو في المقدار ومضاد في الاتجاه، بالغت الدولة الأيوبية السنية الشافعية بعد قيامها على أنقاض الفاطميين في محو هذه الصبغة الشيعية، فكما تطرف الشيعة في إظهار الحزن يوم عاشوراء لذكرى مقتل سيد الشهداء "الحسين بن على" رضي الله عنهما في موقعة الطف، بالغ الأيوبيون في نفي هذا الحزن، حتى تحولوا إلى إظهار الاحتفال بصناعة الحلوى، وما زالت هذه العادة الغريبة موجودة للآن! وكلا الفريقين في رأينا بالغ فضَلَّ، فليس من المنطق أن نجلد أنفسنا اليوم لأن أقواماً من حزب "الحسين" خذلوه في كربلاء و لم يستحقوا ثورته الشريفة من أجلهم! ولا من العقل أن

نحتفل ونحن مسلمون بصناعة الحلوى في يوم استأصلت فيه عترة المصطفى صلى الله عليه وسلم! حتى لو كانت هناك مناسبة دينية متزامنة مع هذا اليوم، ولكن هكذا ينحرف الشطط دائما بالمبالغين إلى ما يثير العجب!

السبب الثاني يأتي من تاريخنا المعاصر وهو الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، تلك الثورة التي ارتعدت لها فرائص الحكام العرب في الخليج والعراق، حيث يمثل الشيعة التابعين طائفيا لمراجع إيران نسبة لا يستهان بها من السكان، خاصة في المناطق البترولية كما في السعودية والعراق والكويت، فخاف الحكام العرب من تصدير الثورة إلى بلادهم، وتصدير الثورة مصطلح سكه "الخوميني" في ذاك الوقت وتداولته الصحف بغزارة من وقتها للآن، فكان وبالاً على السياسة الخارجية لإيران، أما في مصر، فقد أبت حكمة الرئيس "السادات" – وكل من يحكمنا فهو حكيم، من الحُكم وليس من الحِكمَة- إلا أن تتورط مصر في هذا الصراع الذي لا ناقة لها فيه ولا جمل، فغضب سيادته لطرد صديقه الشاه "محمد رضا بهلوي"، والذي عرفه العالم كشرطي أمريكا في الشرق الأوسط! فآوت مصر لصادرة هذا الشاه الذي لفظته بلاده ثم لفظته أمريكا لأنه أصبح بلا قيمة حين فقد عرشه

و حتى يسوغ "السادات" للرأي العام موقفه الغريب المريب، انطلق صحفجيته فحولوا الشاه رجل أمريكا الوفي إلى مناضل ومحرر للقدس بأسطورة سفينة البترول التي حولها لمصر خلال حرب أكتوبر، ثم انطلقوا يشبهون "الخميني" بصورة شيطان تارة، وإرهابي تارة أخرى، وانطلقت

معهم خطب على منابر صلوات الجمع، تسهب في ضلال الشيعة وكيف أنهم ليسوا من صحيح الإسلام في شيء، وكأن الشاه الذي جعل إيران ماخورا للأمريكان قبل الثورة كان من أهل السنة والجماعة!



السادات و الشاه ، عندما عادينا واحدة من أكبر دول المنطقة من أجل صداقة فرد لفرد

السبب الثالث أيضاً من تاريخنا المعاصر، هو حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، حين شاءت الولايات المتحدة أن تضرب حكومة الثورة في إيران ردا على قلم احتجاز الرهائن في سفارتها بطهران لمدة ٤٤٤ يوما كاملة، فكانت عراق "صدام" هي ذراعها الذي تضرب به، وكانت تلك الحرب بداية اكتراء الجيوش العربية لتحارب للأمريكان حروبهم، حيث حاربت العراق إيران سنينا طالت وتساقط فيها من

الجانبين مئات الآلاف، كان "صدام" خلالها رجل أمريكا الأثير، واستمر صحفجيتنا في الدق على نفس النغمة، وسميت الحرب بقادسية "صدام"! كأن "الخميني" هو كسرى وكأن هذا الصدام هو "سعد بن أبي وقاص"! و لقب "صدام" في صحفنا القومية بحامي البوابة الشرقية للوطن العربي! وهي أمور قد تبدو عجيبة في ظل الأوضاع السياسية الراهنة وذكرى شنق صدام بأيد أمريكية في ذاكرتنا جميعا، لكنها السياسة، لا تدوم فيها صداقة ولا عداء!



"صدام حسين" في لقطة تليفزيونية من الجبهة و كأنه يقاتل، و أسفلها سندات للاقتراض الداخلي أثناء الحرب، و يظهر فيها اسم قادسية صدام حيث نسبت الحرب لفرد!

في كل هذه الأزمات السياسية، وإكمالا لتابلوه الرقص السياسي على نغمة أمريكية، كان الهجوم على الشيعة دائما هو موسيقى الخلفية،

وكان الهدف الواضح هو إخراج الشيعة من الملة في ضمير المواطن العربي حتى لا يرمش له جفن وهو يردى الدم المسلم يسيل بيد مسلمة، وكان الشيعة على غالبيتهم العددية في العراق لا يستطيعون الدفاع عن ذاتهم ضد دعاوى النظام، لأنهم متهمون مسبقاً بالعمالة لآيات الله في حوزات إيران، وأي دفاع عن مذهبهم سيزيد من أوضاعهم تدهوراً، فكانت العمالة المصرية العاملة بالعراق تتأثر بالخرافات المترددة ضد إيران في زمن الحرب، ثم تعود لمصر بما سمعته وعرفته فتردده بين الناس.

أما السبب الرابع فهو النسبة المحدودة جدا للشيعة في مصر مقارنة بدول الخليج والعراق وسوريا، حيث ساعدت هذه النسبة المحدودة على ترويج الشائعات ذات الخلفية السياسية وترسيخها في ذهن رجل الشارع كحقائق، لغياب عنصر الاحتكاك المستمر الذي نعرف الآخر من خلاله.

وختاماً يأتي السبب الخامس وهو خطأنا المعرفي التقليدي، نقرأ في المذهب الشيعي لكاتب سني، ونقرأ في المسيحية لشيخ أزهري، ونقرأ في الإسلام لقس! نقرأ عن الاقتصاد الاشتراكي في كتب أمريكية، ونقرأ عن ثورة إيران لكاتب عراقي! في كل هذا لا نكون طلاب حقيقة، فعندما نقرأ عن أي فكر أو مذهب أو عقيدة مغايرة في كتب كتبها أبناء عقيدتنا، لا نقرأ لنعرف ولا نقرأ بحثا عن الحقيقة، ولكننا نقرأ ليكون الكتاب أشبه بعملية طبطبة على عقولنا، تؤكد لنا أننا وحدنا نمتلك الحقيقة وكل من عدانا باطل، وهذا أمر مريح للعقل، لكنها راحة أشبه براحة التخدير أو راحة الموت!

أما المقام الأخير لنا في هذا المقال، فحول العداء التقليدي بين المذهب الشيعي والأنظمة الديكتاتورية، لماذا احتل الشيعة صدارة الطوائف المضطهدة من الطغاة؟ ولو كانت أحداث الفتنة الكبرى تبرر صداماتهم العديدة بالأمويين، فما هو مبرر الصدام بغيرهم من العباسيين فأحدث؟

هذا العداء نجده طبيعيا ومتوقعا لأسباب ثلاثة:

١. المذهب الشيعي يعتمد على إكليروس ديني، فرجال الدين الشيعة يتدرجون في هيراركي هرمي من الدرجات الرسمية، وهذا الهيكل التنظيمي يتصل اتصالاً وثيقاً مع المقلدين أو الأتباع الدينين، مروراً بدرجات مختلفة، ثقة الإسلام فحجة الإسلام ثم حجة الإسلام والمسلمين ثم آية الله فآية الله العظمى، وأخيراً روح الله وهو أعلى درجة علمية دينية، وهذا النظام الكهنوتي على ما به من عيوب أهمها الإخلال بخصوصية علاقة الفرد بربه، إلا أن له ميزة سياسية، إذ يخلق آلية اتصال وتنسيق ثورية مع كافة طوائف المجتمع عند اللزوم بداية من مجموعة محدودة من القيادات الدينية هم آيات الله، ومن خلال تسلسل القيادة والصلة القوية مع الشعب يمكن للمؤسسة الدينية بث التعليمات الثورية بكفاءة غير مسبوقة، وقد استخدمت ثورة "الخميني" هذه الآلية بالشكل الأمثل، فكان شريط الكاسيت يصل من منفى "الخوميني" في باريس حاملا صوته ليد كل مواطن في إيران عن طريق المؤسسة الدينية، ولم يستطع بوليس الشاه أن يسيطر على قنوات الاتصال الديني هذه لأن هذا معناه التصادم بعقيدة المجتمع، فأفلتت الأمور، ذلك أن السيطرة على

قنوات الاتصال وآليات التنسيق بين الجماعات هي من بديهيات الحكم الديكتاتوري، وخلق وسائل اتصال موازية لا تتحكم فيها الدولة وتأخذ شكلا دينيا مقدسا يحميها، هو بالضرورة آخر ما يريده أي ديكتاتور، وغني عن الذكر أن نظام الخمس الشيعي والذي يوجه لأئمة آل البيت أو من ينوب عنهم - الفقهاء وفقا لفتوى ولاية الفقيه- لينفقوا منه في وجوه الخير، يمثل استقلالا اقتصاديا لهذا الإكليروس، مما يوسع نطاق حركته و يعطيه قدرةً تنفيذية عالية.

٢. الفكر الاستشهادي شديد العمق موجود في كافة الأديان السماوية وشديد الرسوخ في الفكر الإسلامي عامة، إلا أنه في المذهب الشيعي بالغ العمق لأسباب تتعلق بمنشأ المذهب واستشهاد "علي" ثم "الحسن" (الشيعة يعتقدون أنه قتل مسموماً) ثم "الحسين" وغيرهم من أئمة الشيعة، فيتخذ الاستشهاد موضعاً محورياً في نفس كل شيعي، كأنه قدر حتمي مقبول مقدماً لو جاز القول، وهذا الفكر الراسخ في الضمير يقلل من كفاءة أسلحة الديكتاتور، سواء أسلحة الترهيب قتلا ونفيا وحبسا وتعذيبا، أو أسلحة الترغيب بالوظائف والمنح والعطايا والتسهيلات، لأن الفكر الاستشهادي يهون من شأن الدنيا، وبالتالي يهون من خوف الناس من سيف المعز وطمعهم في ذهبه، ومشهد دبابات الشاه وهي تفري عظام الجماهير الثابتة الصامدة هو ملحمة استشهاد شيعية لا تزال ماثلة في ذاكرتنا لليوم.

٣. الميل الشيعي الطبيعي لصفوف المعارضة، حيث نشأة المذهب كمذهب معارض وحاز خبرة بالتنظيمات السرية والتقية، عبر تاريخ

حافل بانتفاضات ثورية مفاجأة بعد طول كمون، وكلها أطر معرفية وأساليب حياة تورث نفسيا عن طريق التفاصيل الدقيقة في التربية من أب إلى ابن حتى لو تغيرت ظروف الحياة.

وختاما، بدأت الشيعة كطائفة سياسية في صراع سياسي، وأخذت اسم شيعة "علي" بمعنى حزب الإمام "على" كرم الله وجهه، واستمرت حزبا سياسيا أكثر منها طائفة دينية فترة الحكم الأموي، ومع مرور السنين وكرد فعل للرفض والتكفير من قبل الأمويين ثم العباسيين بدأ الفقه الشيعي في التمايز، وبهذا الفهم نجد أن المقابل الموضوعي لكلمة شيعي ليس كلمة سني، لأن ذلك يتضمن الإشارة لإعراض الشيعة عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي صفة اختلقها أعداء الشيعة السياسيون وألصقوها بهم، وهي غير صحيحة، إذ يعتبر الحديث في الفقه الشيعي مرجعية ثانية بعد القرآن تماما كما في الفقه السني!

علينا أن نقرأ أكثر عن أي طائفة دينية أو فكرية، وأن نقرأ بنية الفهم وليس بنية الرفض وتصيد الأخطاء، فكلنا في نظر الغرب مسلمون، وكلنا لخططهم الاستعمارية مستهدفون، فهم يضعون حتى المسيحيين العرب معنا في نفس كتيبة الإرهاب كما يتبين لنا من كتاب صراع الحضارات، ألا يدعونا هذا لاعتناق ثقافة الجمع؟ ولو كتكتيك مرحلي حتى نهرب من المقصلة المعدة لنا جميعا؟ ألا يدعونا هذا للكف عن البحث وراء الفروق؟ ولاحترام جهد الرجال العظام من المقربين بين المذاهب من الشيخ "محمود شلتوت" رحمه الله للدكتور "مصطفى الشكعة" والدكتور "محمد سليم العوا" بارك الله في جهدهما؟

الإسلام و العلمانية

نظرة علمية لا إعلامية

من ثوابت قنواتنا الفضائية أن تجد شيخا من دعاة الفضاء المفوهين يتحدث عن العلمانية فيرغي ويزبد خالطاً بينها وبين غيرها من المفاهيم المرتبطة بها كالليبرالية، أو البعيدة عنها كل البعد كالإلحاد، والمؤلم هنا ليس التضليل المتعمد للجماهير عن العلمانية الحقيقية كأسلوب في إدارة الدولة يستوعب كل الأديان، بدليل أن انجلترا وغيرها من الدول العلمانية هي ملاذ شيوخ التطرف الذين لفظتهم دولهم، لكن المؤلم هو الافتراء على الإسلام والعلمانية معا بادعاء أنهما ضدان لا يلتقيان، وتحضرني في هذا الصدد عدة مواقف قد لا يربط بينها رابط مباشر، لكنها تدور حول الحكم المدني وموقف الدين من علمنة الدولة

لقطة تاريخية (١) : لطفي السيد وعلقة الديمقراطية

عندما كان رائد التنوير المصري "أحمد لطفي السيد" يعد مؤتمره الانتخابي لدخول مجلس النواب في عشرينات القرن الماضي، أوعز منافسه للناخبين أن "لطفي السيد" كافر، وأنه يسمي الكفر باسم غربي هو الديمقراطية، وطلب منهم أن يسألوه في هذا، وحين فعلوا فسألوه أثناء المؤتمر الانتخابي: هل تعتنق الديمقراطية؟ رد "لطفي السيد" رده الشهير: نعم أنا ديمقراطي ومتمسك بالديمقراطية لآخر يوم في حياتي! وحين قالها أستاذ الأجيال بدا اليوم الأخير بحياته أقرب مما تصور، فقد

هاجمه الناخبون فأحدثوا به شخصيا بعض الإصابات وحطموا سرادقه، ولولا ستر الله لكان شهيد الديمقراطية الأول، وبالطبع خسر الانتخابات لصالح غريمه الانتهازي، وهكذا كان تدين البسطاء حين اقترن بالجهل سلاحاً في يد عدو مستغل، يقهرهم به بعد أن يمتص دماءهم ويضلهم عما فيه خيرهم



بوستر دعائي ضد العلمانية من أوروبا العشرينيات

نحن اليوم ندرك المفارقة ونعرف عدم تعارض الدين مع الديمقراطية، ولسوف يأتي يوم نتعلم فيه أن العلمانية بدورها ليست ضد الدين من قريب أو بعيد، وأبدأ قولي هنا فأقولها واضحة صريحة، أنا مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والحساب والجزاء وبالقرآن وصحيح السنة، وأنا بعد هذا علماني حتى النخاع، علماني وقلبي مطمئن بالإيمان، فديني الإسلام، ومذهبي السياسي علماني ليبرالي،

ومذهبي الاقتصادي اشتراكي، ولا تعارض بين أي من هذه المعاني والاعتقادات في عقلي وقلبي! و الله على ما في قلبي شهيد

لقطة تاريخية (٢) : هل يحكم الإخوان أنفسهم بالإسلام؟



الإسلام هو الحل، لكن ما علاقتهم بالإسلام؟
أنا سأنتخب رجل و ليس الإسلام، فمن هو؟

بعد أن اغتالت ميليشيا الإخوان المعروفة بالتنظيم الخاص القاضي المصري "أحمد الخازندار"، والذي كانت جريمته في عرفهم أنه أصدر أحكاما رادعة على بعض المتهمين منهم وفقاً للقانون الجنائي، عقدت الجماعة مجلس تحقيق داخلي مع الإرهابي المحترف "عبد الرحمن السندي" الذي كان يقود التنظيم الخاص وقتها، وهو من أعطى أمر الاغتيال

في التحقيق قال "السندي" أن الشيخ "حسن البنا" رحمه الله قال أمامه: لو كان ربنا يخلصنا من الخازندار، فاعتبرها "السندي" تكليفاً له

بقتله وفتوى من المرشد العام بإهدار دمه! ونلاحظ هنا خلط الإرهابي البين حين اعتقد بأن دعاء "البنا" أمر موجه إليه! كأنه اليد التي تنفذ المشيئة الإلهية! تعالى الله عن إفكه علوا كبيرا

المهم أن مجلس حكماء الجماعة التي تدعي على الله ظلما أنه غايتها، وعلى الرسول (ص) عدواناً أنه قدوتها، وعلى القرآن زوراً أنه دستورها، حكمت بدفع دية القاتل! هكذا؟ الإخوان الذين يدعون في أدبياتهم أنهم يريدون أن يُحكَموا بالإسلام لا أن يحكُمُوا به، حكموا بغير ما أنزل الله، حكموا بالدية على قاتل متعمد متربص وبدون موافقة ولي الدم! فلماذا؟ لأن القاتل الأثيم من مراكز القوى الإخوانية وتحت يده الميليشيا المسلحة، محض انتهازية وازدواج معايير لا أكثر ولا أقل!

ولتجنب مثل هذه الأهواء والازدواجية في معايير الحكم، قننت القوانين المعاصرة معايير الأحكام، لأن من يقضي اليوم ليس الفاروق "عمر" ولا أقضى الأمة "علي" رضي الله عنهما، من يدعون الحكم بكتاب الله اليوم هم في الأغلب من عينة "مروان بن الحكم" و"الحجاج بن يوسف" سفكا للدماء واستهانة بحرمات الله وتجاوزا لحدوده! وحالات كهذه من تاريخ الإخوان الذي يتنصلون منه اليوم هي الدليل القاطع على طبيعة حكمهم لو وصلوا يوما للسلطة لا قدر الله

لقطة تاريخية (٣) : التفكير والتكفير

المجموعة الرائعة من الرجال ممن كفرهم دعاة الإسلام السياسي خلال القرن العشرين بسبب قناعاتهم الفكرية أو كتاباتهم عن مبدأ

علمانية الحكم، بتضمينات مباشرة أو غير مباشرة، تجعل الرجل يفخر بعلمانيته، وتهون عليه اتهامات الكفر على بشاعتها، فمن أكون أنا أو غيري بجوار من كفروه من المفكرين العظام؟

هاكم أسما كبار المفكرين الذين جاء عليهم حين من الدهر اتهموا فيه بالكفر، بل وبدعوة المجتمع للكفر والفسوق! عباس العقاد، وطه حسين وزكي نجيب محمود، والشيخان محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وكامل الشناوي ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، وقبلهم أحمد لطفي السيد وعلي عبد الرازق وبعدهم حسين فوزي! فيالها من قائمة من النجوم الزهر! يتمنى المرء لو لحق بأذيالها ولو باتهامه بما اتهموا به، فهم نفر لا نحسبهم في عقولهم أو عقيدتهم إلا بكل خير

ما هي العلمانية؟

العلمانية هي ترجمة للفظ سيكيولاريزم اللاتيني، وتعني تنظيم شؤون الدولة الحديثة بالأحكام الزمنية، أي بما يقتضيه المنطق السليم بعيداً عن سلطة علماء الدين، وبما يحفظ لجميع طوائف المجتمع الدينية والإثنية حق مواطنة متكافيء رغم اختلاف الأديان والأعراق، وتكفل فيها الدولة حرية العبادة لكل فرد وفقاً لدينه كما تكفل للمؤسسة الدينية احترامها وحرية الخطاب الديني والدعوة الدينية في إطار احترام الآخر وعدم ازدراء أي دين أو عقيدة مغايرة وعدم المساس بالمشاعر الدينية لأفراد المجتمع، وهو عين ما أمر به القرآن حين نهانا عن سب آلهة المشركين الوثنيين، بقوله تعالى "**وَلاَ تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ**

فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" (الأنعام:١٠٨)

هل تتعارض العلمانية مع تطبيق الحدود الإسلامية؟

الحدود هي حق المجتمع الذي يحفظ له حياته وأمنه وحرمة ماله وعرضه، ومبدأ القصاص الإسلامي الذي فيه حياة الناس وحفظ المجتمع موجود في كل الشرائع من قانون "حمورابي" للقانون الروماني الذي يسميه دعاة الإسلام السياسي فرنسيا، وانتهاء بالشريعة الموسوية التي تقارب حدودها الحدود الإسلامية، وقد أقر المسيح ناموس "موسى" عليهما السلام فاعتمد هذه الحدود الشرعية كمبدأ مقبول في المسيحية، لكن تطبيقها اقتضى عبر العصور تطويراً في الآليات مع الحفاظ على روح القانون

قتل القاتل مثلاً مطبق في القانون المصري، ولكن هناك ظروف مخففة وظروف لا يطمئن وجدان القاضي الجنائي فيها لحكم الإعدام فيخفف الحكم، والظروف المخففة معترف بها فقهيا وجاز عند العلماء أن يعزر الحاكم بحكم مخفف لو لم يطمئن لاكتمال أركان الجريمة مع وجود قرائن إدانة، أما رجم الزاني المحصن وجلد غير المحصن فمقنن بأربعة شهود عيان يشهدون عملية الإيلاج رأي العين كدخول مرود في مكحلة، وهو ما يصعب حدوثه لغير من يمارس الجنس في مكان عام، وبهذا يحمي الحد المجتمع بردع من يجرح الشعور العام، ولكن لا يمكننا أن نتعامل بحد الزنا مع قضايا الدعارة مثلاً لصعوبة لإثبات، فهل

نترك العاهرات ونجلد ضابط الآداب لو لم يستطع الإثبات بأربعة شهود؟ أم نتعامل مع الدعارة بقوانين يمكننا أن نسميها تقنين موضوعي لأحكام التعزير؟

لقد تعقدت المجتمعات وتشعبت احتياجاتها، والدرس الإلهي علمنا من خلال دروس النسخ في القرآن الكريم أن الأحكام تتطور لتواكب احتياجات الناس، وقد تغيرت عقوبة الزانية المحصنة في كتاب الله بالنسخ في بعض التفاسير، والتي فسرت عقوبة الحبس في قوله تعالى "**وَٱللاَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**"(النساء:١٥)، بأنها كانت العقوبة السابقة على الرجم ثم نسخت بالرجم، بينما فسرها آخرون بأنها عقوبة من يرتكبن فعلا جنسيا مثليا من النساء، والغاية أن تغيير الأحكام بالنسخ، يمكننا فهمه كإشارة ربانية مفادها أن الردع هو الهدف وليس فعل العقاب بذاته، ويبقى الأهم دوما من القانون أن يطبق هذا القانون على الكل كأسنان المشط وبدون استثناء حتى لو كان المجرم هو "السندي" صاحب النفوذ والباع!

وفي كل الأحوال لا تتعارض العلمانية مع أي تشريع يرتضيه الناس، فلو أجمعنا اليوم على العودة للحدود كما طبقت على عهد الرسول (ص) لما تعارض هذا مع العلمانية، ولو طورنا منها قانونا عصريا له قوانينه الاجرائية ومذكراته التفسيرية لما تعارض مع العلمانية كذلك!

فهل تتعارض العلمانية مع الدين في المواريث والأحوال الشخصية؟

على الإطلاق، فمن حق كل طائفة في المجتمع العلماني أن تطبق ما يتماشى مع عقيدتها فيما يخص الحياة الشخصية للأفراد، فيكون هناك قانون أحوال شخصية للمسلمين، وآخر للمسيحي القبطي، وثالث للبروتستانتي وهكذا، فهذا ينطبق عى أحكام الوراثة والأحوال الشخصية وغيرها مما يخص الفرد ومما يقع في حدود الطائفة الواحدة، أما القوانين المدنية والتجارية والجنائية فهي ما يتعين توحيده ليسري على كل طوائف المجتمع على السواء و يتوحد أمام عدالته الجميع

وفي كل الأحوال، مهمة المجتمع المدني ليست منع الشخص من ممارسة حريته الدينية أو غيرها من الحريات، لكن مهمته أن يوقف الفرد عندما يقترب من أنف الآخرين، وهو أمر سهل في قوله لكن تطبيقه يحتاج لبناء مؤسسات متكاملة ترعى حقوق الفرد وحدود الجماعة

هل حدد الإسلام نظام حكم يتعارض مع العلمانية؟

ما كان يمارس على عهد رسول الله بالمدينة المنورة، هو ما نعرفه اليوم بالديمقراطية المباشرة، حيث ينوب كل فرد عن نفسه فيعطي رأيه في شؤون الدولة مباشرة ويبايع الحاكم بنفسه، وهذا ممكن في المجتمعات المحدودة، وكان مطبقا في روما القديمة قبل تشعب الإمبراطورية، ثم مات رسول الله تاركا أمة الإسلام حرة في اختيار حاكمها، ولو كان القول بحكم الفقهاء صحيحا (كما يعتقد الإمامية بإجتهاد حديث

نسبيا للخوميني) لاختار الرسول للصحابة أفقههم في الدين، ولكنه تركهم لحكمة، هي دعم مبدأ الخيار الديمقراطي

وبما أن الديمقراطية النيابية هي تطور حتمي للديمقراطية المباشرة، فلا ريب أن الإسلام يدعم روح هذا النظام الأقرب للعدل والأبعد عن الهوي لتعدد أطراف اتخاذ القرار، أما ما صغر من شئون الدولة فيصدق فيها قول رسول الله في واقعة تلقيح النخيل **"أنتم أدرى بشئون دنياكم"**، فبمنطق الأمور ومراعاة مقتضى الحال تدار الدولة فيما صغر من شؤون الناس وما استجد منها، ولو كان لدى أحد دعاة الإسلام السياسي قانون مرور إسلامي، أو قانون بورصة إسلامي فليغفر لي جهلي و يخبرني به!

هنا يدفع دعاة الإسلام السياسي بدفع مغلوط، فيسألوك: لو أن الناس في النظام الديمقراطي أقروا شيئا يتعارض مع الدين، فما الحل؟ ونحن نرد على هذه الحجة المكررة فنقول: من واجب المؤسسة الدينية أن توعي وتثقف أتباعها دينيا، فلو أن الناس بعد هذه التوعية أصروا على اختيار ما تراه المؤسسة الدينية مخالفا للدين، فما معنى هذا؟

معناه أننا أمام مجتمع إما أن تكون أغلبيته غير مسلمة وفي هذه الحال فمن حقهم ما اختاروه، أو أنها أغلبية مسلمة لا تعارض في رأيها بين الدين وبين الموضوع محل التصويت، وبما أنه لا تجمع الأغلبية من الأمة على باطل وفقا لحديث رسول الله، فرأيهم هو الصواب ورأي المؤسسة

الدينية خطأ، لأن هذه المؤسسة ما هي إلا مجموعة أقل عددا من الأفراد لا يحملون سرا كهنوتيا ولا عهدا من الله بأنهم أهل الصواب!

هل ترفض العلمانية حجاب المرأة؟

يسألوا هذا السؤال فتجيبهم بالنفي، فيحاجونك بما فعل "أتاتورك" في تركيا وما حدث من منع المحجبات من الالتحاق بالمدارس الحكومية في فرنسا؟

أما الزعيم التركي "مصطفى كمال أتاتورك"، فكان متطرفا ضد دينيا برغم فضله في بناء تركيا الحديثة، وليس علمانيا، ولا علاقة للعلمانية بسلوكياته وآرائه الشخصية المعادية للأديان السماوية كلها، وليس للإسلام فقط، وأما ما حدث في فرنسا فهو محاولة ساذجة من الدولة لفرض شخصيتها الوطنية على الوافد، وهو ذات ما تفعله المملكة العربية السعودية، فمثلما كانت السعودية حتى أمس القريب تجبر الأوروبية المسيحية أن ترتدي الزي البدوي الأسود وتغطي شعرها ووجهها، يتشدد الأوروبي في الاتجاه المخالف فيمنع المسلمة من تغطية شعرها وفق عقيدتها! وكلاهما على باطل وتبرأ منه العلمانية الحقيقية، فلا بأس اطلاقا بما نطلق عليه الحجاب في تعبيرنا الدارج، والصحيح هو الخمار، لأن تغطية المرأة شعرها واقع في نطاق حرية اختيارها الشخصي والعقائدي ولا يتعارض مع مصلحة المجتمع في شيء، فهو أمر مردود لكل امرأة، تفعل فيه ما تراه

وماذا عن النقاب؟

النقاب مختلف في أمر واحد، فطمس الشخصية بتغطية الوجه يتعارض مع المبدأ الأمني في التحقق من الشخصية، وليس من مهام الدولة أن توفر سيدة في كل نقطة مرور وعند باب كل منشأة للتحقق من شخصية المنتقبة لمجرد أن نفرا من النساء اخترن النقاب! كذلك يمكن النقاب من ترتديه من ارتكاب الجرائم مع تقليل فرصة وجود شهود عيان بطمس الهوية وطمس المسئولية الجنائية معها

لذلك فالنقاب على خلاف الخمار يمثل مشكلة للمجتمع المدني، فقد يؤدي التهاون فيه لتسهيل الجرائم وتعطيل العدالة وبالتالي ضياع الحقوق، فحتى لو اعترفنا بأنه فضيلة كما يدعون – ونحن لا نعترف بذلك – لوجب الأخذ بأهون الضررين وهو كشف الوجه، لتجنب تعطيل العدالة وضياع الحقوق وهو أكبر الضررين

فهل تتعارض العلمانية مع الإقتصاد الإسلامي؟

لقد اتجر الرسول (ص) وصحابته ولم نسمع منهم تعبير التجارة الإسلامية، أليس كذلك؟ فلا وجود لتجارة إسلامية وتجارة مسيحية، ولكن هناك تجارة يلتزم فيها المسلم والمسيحي وكل من له دين بخلق دينه وسماحته، أو تجارة انتهازية لا يلتزم صاحبها بشيء، والفارق بينهما واضح جلي!

كذلك لا نعرف من الإقتصاد غير إقتصاد جزئي يتعلق بالمنتج وإقتصاديات الإنتاج، وآخر كلي على مستوى الدولة، أما ما روجوا له ضد فتاوى كبار العلماء من حرمة البنوك وروجوا بعده لمؤسسات إسلامية نصبت باسم الدين في تجربة توظيف الأموال المريرة، فلا نراه من دين الفطرة والحكمة في شيء، لكن المقام يضيق هنا عن مناقشة دعاواهم في تحريم البنوك وما قالوا عنه معاملات ربوية، وفيما قاله أكابر العلماء الكفاية في الرد على هذه الدعاوى الفارغة

مازلت أذكر الدعاية التليفزيونية لمؤسسات توظيف الأموال النصبية، والتي تعودت اذاعة عبارة: **لا ربى ولا ريبة .. حلالا طيبا**، وكان أولى بهم أن يقولوا: لا ربى ولا ريبة .. ولا حتى رأسمالك هيرجعلك تاني! فلماذا ننسى بهذه السرعة ما اقترفوا من جرائم؟ ألم يكن زعماء ما يسمى بتيار الإسلام السياسي اليوم في ركاب السعد والريان في الحل والترحال؟ ألم تكن أسماؤهم على قمة كشوف البركة التي فاضت عليهم بركتها بمص دمائنا ومدخراتنا؟

لماذا إذاً كل هذه الضجة حول تعارض العلمانية والدين؟

الخلط مصدره طرفان وكلاهما متطرف، الأول هو المتطرف اللاديني والذي ينسب نفسه خطأً للعلمانية ثم يهاجم الدين تحت هذه اللافتة، فيأخذ رجل الشارع من هذا أن العلمانية والكفر مترادفان!

والثاني هو المتطرف الديني الذي يريد تطبيق الدين لا كما أنزله الله غضا مرنا مناسبا لكل عصر، ولكن كما طبقه بنو أمية وبنو العباس منذ

ثلاثة عشر قرنا في ظروف مغايرة تماما لظروف اليوم، استنادا إلى حديث القرون الثلاثة، وليس لهذا الحديث علاقة بأمور الحكم والدولة، فقد قال الرسول (ص) فيه **"خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثلاثا"** وهذا في تحديد خير الناس خصالا وعلما وتقوى ولا علاقة له بالحكم، أما الذي يرى تطبيق النصوص على حرفها، فلا شك أنه سيجد فارقا كبيرا بين النموذج الذي يتصوره للمجتمع المثالي وبين النموذج الذي تساعد العلمانية على بنائه! فهو لذلك يرى العلمانية مطية للمعاصي

ثم هناك بعد هذين الطرفين طرف ثالث، ينفث سمومه فيهما معا، وهو تيار الإسلام السياسي، فتراهم يتهمون من خالفهم من تيارات أصولية بالجمود والتطرف، ويتهمون من خالفهم من العلمانيين بالكفر والعمالة للغرب، ولا غرض لهم في هذا كله إلا الانفراد بالسلطة، على أساس أنهم الحل الوسطي الوحيد أمامنا، وإلا هلكنا بدونهم تطرفا أو كفرا!

تيار الإسلام السياسي و النص المقدس

أنظر للأسلوب الانتقائي الذي يتعامل به دعاة الإسلام السياسي مع النصوص والفكر الديني المفسر لها فلا أستطيع أن أحسن الظن بهم، كأنهم يتكاتفون في مؤامرة كبرى لبناء ديكتاتورية ثيوقراطية لا تقارن بها ديكتاتورية البابا الكاثوليكي في عز مجده! وعندما أذكر هذا التيار، هنا أو في أي حديث آخر، فأنا لا أعني الشباب والجماهير التي تتبعه، فهؤلاء أول ضحايا المؤامرة لأنهم أول من انخدع في قادتها، فالكبار الطامحين للسلطة والجاه والمتطلعين للمجد الدنيوي باسم الدين هم من أعني دائما وأبداً

انظر معي كيف يحيكون المؤامرة باللعب على الرأي العام وترسيخ الخطأ بذهن الناس؟ يدعون أن الشورى شرعا لا تلزم الحاكم المسلم! فيخالفون بذلك سنة الرسول، حين نزل على رأي الشباب في غزوة أحد لأنهم مثلوا الأغلبية المخالفة له في الرأي، فخرج للقاء العدو خارج المدينة وكان رأيه صلوات الله عليه أن يتحصن داخلها، وهم لا يجهلون هذا من سنة النبي، لكنهم يعدون ليوم يصلون فيه للحكم فيحرقوا كوبري الديمقراطية الذي وصلوا عليه، ويقولوا لمن يتعجب وقتها منهم: إنما الديمقراطية بدعة غربية مخالفة لشرع الله والشورى غير ملزمة للحاكم كما قلنا دائماً!

كذلك تسمع منهم أن الشورى ليست عامة ولكنها لمجلس من الثقات، وهذا لعمر الحق افتراء، فقد كان الصحابة جميعهم يناقشون النبي فيما صغر أو كبر من أمورهم، وكانت امرأة ترد "عمر بن الخطاب" عن تشريع اعتزمه وهو واقف على المنبر وعلى رؤوس الأشهاد، وهو يومذاك الخليفة وولي الأمر، فهم بذلك يعدون لقصر الممارسة الديمقراطية على مجموعة مدجنة لتحكم بغرض وهوى الجماعة لا بالحق ولا للصالح العام!

كذلك يقولون بعدم جواز ولاية غير المسلم على المسلم رغم أن أي وظيفة هي ولاية بدرجة من الدرجات، وقد اختار الرسول "عبد الله بن أريقط" دليلا لرحلة الهجرة وهو مشرك ليضرب لنا مثلا بأن الكفاءة المهنية هي معيار الاختيار وليس العقيدة، لكنهم يربطون الولاية بفهم الشرع على طريقتهم طبعا حتى يقصروا السلطة على من والاهم من رجالهم

ثم تراهم يوسعون قاعدة المعلوم من الدين بالضرورة كل يوم، والشرط في تعريف أمر من الأمور بأنه معلوم من الدين بالضرورة، أن يكون أمراً قطعي الثبوت والدلالة لا يحتمل أوجها في فهمه، وأن يكون مما يعرفه أي مسلم من البديهيات التي لا تقتضي دراسة أو تفقه، وبهذا فالأمور الخلافية فقهيا ليست من المعلوم بالضرورة لأنها ليست قطعية الدلالة، لكنهم يسعون لضم أمور الخلاف للمعلوم من الدين على فهمهم لها، ليصادروا أي رأي آخر، ثم يعمدون إلى من خالفهم في فهم

الدين أو الدنيا فيكفروه لإنكاره هذا المعلوم، ويهدروا دمه فيقتلوه كما قتلوا الكثيرين من قبل للخلاف في الرأي

وتراهم يقصرون حق التفكر في الدين وتدبر آيات الله على أنفسهم بدعوى التخصص والإحاطة، وذلك لتدعيم سلطتهم الروحية على البسطاء، فلا يأتي الرجل عملا صغر أو كبر إلا بإذن دعاتهم وأئمتهم، ويشترطون شرط الحنابلة في عدم جواز دراسة علوم الدين بغير إمام يدرس الطالب على يديه، جاهلين ما نسب للإمام "أحمد بن حنبل" من تفسير الإمام بأنه النص أو الخبر عن الصحابة أو التابعين، وليس الإمام من البشر، وذلك كقوله تعالى **"وَكُلَّ شيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ"** (يس:١٢)، لكنهم يردون الناس عن التفكر وتدبر القرآن لحرصهم على فهمهم الجامد للدين، حتى لا تتسرب السلطة يوم يحصلون عليها من أصابعهم، وهم يظنون هذا اليوم الذي يصلون فيه للسلطة قريب، ويظهر هذا منهم في فلتات لسانهم في تصريحات الصحف وغيرها

يسألني كثيرون، لماذا ترفض تيارات الإسلام السياسي على اختلافها من السلفيين للسلفيين الجدد للإخوان؟

وأنا أجيب: أرفضهم لدرس التاريخ الذي يحدثنا بأخبارهم وجرائمهم يوم كانت لهم سطوة، مجرد سطوة بسبب ميليشيا مسلحة، فكيف بهم لو أصبحت لهم سلطة؟ أرفضهم لأن درس التاريخ يقول أن أمثالهم حين يحكمون لا يبقى في الشعب الذي نكب بحكمهم إلا عبد

أو ميت، فالعبد من رضي بقيادتهم وقيدهم، والميت هو الحر الذي ناهضهم حتى الرمق الأخير

وأرفضهم لما أعلمه عن هيكلهم التنظيمي وعن طريقتهم في إدارة جماعاتهم داخليا، من الإمارة عند السلفيين للإرشاد عند الإخوان يا قلب لا تحزن، ولما أعرفه من لوائحهم الداخلية الديكتاتورية وهم مجرد فصيل سياسي، من حكم الشيخوخة والأقدمية لتهميش المرأة لغياب الوضوح في القوانين واللوائح لتظل مطاطة فتفسر وفقا للهوى والغرض في كل حالة، وأرفضهم لما أعلمه ويعلمه القاصي والداني من فشلهم في تداول السلطة، فأي تداول للسلطة يطلبون على مستوى مصر لو كانوا لا يتداولونها على مستوى فصائلهم السياسية؟ سواء في ذلك الإخوان أو من خرج من عباءة الإخوان؟

يقول بعضهم أن الله غايتهم، فالله غايتي كذلك، وأنا مع هذا أرفضهم، ويقولون أن الرسول صلوات الله عليه قدوتهم، فالرسول قدوتي كذلك وإن كنت أرى أن طريقي وطريقهم في الحياة لا يقتربان كطريق رجلين اتبعا منهجا واحدا، ذلك أن ما فهمته من الرسول (ص) فأحاول أن أنتهجه قدر جهدي الضئيل، غير ما فهموه هم فانتهجوه

لكل هذا أرفضهم وأعتقد أني سأبقى لهم رافضاً ما بقيت في الصدر أنفاس تتردد، وأحسبني أتقرب إلى الله بهذا الرفض وبالثبات عليه، هو نعم المولى ونعم النصير

رد الفعل المعكوس

بين بيرلسكوني وفيسترجورد

تجددت في ٢٠٠٨ مشكلة الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول (ص) والتي نشرت للمرة الأولى في جريدة يولاندس بوستين الدنماركية في عام ٢٠٠٤، قبل عامين كاملين من اثارة القضية عام ٢٠٠٦م في العالم الإسلامي، وقبل أربعة أعوام من اعادة نشرها اليوم في العديد من الصحف الأوروبية مؤازرة للرسام الذي هُدِّدَ بالقتل، ويدعى "كورت فيسترجورد"! ونعلم جميعا طبيعة ردود الفعل في المجتمعات الإسلامية حول العالم، والتي تراوحت من مظاهرات سلمية لأخرى عنيفة، ومن دعاوي لمقاطعة المنتجات الدنماركية لرحلة قام بها بعض العلماء للدنمارك للحوار حول محتوى الرسوم، وهي أكثر ردود الأفعال التي رأيتها تعقلا ومناسبة لهذه الحالة تحديداً، فالحوار هو طريق من أراد أن يحيا

ومع احترامي للمتظاهرين والمضربين ولأصوات المطالبين بالمقاطعة وتفهمي لمشاعرهم الغضبى للرسول صلى الله عليه و سلم، إلا أنني أرى أننا نتخذ بهذا نفس الموقف التاريخي الذي لم يفلح في الماضي ولا ينتظر له فلاح في المستقبل، فهو ذات ما فعلناه مع "سلمان رشدي" و"تسليمة نصرين" وغيرهما، صنعنا منهما أبطالا ومليونيرات يدلون بالأحاديث الصحفية في أهم صحف العالم، وتباع من مؤلفاتهم

عشرات الألوف من النسخ باهظة الثمن، ويحاضرون في أربعة أركان الأرض! فهل أنصفنا أنفسنا أو ديننا؟ هل كان "سلمان رشدي" قبل فتوى "الخميني" بإهدار دمه غير روائي فاشل؟ وهل كانت "نصرين" غير طبيبة لا يعرفها أحد قبل رواية "العار" التي استفزت بها مشاعر مسلمي بنجلاديش؟

وقبل أن نلقي باللوم على كل الدنيا وفقا لنظرية المؤامرة، ونحارب طواحين الهواء في دون كيشوتية نجيدها أكثر مما نجيد القتال في ميادين الفكر أو ميادين الحرب على السواء! وقبل أن نولول قائلين أن هذا الاحتضان لأعداء الإسلام والمرتدين عنه يحدث لأن الغرب متآمر ضدنا، أسبق هنا لأوضح مقصدي

الفرد والفرد المفوض

يجب أن نفرق بين مصدرين للإهانة، سواء كانت هذه الإهانة لديننا أو لأوطاننا أو لرموزنا، الأول أن تكون صادرة من فرد، مجرد فرد غير ممثل لدولته ولا منتخب من شعبها، وهذا ما ينطبق على الحالات السابقة كلها، والثاني أن تصدر الإهانة من فرد مفوض من آخرين بالتعبير عنهم كمن يمثل جهة أو شعبا أو حكومة، وهذا ما ينطبق على حالتي "سيلفيو بيرلسكوني" رئيس وزراء ايطاليا و"بينديكت السادس عشر" بابا الفاتيكان

في حالة الفرد يكون علينا كمسلمين أن نحاول توضيح خطأه المنهجي في الخلط بين الدين وبين سلوك بعض المنحرفين من أتباعه، ونجتهد في مناظرته بالفكر وبيان حدوث انحرافات تاريخية في سلوك أتباع كل دين على وجه الأرض، وأن العلة ليست في الدين هنا ولكنها في فهم الفرد لدينه، فلو كان هذا المفتري على ديننا مضللا فسيفهم وينيب للحق، فنكون قد حققنا بذلك نصرا إعلاميا كبيرا، ونكون كذلك قد كذبنا دعاواه التي ادعاها على ديننا أمام العالم بمجرد تعاملنا المتحضر معه، والذي ترفعنا فيه عن البذاءات والعنف، على نقيض مظاهر الاحتجاج العنيفة وفتاوى القتل وغيرها مما يثبت تهمة الإرهاب بحقنا!

وإن كان هذا الشخص الفرد معاندا أو مغرضا ننبذه نبذ النواة، فلا نذكر عنه حرفا في صحفنا ولا نتمادى في رد الفعل، فيموت ذكره في العالم، لأننا لو فعلنا العكس، فستتضاعف شهرته و يرى رسومه من لم يرها ويقرأ روايته من لم يقرأها! ويصبح شهيرا مرغوبا ومطلوبا ككاتب ومحاضر، ويصدر مذكراته فتبيع الآلاف من النسخ، فنكون قد صنعنا نمرا من ورق كالذين صنعناهم قبلاً! وأثبنا من امتهن مقدساتنا بالثروة والشهرة

أما من كان ممثلا لغيره كرئيس ديني لطائفة أو كرئيس وزراء في بلد ديمقراطي، فتؤاخذ الجهة التي يمثلها على هذه الإهانة ويطلب منها اعتذار رسمي مكتوب عما صدر عنه ينشر في كبرى الصحف العالمية،

فلو استجابت الجهة فبها ونعمت، وإذا لم تستجب نلجأ للاحتجاج في المحافل العالمية ونستعمل سلاح المقاطعة بأقصى قوانا، وعلى مستوى الدول بمنع الاستيراد من هذه الدولة وتقليل التمثيل الدبلوماسي بها

فمن واجبنا نحو الدين والوطن أن نحفظ لهما كرامتهما، ولكن علينا أن نتحلى بمنطقية رد الفعل حتى نحصل على نتيجة ايجابية لرد فعلنا، والعجيب أن رد فعلنا على "بيرلسكوني" كان أقل مما يجب على رئيس وزراء دولة صديقة! فلم تتعالى الأصوات بقوائم المنتجات الايطالية كما حدث مع الدنمارك؟ بينما رد فعلنا على الرسوم الدنماركية صنع من "فيسترجورد" رسام الكاريكاتير المجهول في جريدة محلية دنماركية نجما عالميا في مساجلات حرية التعبير، وبطلا تباع القمصان وقد طبعت عليها صورته!

هل كان هذا لأن المنافسة في قطاع منتجات الألبان التي نستوردها من الدنمارك ليست بنفس القوة فيما نستورده من إيطاليا؟ مجرد تساؤل

الولاء والبراء

الأساس المغلوط لتهمة الإرهاب

لعلي لا أجاوز الحقيقة بكثير لو قلت أننا نتناول هنا السبب الحقيقي الذي يضع الإسلام في عالم اليوم موضع المتهم بالدموية والإرهاب على عكس صفته التي يعرفها كل مسلم، ولعلي لا أذهب بعيداً لو قلت أن الفهم الخاطيء للولاء والبراء وما وجد حولهما من ضلالات أبدعها البشر على عكس ما يفهم من كتاب الله وحديث رسوله، هو المتهم الحقيقي في تكوين عقلية الإرهاب وتنظيراته التي أنتجت تنظيمات مثل الجهاد والقاعدة، سحبت ظلالها علينا جميعا وأدت لاتهام الدين القيم ظلماً بالدموية والإرهاب ورفض الآخر!

الفهم المعوج للولاء و البراء

حتى نوضح ما نعنيه، دعونا نطالع الفهم الذي يروج له الفكر الديني الرسمي لهذه القاعدة الدينية التي تؤثر تأثيراً كبيراً في سلوك الفرد، وقد جمعنا المادة التي نكتبها هنا من مقالات وأحاديث للعديد من المشايخ الأفاضل، هم على الحصر السادة "محمد بن سعيد القحطاني" و"عبد الرزاق عفيفي" و"صالح الفوزان" و"محمد حسين يعقوب"، ونستطيع أن نجمل ما قالوه جميعا، لتشابهه الذي يكاد يكون تطابقا، فهُم في هذا الأمر على وجهين لا ثالث لهما:

١) منهم من قال بأنه يتعين على المسلم أن يحب كل من هم على دينه ويواليهم، ويكره كل من خالف المسلمين دينا ومن اختلف عنهم فكرا، وله بعد ذلك أن يحسن لمن لم يحارب المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم لكن بغير صداقة ولا محبة! بل إحسان من قدر فعفا وأحسن!

٢) ومنهم من شط فزاد على هذا موجبا على المسلم أن يحرص على مخالفتهم في المظهر الخارجي، وألا يعيش في بلادهم إلا لضرورة قاهرة! ولا يعمل معهم ولا يوظفهم لديه في عمل ولا يتخذ منهم مساعدين، ولا يؤرخ بتاريخهم ولا يعتد بأعيادهم ولا يتسمى بأسمائهم، ولا يمدح خلقا من أخلاقهم ولا يستغفر لهم ولا يترحم عليهم!

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، إذ قمت لجنازة يهودي احتراماً للنفس البشرية، ورددت على من استنكر هذا قائلاً:"**سبحان الله! أوليست نفساً؟**" فسبحان الله فيمن كان مثلك نبيه ثم يفهم البراء بهذا الفهم الأعوج!

دعونا نرى ما بنوا عليه هذه التصورات مما ظنوه دليلا لهم وسنبين إن شاء الله أنه دليل عليهم، ثم نرد على ما ادعوه منهجا للمسلم فنبين تهافته وتخبطه وما يؤدي إليه من ضلال عند تطبيقه في الحياة

الكراهية المقدسة ودرس التاريخ

وقف البابا "إيربان الثاني" منذ قرون يحمس جنود الحملات الصليبية لقتل كل من وقع بيدهم من المسلمين الذين كان يسميهم كفاراً!

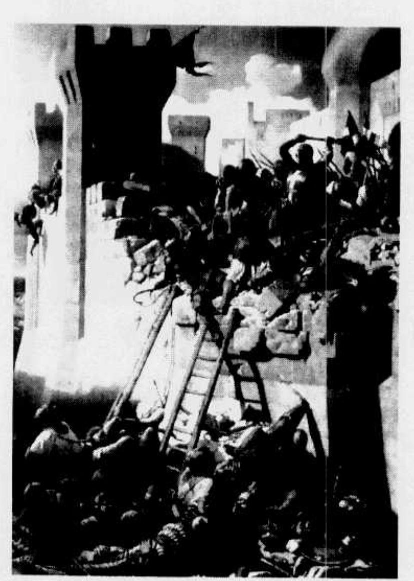
وكان يعد الجنود بأن من يُقتل منهم في قتاله مع أعداء القبر المقدس سيموت شهيدا ويكون الفردوس من نصيبه حتما بغير حساب، ويدعوهم لكراهية المسلمين بجماع قلوبهم ويسمي هذا بالحقد المقدس! فكم يشبه حقده المقدس الفهم المتطرف لقاعدة البراء؟



الجيوش الصليبية .. مبدأ البراء الفاتيكاني

في ذاك الوقت كنا نحن أكثر رقياً وتحضرا وجنوحا للسلم طالما كان للسلام والإخاء مع العالم سبيل، واليوم بعد أن وعت البشرية درس التاريخ، حتى اضطر الفاتيكان للاعتذار الرسمي عن الحروب الصليبية وعدها جريمة ضد الإنسانية، نرتد نحن لما كانوا هم فيه من ظلمات؟ لماذا نسيء اليوم للدين القيم بعد أن كنا منذ عدة قرون حجة على الدنيا كلها في الرقي والحضارة؟ لقد علمنا الدنيا السماحة الدينية في

الأندلس لأننا وقتها كنا نفهم ديننا فهما واضحا، منزها عن الأجندات السياسية لقوى الظلام وعن مزايدات مشايخ الإعلام، ولم يكن التطرف الديني قد جاوز الحالات الفردية أو الشراذم الشاذة، أما اليوم وقد اتبعنا أصحاب الأهواء والميول السياسية والشخصية في فهم ديننا، فها نحن قد انتكسنا مائة جيل للخلف، وشوهنا صورة الدين ظلما بفساد عقولنا فأصبحت الدنيا تعيب ديننا ونحن عيبه، وما لديننا عيب سوانا!



حصار عكا و سقوطها في يد أصحاب الكراهية المقدسة

أخطار الفهم الظلامي للولاء و البراء

لا ريب أن للفهم المظلم عواقبه الوخيمة، ومن هذه العواقب ما حدث بالفعل ومنها ما نتصور حدوثه قريبا لو بقي هذا الفهم رائجا وسائدا، أوجز أهم هذه العواقب والتداعيات في الآتي:

١) انهيار أواصل الصلة بين أبناء الوطن الواحد في مصر أو لبنان أو سوريا أو العراق أو غيرها، فالعلاقة وفقا لفهمهم يجب أن تكون علاقة إحسان استعلائية، كأن في أبناء الوطن الواحد من هو أعلى ومن هو أدنى، فهي شكل مختل من علاقات المواطنة لن يقبله المسيحي مثلا من مواطنه المسلم وسيواجهه بالمثل، فيكون انهيار السلام الاجتماعي على أقل تقدير، والذي قد يتطور في أي وقت ومع أي ظرف ضاغط إلى حرب أهلية على أقصى تقدير!

٢) انهيار مبدأ تكافؤ الفرص، فيوظف المسلم مسلما والمسيحي مسيحياً، وهو ما يحدث الآن بمصر، عدا من يعين عددا محدودا من الدين الآخر بكل مؤسسة لذر الرماد في العيون

٣) تحول المجتمع إلى جيتوهات ومستعمرات، مدارس ومستشفيات ونواد إسلامية وأخرى مسيحية، مجتمعات إسلامية مغلقة على نفسها، ومجتمعات مسيحية مغلقة كذلك، وكلما تباعدنا كلما ازداد جهلنا بالآخر وبالتالي عداءنا له، فهل يمكن أن يسمى هذا وطناً؟

٤) يصبح من واجبنا كمسلمين أن نتضامن مع تنظيمات كالقاعدة وطالبان، لأنهم مسلمون مثلنا، فنصبح إرهابيين فعلا!

٥) يتعين علينا أن نحد من التعاون الثقافي والاجتماعي والعلمي والبحثي مع الغرب الكافر، لنقع في تخلف أكبر مما نحن فيه

٦) ثم يجب علينا ألا نحترم معاهداتنا والتزاماتنا الدولية وفقا لفهمهم الخاطيء والقاصر لسورة التوبة!

وبكل هذا ينتهي بنا فهمهم المظلم إلى قاع العالم!

أدلة عليهم و ليست لهم

يسوقون كثيرا مما يحسبه البعض بينة لهم، فمما يستدلون به على وجوب الولاء لكل المسلمين حتى لو كانوا إرهابيين مجرمين، قول الله تعالى "**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**" (الحشر:١٠)، والآية الكريمة جاءت في سياق الحديث قبلها عن يهود بني النضير الذين نقضوا عهدهم مع النبي، فكان ذلك كفرا بالمعروف الذي قدمه لهم، فحاربهم الرسول وهزمهم ثم أمنهم فخرجوا من ديارهم بما حملت الإبل من أموالهم وأمتعتهم، وتبين الآيات أن خروجهم كان لمخالفتهم العهد مع الله ورسوله، ثم تتحدث عن تقسيم الفيء وخص المهاجرين ممن كانوا ذوي حاجة ماسة للدعم الاقتصادي وقتها ببعض الفيء، ثم أتت هذه الآية الكريمة، تتحدث عن الأنصار، والذين سبقوهم بالإيمان فيها هم المهاجرون، فتبين لنا أن هذا التقسيم حدث بتسامح من الأنصار دون أن تحمل قلوبهم غلا ولا كرها

لإخوالهم بسببه، فنفهم من الآيات معان سامية هي الإيثار، ومراعاة الطبقات ذات الحاجات الخاصة في توزيع ثروة المجتمع، لكننا لا نفهم منها ولاء لطالبان ولا القاعدة!

ويتلون في أدلة البراء قوله تعالى **"لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوۤاْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ"** (المجادلة:٢٢)، والآية الكريمة نزلت في الحلف غير المعلن بين المنافقين واليهود والمؤسس على العداء المشترك للمسلمين، والآيات قبلها تبين هذا، ثم تأتي الآية لتخبرنا أن المسلم الحق لن يحالف من يحارب أمته من أعدائها، ونلفت النظر هنا لأن عبارة "حاد الله ورسوله" تبين بجلاء أنها تتناول من يعادينا عداء ظاهرا بالحرب فيجعل السلاح بيننا وبينه، وليس عن الآخر المخالف لنا في الدين أو الفكر! فهي تنطبق اليوم على المنبطحين لإسرائيل، لأنهم أعداؤنا الذين تقوم حرب بيننا وبينهم، والذين يودونهم منا هم الخونة كما كان المنافقون خونة مجتمع المدينة، لكنها لا تنطبق علي لأن لي أصدقاء أعزاء من المسيحيين المصريين! الذين قاتلوا معنا الصهيونية جنبا لجنب!

أما الآيات من سورة المائدة والتي يوردونها منزوعة من سياقها، فلو وضعناها في سياقها القرآني نراها كالتالي **"لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ* تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ**

أن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ" (المائدة:٧٨، ٧٩، ٨٠)، فتلك آيات تحدثنا عمن كفروا بعهدهم من بني إسرائيل فاستحقوا لعن الأنبياء لغيهم وتشجيعهم بعضهم بعضا على الغي، ومن هذا الغي في زمن نزول الوحي تحالفهم مع المشركين ضد دولة الإسلام الناشئة، وكان المنطقي أن يكونوا أقرب للموحدين، لكن أغراضهم ومصالحهم حالت دون ذلك برغم العهود والمواثيق بينهم وبين الرسول (ص)، فالموالاة هنا أيضا كانت تحالفات بين قوى مختلفة في حالة الحرب ولا مجال لقياس هذا على المجتمع الواحد أو مجتمعات لا حرب بينها

وتراهم يرددون كذلك قوله تعالى **"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ"**(المائدة:٥١)، فكما أسلفنا، الموالاة بين العرب كانت تحالفات بين الأفراد والعشائر لتبادل الحماية بالقوة المسلحة وكان لعبادة بن الصامت أحلاف من اليهود، فلما ظهر منهم بعد غزوة أُحُد بوادر عداء للمسلمين وشماتة في مصابهم خلع "عبادة" رضي الله عنه تحالفه معهم ورده عليهم غيرة على دينه وأهله وأمته، فتلك حالة حرب وتحالفات عسكرية، ففي الحروب الصليبية مثلاً تنطبق هذه الآية على النصارى في جيش العدو، من يتولهم منا يصبح خائنا كأنه يحارب معهم ضدنا، أي كأنه صار منهم، لكنها لا تنطبق على الصداقات بين المسلمين والمسيحيين في الجيش المصري!

أما الآيات التي يوردونها منزوعة من سياقها من سورة التوبة في قوله تعالى **"يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُوٓاْ آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِن**

ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ**" (التوبة:٢٣)، فلو طالعنا ما سبقها من آيات، نجدها تحدثنا عمن حاول الاعتذار عن الهجرة للمجتمع الجديد وهم "العباس" و"طلحة" رضي الله عنهما، لأنهما من قوم يقومون بسقاية الحجيج وعمارة البيت، ولأنهم كانوا على موقع صدارة في عشائرهم فكرهوا مفارقة هذه الصدارة، فترلت الآية وما قبلها تأديباً، غير أنها لا تعني عدم مودة الأهل، فلو عنت ذلك لكانت مناقضة لقول الله تعالى "**وَوَصَّيْنَا ٱلإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَآ**" (العنكبوت: ٨)، وكذلك لقوله تعالى "**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً**" (لقمان:١٥)، فلو كان عدم الموالاة يعني الجفوة والبغضاء كما ادعوا لاستحال معه المعروف، ولكن عدم الموالاة هنا معناه عدم الانحياز للمعسكر المعادي لدين المرء أو مبدأه أو منهجه، حتى لو كان فيه أحب الناس إليه، وهذا شأن كل صاحب دين أو كل صاحب مبدأ بكل زمان و مكان، مع استمرار البر وصحبة المعروف للوالدين

ثم تأتي الآية الكريمة "**ياأيّها الّذين ءامنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحقّ يخرجون الرّسول وإيّاكم أن تؤمنوا بالله ربّكم**" (الممتحنة:١)، وهي بدورها تتناول من يوالي المعادين لدينه وأمته من الأعداء الذين اضطهدوهم وطردوهم من ديارهم، فهي بذلك لا تعني كل مغاير في الدين

ومما يسوقون في هذا المضمار قوله تعالى "**لاَّ يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَـٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ**" (آل عمران:٢٨)، والآية واضحة بلفظها فقوله تعالى "من دون" يفيد موقف اختيار على المرء فيه أن يختار بين أمته وأمة تعاديها! فيختار إما الانتماء لأمته أو الولاء والتحالف مع أعدائها، ومرة أخرى، هذه هي الخيانة، فأما قوله تعالى "**إلا أن تتقوا منهم تقاة**" فيفيد استثناء من وقع تحت رحمة العدو كالأسرى ومن يمالىء لهدف أسمى كرجال المخابرات العسكرية وقت الحرب والفدائي خلف خطوط العدو، فهؤلاء قد يقتضي الحفاظ على حياتهم وأداء مهامهم موالاة ظاهرة للعدو، لهذا أعقبها الله بقوله تعالى "**وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ**" لأنه مطلع على القلوب ويعلم لو كانت الموالاة الظاهرة بهدف الحفاظ على النفس والمنفعة العامة أم لإصابة هدف شخصي، فلا رقيب هنا إلا هو سبحانه، ومثلها قوله تعالى "**ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**"(النساء:١٣٩) وقوله كذلك "**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً**" (النساء:١٤٤)، فالتعبير بقوله تعالى "**من دون المؤمنين**" يفيد الاختيار الحتمي وهو لا يكون إلا في حال عداء بين فريقين، أما في حالة السلام فمنهج البراء لا محل ولا حاجة لتطبيقه

ثم نأتي لقوله تعالى "**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**" (المائدة:٥٧)، و الآية فيها تخصيص لعدم موالاة ومصادقة من يسخرون من الدين سواء كانوا على دين سماوي آخر أو على غير دين، وهذا أمر مفهوم ألا تقوم المودة بيننا وبين من يسخر منا؟ والسخرية ليست المناقشة والنقد ومقارنة الأديان وحوارها، ولكنها الاستهزاء الذي يهدف للانتقاص من الآخر والنيل من كرامته

أما من الحديث الشريف، فيسوقون قول الرسول صلى الله عليه وسلم "**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**"، وهو حديث يعبر عن إيجابية المؤمن في حياته والتي لا تتم إلا بالتزامه بدعم الخير والحق ونقض الظلم والشر قدر جهده وطاقته، فعندما أُحِب مثلا الراحل الجميل "رجاء النقاش" الذي كنت أسميه رجلا من زمن الحب لكل القيم الجميلة التي عاش وكتب من أجلها، فهذا حب لله، بحب النموذج الطيب من خلقه والمتوائم مع مهمة الإنسان المقدسة، وعندما أبغض "أسامة بن لادن" الذي شوه صورة الإسلام فأنا أبغضه في الله لأنه يمثل معاني التطرف والدموية والجهالة، وعندما أعطي للفقير والمحتاج والمريض فأنا أعطي لله، وعندما أمنع مالي من صناديق النذور و العشور فأمنعه عمن ينعمون به من غير المحتاجين فهذا منع لله، وما قلنا في هذا الحديث، يصدق أيضا في قوله صلوات الله عليه "**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**" فالله هو الحق، ومن أوثق الإيمان أن تحب وتكره في الحق وليس في الغرض

ومثل ذلك يقال في قول الرسول الكريم "**ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**"، فحب الخالق المبدع منطقي طبيعي كحب المرء لأمه وأبيه وأكثر، وحب المصطفى، وهو النبي الذي جاهد وعانى ليتم لنا نموذجا نحتذيه بحياتنا كذلك، وحبه يكون بإنتهاج منهجه وسنته التي بينها لنا قدر الجهد والطاقة، ثم من يحب عذاب الحيرة بعد استقرار الإيمان؟ الحديث يتحدث بمنطق جميل لا علاقة له بموضوع البراء من قريب أو بعيد!

أدلة التهافت

بعد أن تناولنا أدلتهم على فهمهم للولاء والبراء، ندلل هنا بأدلة واضحة لا مواربة فيها على خطأ هذا الفهم، لا لبراعة منا ولكن لأن ديننا محكم ومتين البنيان بكتاب الله وسنة رسوله، ومن أراد أن يصل به للرشاد أعانه الله عليه ليرشد، وسندلل على فساد فهمهم بخمسة أسئلة

١) لو كان البراء يعني ألا نتخذ من أهل الكتاب أصدقاء، فكيف يستقيم أن نتخذ منهم زوجات وبالتالي أنساباً وأصهاراً؟ أفلا يكون بين الرجل وزوجته مودة ورحمة؟ أولا يفضي إليها بسره؟ أليس الزواج أكثر حميمية من الصداقة؟ وما ينتج عن هذا الزواج من بنون، ألا يصلون رحم جدودهم وأخوالهم من أهل الكتاب؟

٢) حين يقول رسول الله "**خالق الناس بخلق حسن وأتبع السيئه الحسنه تمحها**" فهل عجزت بلاغته صلوات الله عليه أن يقول "**خالق المسلمين**" لو أراد هذا؟ أم أنه أراد أن نعامل الناس جميعا معاملة حسنة بدون تفرقة على أساس من دين أو عرق؟ لأننا وإن اختلفنا في الدين فنحن شركاء في الإنسانية، فكلنا لآدم وآدم من تراب، وفي هذا قال "علي" كرم الله وجهه في رسالته لمالك الأشتر حين ولاه مصر "**وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف عليهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق**" والنظير في الخلق هنا يقصد به كل ولد آدم، فهكذا فهم من تربى في حجر الرسول، وهكذا فهم السلف من صحابته، ألم يصلنا قول سيد الخلق في حسن الخلق ومعاملة الناس بالحسنى "**إنّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم**"؟ ويوم قال "**ما يوضع في ميزان أمرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق**"؟

٣) يقولون أنه لا يحسن بمسلم ان يفضي بسره لغير المسلم؟ ولا أن يوظف في عمله غير المسلم لو وجد مسلما يقوم بهذا العمل! فكيف أفضى الرسول لدليل رحلة الهجرة "عبد الله بن أريقط" وهو مشرك على دين قومه بساعة الصفر للتحرك؟ والتي كانت أهم أسرار الأمة وقتها؟ فواعده عند غار ثور بعد ثلاث ليال؟ سيقولون كعادتهم حين يريدون الخروج من مأزق، بأنها

حالة ضرورة والضرورات تبيح المحظورات، فنجيب أنها لم تكن ضرورة وكان من المسلمين من يعرف الطريق، لكنه صلوات الله عليه اختار الأكفأ وعهد إليه بالسر ثقة في ذمته وشرفه المهني، وأحسب أنه صلوات الله وسلامه عليه قصد ذلك ليعطينا إشارة تحسم موضوع أهل التقوى وأهل الخبرة لصالح أهل الخبرة طالما كان الأمر من أمور الدنيا وتصريفها بالرأي والعلم

٤) يبررون عدم تعارض منطقهم في فهم البراء مع الآية الكريمة "**لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ**" (الممتحنة:٨)، بأن البر والعدل لا يعنيان الصداقة والحب، أما علموا أن البر هو الخير كل الخير؟ وهو المنهج الذي وصف الله به معاملة الأنبياء لآبائهم وأمهاتهم في قوله تعالى في وصف نبيه "يحيى بن زكريا" عليهما السلام "**وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً**" (مريم:١٤)؟ وكذلك قوله عن "عيسى" عليه السلام "**وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً**" (النساء:٣٢)؟ فهل يعامل الأنبياء آباءهم بما هو أقل من المودة والحب؟ ثم كيف يتحقق القسط مع تفضيل المسلم على غيره في المناصب والوظائف؟ أليس هذا عين الظلم والحوب؟

٥) ما قولهم فيما رواه "أنس بن مالك" عن الرسول (ص) أنه قال **"دعوة المظلوم وإن كان كافرا ليس دونها حجاب"**، أليس تفضيل المسلم على غيره وعدم معاملة الناس بالحسنى سواسية ظلماً؟ أليس الضن بالعلم على غير المسلم ظلما؟ فلو دعا يستجيب الرحمن لدعوته على من ظلمه وإن كان مسلماً كما حدث الرسول؟

ما هو الولاء الحق؟

الولاء الحق نراه على عدة وجوه مما نفهم من القرآن والسنة:

١) أن يسلك الإنسان سلوك الباحث عن الحقيقة والداعم لها، حريصا على الخير والحق في بيته وعمله، فإذا تجاوز هذا للعمل العام كان أفضل وأوفى، فهذا ولاء لله تعالى بتحقيق مشيئته في نهوض البشرية وتطورها

٢) الولاء للمجتمع الذي ينتمي إليه، إلى آلامه وآماله وطموحاته، فينتمي المسلم للمسلمين ولا يتعارض هذا مع انتمائه لوطنه مصر، ولقوميته العربية، ولثقافته المصرية المركبة، ومن الانتماء أن يلتزم بما يراه الحق من مواقف مجتمعه، حتى لو تعارض هذا مع مصالحه الشخصية

٣) لو انتهج مجتمعه نهجا خاطئا أو تعارض مع دينه أو مبادئه، كان الولاء للدين والمبدأ أولى من الولاء للجماعة من الناس،

مع عدم العدوان على مجتمعه بالطبع، ولكن مجرد المخالفة المنهجية

و ما هو البراء الحق؟

نرى البراء كذلك على عدة وجوه:

١) أن يبرأ الفرد من جهل القطيع الذي ينتمي إليه لو كان على باطل، سواء كان هذا الباطل دينا أو فكرا أو فهما مغلوطا، فلا يخاف في الحق كما يراه لومة لائم ويكون تبرأه باعلان موقفه واضحاً جلياً حتى لو خالف ما يظنه البعض ثوابتا كونية، فبهذه المواقف الواضحة تراجع البشرية نفسها وتعدل مسارها للأصح والأفضل، وذلك كقوله تعالى "**قُلْ يَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**" (آل عمران"٦٤)، فصيحة الإيمان في العلن هذه كانت براءة، وكذلك كان موقف الأنبياء والصالحين، وكذلك كانت صيحة "جاليليو" براءة من جهل الفاتيكان، ومثلها صيحة "مارتن لوثر كنج" في أمريكا لحقوق السود والملونين براءة من العنصريين، وصيحة الشيخ "محمد عبده" براءة من جهل الجامدين من عبدة نصوص التراث، وموقف الطيارين الأحرار الذين طاروا من سوريا إلى مصر

بعد الانفصال لأنهم كانوا وحدويين ورأوا في انفصال سوريا ردة للوراء هو براءة من المشاركة فيما رأوه باطلاً

٢) أن يبرأ الفرد من أي التزام تجاري أو تعاون ثقافي أو اقتصادي أو سياسي مع الأفراد والجماعات التي تعتدي على أمته، فهذا ينطبق على حالنا مع إسرائيل، فنحن لا نبرأ منهم ونقاطعهم لأنهم يهود ولكن لأن دولتهم الدموية قامت على أشلائنا ودمائنا، فلا يجوز لأي منا أن يعقد معهم صداقة أو تطبيعا تحت دعوى السلام، لأن إسرائيل لم تجنح للسلم بالحق والصدق أبداً

وأخيراً، الآية التالية تبين في وضوح لا تدع مجالا لتخمين، أن ما بيناه من قصر البراء على من يحاربنا ويبغي علينا هو الأقرب للمنهج القرآني، بقوله تعالى "**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ**" (الممتحنة:٩)، فهل هناك بيان أوضح من هذا لمن نهانا الله عنهم؟ علماً بأن الآيات لا تتحدث عن أهل الكتاب ولكن المشركين؟ فلو لم يمنعنا الله من الكافرين إذا لم يستضعفونا و لم يطردونا من ديارنا فأهل الكتاب بالبر والقسط أولى!

نقول ونؤكد، الموالاة كانت في عرف العرب تحالفات عشائرية وفردية للدفاع المشترك، فليس لهذا علاقة بمعاملات أفراد المجتمع الواحد، ولا بعلاقات المجتمعات ببعضها البعض في غير حالات الحرب،

فهذا هو الولاء والبراء كما نراه، مبدأ يتوافق مع الفكر الإسلامي الحكيم عامة وليس فيه عسر إلا على الخونة وبائعي الأوطان

والله أعلم بما أراد

الصحوة الصـــــينية

نظرة على ابداعات البيزنس الإسلامي

من كام يوم وأثناء حوار مع أخويا ع التليفون، كان بيحكيلي على محل ملابس عارض في الفاترينة مانيكانات بلاستيك وملبسهم نقاب! ضحكت وعدينا الموضوع، بعدها بكام يوم لمحت يافطة محل لانجيري مكتوب عليها اسم المحل، اسمه ايه بقى؟ اسمه "**بلو جوب**"! ممكن يكون الأستاذ اللي سماه والبيه اللي رخص المحل بالاسم ده مايعرفوش إن "بلوجوب" كلمة أمريكاني سوقية ذات معنى جنسي، مش دي المفارقة، الألطف إنه بمناسبة الصيف وحر الصيف حاطط إعلان بيقول: **يوجد مايوه إسلامي!**



كلمة مايوه إسلامي دي نرفزتني حبتين، خلاص؟ هان علينا الدين نلزق اسمه بمايوه؟ هو ده تكريم الدين؟ قلت لنفسي أعمل بحث سريع كده، وأجمع الحاجات اللي ملوك السبوبة بيلزقوها في الدين ويلزقوا فيها كلمة إسلامي عمال على بطال ركوباً للموجة الرايجة



لليمين "ماو زيدونج" و لليسار "دنج زيوبنج" ، الرجلان اللذان حولا الصين من بلد مجاعات إلى قوة دولية عظمى يحسب العالم لها ألف حساب

وقبل ما واحد يقول الكليشيه المعروف: كلمة إسلامي مضايقاكم في ايه؟ هاسبق أنا وأقوله: مش مضايقاني إطلاقاً، بالعكس، تسعدني قوي بس لما تكون بعد الكلمة الصح، فقه إسلامي، فن إسلامي، فلسفة إسلامية، عمارة إسلامية، تاريخ إسلامي، كل ألوان الفكر والفن دي خرجت للوجود من احتكاك ثقافة الإسلام مع الحضارات اللي وصلها الفتح العربي، مصر والشام والهند والأندلس، وكمان علوم الفلك والجبر وحساب المثلثات والاجتماع كلها إسلامية الجذور، مع ذلك ماحطيناش بعدها كلمة إسلامي علشان لا كنا عاوزين سبوبة ولا

لينا هدف سياسي، والعظماء اللي ابتكروها كانوا فاهمين إن العلوم لا تنسب لدين على عكس الفن والفلسفة، لأن العلم تراكمي بطبيعته وملك البشرية كلها، هم استفادوا من التراث اليوناني القديم لما نقلوه للعربية وأضافوا عليه وابتكروا وبعدين غيرهم استفاد من علمهم

ده بقى لما كان عندنا قدرة على العطاء الحضاري، أما النهاردة في ظل ثقافة الاستهلاك الأمريكية بالروح، والخليجية بالمنهج، والصينية بلد المنشأ، والإسلامية بالإسم بس، بقينا بنبدع الحاجات اللي مرصوصة تحت دي! أو بمعنى أدق بتبتدع لنا في الصين

بيصنعها شعب شغال ومكافح، قدر قادة عظام زي "ماو" وبعده "دنج" يوجهوا دفته في طريق الإنتاج، علشان ينتجوا واحنا اسم الله علينا نستهلك ع الجاهز، تعالوا نشوف مع بعض معرض الصحوة الصينية .. عفوا .. الصحوة الإسلامية اللي بيقولوا عليها



ده بقى **الهاتف الإسلامي**، مكتوب عليه من فوق بالحفر: محبة الرحمن وتحتها على طول ماركة التليفون، يعني تقرأ على بعضها: محبة الرحمن نوكيا! الحاجة الوحيدة ذات المعنى والقيمة فيه إنه مزود ببرنامج مواقيت صلاة، لكن طبعا كمان عليه كليبات إسلامية وأغاني إسلامية، وشوية شوية يترلوا فيه ألعاب إسلامية! ومع ذلك .. لسة التقل برضو ورا



بصفتي مسلم فخور بالبرمجيات الإسلامية، اسمحولي أقدملكم المحروس المدعو بالمسنجر الإسلامي، وفي رواية أخرى المسنجر الدعوي! علشان نستخدم الشات في الدعوة، واهو كله بثوابه، وعاملين موقع عليه إزاي تحول المسنجر العادي إلى مسنجر إسلامي! فكروني بالمرحوم "محمود مرسي" في فيلم فجر الإسلام لما "حنظلة" أسلم وربنا كرمه واستحمى، فقاله: لقد تغيرت رائحتك يا حنظلة، تخيلته وهو ماسك

الشاشة بإيديه وبيكلم المسنجر ده ويقوله: لقد تغيرت رائحتك يا مسنجر؟ لقد صبأت؟ واللات والعزى لأمحونك من الكونترول بانل، ولأجعلنك عبرة لكل البرامج! هنقول إيه؟ الصبر طيب



طول عمرنا كان عندنا أغاني وتواشيح دينية، صح؟ وكانت على أرقى مستوى من الإبداع الفني والأدبي كلمات وألحان وغناء؟ الله يرحم الشيخ "سيد النقشبندي" وتواشيحه اللي تهز القلب في الفجر، مولاي إني ببابك، وبنت وهب أنجبت ولداً، وبدر الكبرى، وكان فيه أغاني "أم كلثوم" و"سعاد محمد" رحمهما الله، الرضا والنور، وكم ناشد المختار ربه، وغيرها، وكتير منها كانت مصورة برضو، ليه فجأة طلع لنا مصطلح الكليب الإسلامي ده؟ حتة من الشرق على حتة من الغرب، أفلام ماشي، أغاني مايضرش، أناشيد وماله، كل ما فيه حركة

ويمكن تصويره يندرج تحت هذا البند! المهم كل تقليعة أو تعبير خايب يطلع في الدنيا نلحق ناخده ونطلع منه نسخة إسلامي علشان الشباب مايتخنقش منا، وبرده بجيب قرشين يساعدوا على المعايش والدنيا غلا!



ومش كفاية بدعهم ، لأ كمان بيحاولوا السطو على هوية الغير! كلنا عارفين المخرج العظيم "مصطفى العقاد" رحمه الله، لما توفاه الله سنة ٢٠٠٥ لقيت طوفان مقالات بتنعي الفنان العظيم على مواقع إخواننا، طيب ده كلام هايل، الوفاء واجب لفنان بحجم "العقاد"، تيجي تقرا بقى تلاقي بجاحة غير مسبوقة، يقولك إيه: المخرج الإسلامي العبقري مصطفى العقاد! كمان الإخراج بقى فيه إسلامي ويهودي؟ وتكمل قراية فتلاقيهم بيقولوا إن المرحوم كان من أبطال الصحوة الإسلامية! في محاولة لضمه لصفوف الإخوة بعد وفاته، زي محاولة ضم "المسيري" تمام!

"مصطفى العقاد" رحمه الله وجزاه عنا كل خير، عمل فيلم الرسالة العالمي عن ظهور الإسلام في أول مراحله من البعثة لحد غزوة أحد، وعمل نسختين من الفيلم طلبا للكمال الفني، واحدة عالمية بطولة "أنتوني كوين" في دور سيد الشهداء "حمزة" و"إيرين باباس" في دور "هند بنت عتبة"، وواحدة عربية بطولة "عبد الله غيث" والفنانة السورية "منى واصف" في نفس الأدوار، والفيلم يعد أعظم وأثرى إنتاج سينمائي عن الإسلام، صرف عليه "العقاد" الله يرحمه أكتر من عشرة مليون دولار في السبعينات، وكل ده كان بعد موافقة الأزهر على السيناريو، ولما جهز الفيلم للعرض، طلع مجمع البحوث الإسلامية ممثلا في السيد "رجب بيومي" وقال: لأ، ماينفعش سيد الشهداء يظهر! يا عم طيب ما كان من الأول! مفيش فايدة، ومشيت الدول العربية مدة ورا مصر في الحكاية الخايبة دي، يعني في حياة الرجل منعوا عرض الفيلم في العالم العربي وقهروه على تعبه وفلوسه اللي ضاعت في النسخة العربية، ولولا النسخة العالمية كان اتخرب بيته، والنهاردة ينسبوه لنفسهم ويسرقوه وهو ميت؟

أما عن باقي عناصر النهضة الصينية فحدث ولا حرج، من فانوس رمضان جاي من الصين يغنيلنا رمضان جانا! لسجادة الصلاة الصيني أم بوصلة، بركة من الأراضي البكينية! للساعة الصيني المسماة بالعصر وبتأذن، للمسبحة اليسر المضروبة من لدائن البلاستيك، لنماذج الكعبة المصغرة كتحف منزلية! ونماذج الكعبة اللي بتتنفخ هوا لتدريب

الأطفال على الحج! برضو صناعة صينية، يبقى يحق لنا نسميها صحوة صينية ولا لأ؟



مع ذلك، كل اللي فات ده مش مهم، رزق الهبل ع المجانين، ولما التهريج يبقى في الحاجات الفارغة دي مش مشكلة، هنقول تقاليع ونحاول نتجاهل الإهانة الموجهة للدين بنسب التفاهات دي إليه، ونقول زيها زي أي سلع تافهة بيشتريها شعب استهلاكي، لكن فيه تلات حاجات مزعجين فعلاً، الطب والثقافة والتربية، لما الدجل والنصب يطول دول، يبقى على الدنيا السلام

ونبدأ بالطب، لما يوصل الدجل لصحة الناس، ويبقى النصابين أطباء لازم يبقى لنا وقفة، صحيح النصبة عالمية وفيه اتحاد عالمي للطب الاسلامي! بس ده مش دليل على حاجة، لأن أي مجموعة نكرات في بلد ديمقراطي زي أمريكا ممكن يكونوا اتحاد، وممكن يسموه اتحاد طبي طالما منهم أطباء، هناك مفيش خوف منهم مع القوانين الصارمة

والرقابة على الممارسات الطبية، مش هيقدروا يضروا حد ويا هيعالجوا بالعلاجات الطبية السليمة وبعدين يرقوا العيان لو حابين، يا هيتوقفوا عن العمل فوراً، هناك لو دكتور كتب لمريض سكر برطمان عسل نحل الصيدلي مش هيصرفه وهيبلغ الجهات الرقابية، والدكتور هيلاقي رقابة طبية فوق دماغه تاني يوم، لكن هنا الصيدلي هيصرف برطمان العسل ويديله عليه رغيفين عيش هدية في غياب أي نوع من الرقابة على الممارسة الطبية!

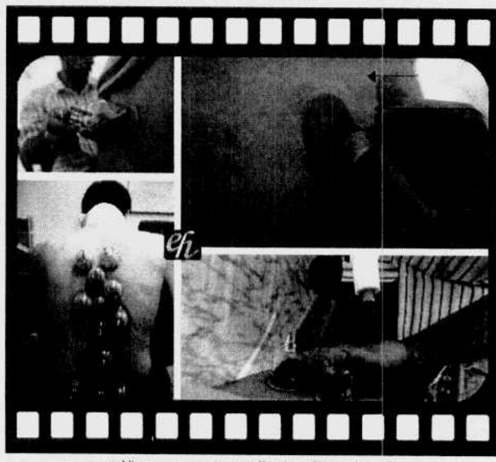
الناس بتموت من شرب بول الإبل وعلاجات السكر الموهومة، والتلبينات والتخشينات، ومن فيروس سي الكبدي اللي بيتنقل عن طريق أدوات الحجامة القذرة!

الحجامة دي بقى حكاية تانية

نصبة الحجامة؟

بيقولوا إن الحجامة دي من الطب النبوي! طيب إيه رأيكم إن الحجامة هي كمان صيني؟ و بعدين اتعرفت من الصين للدنيا كلها قبل الميلاد؟ واسمها اللاتيني اللي بيدرس في تاريخ الطب هو فليبوتومي، وكان أساسها اعتقاد القدماء بنظرية المواد الأربعة، كانوا بيعتقدوا إن صحة الجسم قايمة على توازن أربع سوايل، عصارة صفراء، وعصارة سوداء، ومخاط ودم، فإذا الدم زاد يربك الجسم! علشان كده كانوا

بيستترفوه بالشكل ده! طبعا النهاردة أثبت العلم خطأ النظرية والحجامة اللي اتبنت عليها!



الحجامة، وسيلة ممتازة للعدوى بفيروس سي و الإيدز

وعموما أغلب الطب العربي اللي بيقولوا عليه طب نبوي أصوله صينية، اتعلمها العرب من الصين اللي كانت من أعلى البلاد علما بالطب وقتها، علشان كده الرسول (ص) قال "**اطلبوا العلم و لو في الصين**"، والرسول عمره ما قال إنه طبيب، ولو كانت رقيته ربنا جعلها سبب شفا لناس فده لأنه الرسول ودي حاجة خاصة بيه وحده

وإذا كنت أنا في محيط علاقاتي سمعت عن تلاتة توفاهم الله بسبب دجل الطب الإسلامي ده، يبقى كام واحد في مصر راحوا؟ كام ماتوا

وكام انتكسوا وكام جتلهم عاهات؟ أكيد كتير، بعدد أكياس العطارة المخلوطة بالتراب اللي بيبيعها الدجالين قدام المساجد يوم الجمعة



الحجامة الصينية .. الأصلي!

أما عن الثقافة فحدث ولا حرج، هجمت ثقافة الوهابية على بيوتنا من كتب الشوارع والأرصفة، والمثير إن أسعار الكتب الحقيقية تتضخم وتتضاعف وتفضل أسعار الكتب دي زهيدة زي قيمتها المعرفية، وبعضها يباع بأقل من تكلفة طباعته، إزاي؟ الفرق ده مين بيتحمله؟ وليه الكتب دي مافيهاش توعية بواجب المسلم نحو مجتمعه؟ واجبه في التكافل الاجتماعي؟ وفي قول الحق في وجه الطغاة؟ مفيش غير شوية عناوين مكررة من المسيخ الدجال لعذاب القبر، لتفاصيل التفاصيل بشأن الدار الآخرة، ليأجوج ومأجوج، وبروتوكولات صهيون وانجيل برنابا!

كلنا عارفين الكتب دي وحافظين عناوينها علشان بنشوفها أسبوعيا بعد صلاة الجمعة على الأقل، مش كده؟ وأحيانا تلاقي بياع السموم الطبية والسموم الفكرية نفس الشخص، وطبعا لازم يكون من الإخوة!



موضوع النشأ محتاج بحث مستقل، لكن هاكتفي بالإشارة لنموذج واحد بس، هو نموذج الآنسة "فلة"، اللي هي "باربي" بس بعد ما طفينا ملامحها وغمغمناها بالسواد على الطريقة الخليجية وسميناها "فلة"، هل قصر فستان "باربي" كان أهم مشاكلنا في العالمين العربي والإسلامي؟ وهل وجود عروسة بسعر وتكلفة الست "باربي" ولا الحاجة "فلة"، وتكلفة هدومهم ولوازمهم في بلد نص شعبه تحت خط الفقر يرضي ربنا؟

"فلة" هي رمز التفاهة اللي لا تضر ولا تنفع! كان فيه رواية زمان ليوسف السباعي عنوانها "الهزيمة كان اسمها فاطمة"، ظروف "فاطمة"

دي كانت تجسيد لمعاناة الهزيمة، العروسة دي فكرتني بعنوان الرواية، ولقيتني باقول من غير ما اشعر وانا شايفها في السوق الحرة .. الهيافة كان اسمها فلة!



فلة .. دمية ترمز لما وصلنا إليه من تفاهة

هل كده بقينا مسلمين أفضل؟

واقع الحال بيقول إن الفساد والرشوة زادوا، الجرايم في زيادة مستمرة وانفلات الشارع لا يطاق والمعاملات بيحكمها الغش والنصب، من ده كله نفهم إيه؟ أنا عن نفسي أفهم إن الواجهة الخارجية للمجتمع خدت وش بوية إسلامي، طلاء مش أكتر، لكن الدين بيتضاءل في جوهر المجتمع الخلقي، ونموذج المصري الشريف اللي بيشتغل من غير كسل ويؤدي الفرائض بحب، ويفني حياته في تربية عياله ويخالق الناس بخلق حسن، وبرضو عايش حياته وبيضحك

وينكت ويطرب للفن الجميل بقى نادر جدا، النموذج ده هو اللؤلؤة اللي بعناها واشترينا بتمنها لون نطلي بيه الواجهة من برة! طحنا عضمه في الطلبات الاستهلاكية وسعار التضخم، فاضطر يجري على لقمة العيش جري الوحوش، ووقعت منه وهو بيجري أغلب صفاته الجميلة دي، هي دي لعنة التدين الظاهري والفساد الباطني اللي بيسموها صحوة، فلا نلومن إلا أنفسنا يا سادة يا كرام

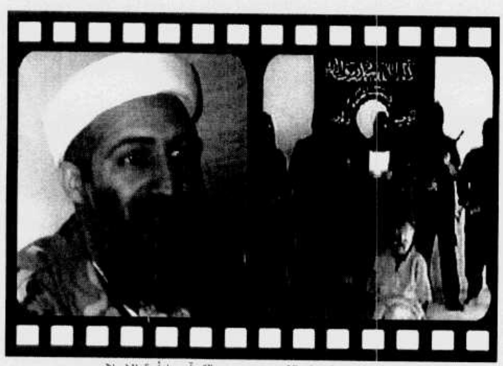
الجهاد في زماننا

كيف نعيد الجهاد للجهاد؟

في ١٩٧٦م وفي إطار خطة نادي السفاري، قررت المخابرات المركزية الأمريكية وأصدقاؤها في المنطقة إستخدام لفظ الجهاد في المجال السياسي بدلا من تعبير النضال الوطني الذي كان سائداً منذ بدايات القرن، فانتقل الجهاد من بطون الكتب الدينية لصفحات الجرائد العالمية، وحرص الأمريكان في لغة خطابهم السياسي حول أفغانستان أن يعطوا مسمى الجهاد في عقول غير المسلمين صورة قريبة من الكاميكازي أو الشينبو الياباني، وهذا نقل تعبير "جيهادي" ليستخدم بنفس اللفظ بالإنجليزية! ولم يحمل في العالم اليورو-أمريكي على محمل سيء إلا بعد انقلاب السحر على الساحر، واتجاه من كانوا جند المصالح الأمريكية ضد السوفيت للهجوم على أمريكا، حتى زاد الأمر وفاض في سبتمبر ٢٠٠١م، ليصبح لفظ "جيهاديست" مرادفا للفظ إرهابي في الأدبيات الغربية كلها!

ونحن كمسلمون نعرف أن الفقه الإسلامي فصل أربعة أنواع من الجهاد، جهاد النفس بمقاومة ميلها للانحراف، وجهاد اللسان بقول الحق ونصرة الحق بالرأي، وجهاد اليد ومنه تغيير المنكر باليد، وأخيرا جهاد السيف، وفي حوار مع صديقي العزيز الدكتور "أحمد عبد الله" على أحد مقاهي المعادي تحدث الدكتور عما أسماه اصطلاحاً بالجهاد

المدني، ويعني به الإنشغال بالعمل العام وما فيه مصلحة الناس بشكل مجمل، وشرح كيف يرى أن هذا هو الجهاد الذي نحتاجه، وفهمت منه أنه نشر الفكرة ومحتواها سابقا، لكنها لم تنتشر بما يكفي للأسف



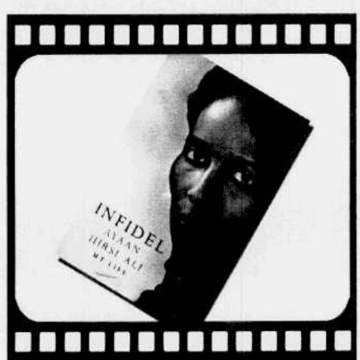
هل هذا هو الجهاد الذي نفهمه من القرآن يا أمة الإسلام

والليلة أتاني بريد من قارىء أمريكي قرأ مقالتي المنشورة في "أمريكان كرونيكل" عن المرأة في الإسلام، فأرسل يسألني تعليقي على الفيلم الهولندي المسمى بالخضوع، فكان هذا لقائي الأول مع الفيلم الخالي من أي أثر للحقيقة في محتواه الفكري، والخالي من القيمة الفنية كذلك في أسلوبه، وهو فيلم لمن لا يعرف قُتل مخرجه "فان جوخ" على يد مسلم هولندي من أصل مغربي، فغادرت كاتبته الصومالية الأصل "آيان هيرسي علي" هولندا إلى الولايات المتحدة تحت حراسة مشددة، والفيلم شديد التسطيح والتفاهة ومؤسس على كتاب لهيرسي هذه لا

يقل تفاهة واهتراء، يتناول ما تتصوره اضطهادا للمرأة في الإسلام، لكن مخرجه عرف كيف يحادث مواطنيه بلغة يفهمونها وتجد عندهم أذنا صاغية، فصنع شيئا من هذه التفاهات



المخرج المغمور "ثيو فان جوخ" لليمين و قاتله "صلاح الدين" لليسار



التافهة "آيان هيرسي علي" و التي جعل لها حادث قتل مخرج فيلمها وزناً و قيمة، في كتاب عن قصة حياتها، سمته: الكافرة .. قصة حياتي

جمعت بين ما قاله صديقي وبين الفيلم الهولندي الذي عرض رسالة مسيئة للإسلام، وخرج السؤال التالي: كيف نعيد تقديم مفهوم الجهاد لنصحح صورته المغلوطة التي تحتل ذهن رجل الشارع في العالم؟

وهذه كانت محاولتي المتواضعة للإجابة، فاحتجت أولا لفصل وتمييز ثلاث مفاهيم حتى يتضح الفارق بينها، وهي مفاهيم الجهاد، والجهاد في سبيل الله، والقتال في سبيل الله

الجهاد

علينا أن نبين أولاً أن معنى الجهاد لغويا ليس القتال ولكن كل جهد بدني أو عقلي أو نفسي يبذل لخدمة هدف محدد، كقوله تعالى "**وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَآ**" (العنكبوت:٨)، فجهاد الأبوين المقصود هنا هو المحاولات الجادة لإثناء الابن عن دينه، فهو جهد يبذلانه لخدمة هدف يعتقدان أن فيه خير لهما وله

الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله مفهوم قرآني يقرن الجهاد بالاتجاه الذي يدعمه، وهو سبيل الله، فهو تعبير شامل لكل ما ساعد على إعمار الكون ونصرة الحق والخير والجمال فيه، فهذه هي القيم التي أرادها الله لخلقه منهجاً، وذلك كقوله تعالى "**وَٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ**

ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ" (العنكبوت:٦٩)، فنحن نفهم من سياق الآيات السابقة عليها أن الجهاد هنا جهاد للنفس، وجهاد في طلب الحق ومسلك الحق في الحياة، وعلينا أن نبين للعالم وجوه هذا الجهاد الغير قتالي وأنه موقف عام ومستمر من الحياة، وليس فريضة محدودة كبقية الفرائض، فالجهاد في سبيل الله يتحقق بدفاع المسلم عن أفكاره وآرائه ومبادئه، وبانحيازه للفقراء والضعفاء والمهمشين في الحياة، وهو كفاح خليق بتحقيق الخير والنماء لعالمنا، ولهذا قال تعالى "**وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ**" (العنكبوت:٦)، فنحن نجاهد لأنفسنا وهدف الجهاد هو خير البشرية واستقرارها، ويتحقق هذا النوع من الجهاد بأن يمثل كل مسلم في حياته الخاصة نموذجاً حياً للخلق الكريم، ويقدم في عمله نموذجا ناجحا من الناحيتين المهنية والخلقية، كقوله تعالى "**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَٰأَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلأَمِينُ**" (القصص:٢٦)، فالقوة بلغة عصرنا هي الكفاءة المهنية والأمانة هي الالتزام الخلقي في ممارسة العمل، وهو التزام نحو المؤسسة ونحو الزملاء والرؤساء والمرؤوسين، وبه تتحقق أفضل مستويات السلوك المؤسسي وبالتالي نهضة المجتمع

وبعد بيان الجهاد في عملنا، علينا توضيح دوره على مستوى الأسرة، وأن على كل مسلم أن يجعل من أسرته خلية متطورة في المجتمع، لا ضرب فيها لزوجة ولا قهر لطفل، فخيرنا هو خيرنا لأهله كما قال النبي الكريم، وعلينا الاسهاب في بيان الدور التربوي للجهاد،

فالأم التي تعد الأطفال لغد مشرق مجاهدة، والأب الذي يناقش ويجادل بالحسنى في بيته مجاهد

ثم يأتي دور الجهاد في التكافل الإجتماعي بالتغلب على شح النفس والتعود على البذل والعطاء حتى يصل المجتمع لمرحلة الكفاية والعدل، فالزكاة فريضة تؤدى وجوبا، لكننا لا ننال البر الذي وعد الله في قوله تعالى "**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**" (آل عمران:٩٢) حتى نبذل مما نحب

ومن الأشكال المعاصرة للجهاد في سبيل الله جهاد البيان، ويشمل المشاركة السياسية والمعارضة بكل قنواتها الشرعية بما فيها الإحتجاج السلمي والاعتصام وغيره مما لا عنف فيه ولا تخريب، فالمعارضة هي كتلة التوازن للحكومات كما قال "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه: **لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها**، موضحا أهمية المعارضة حتى لو أحسنا الظن بالحاكم، فالمعارضة إن لم تكن أسلوب تقويم فهي صمام أمان

كذلك من ضروب الجهاد في سبيل الله اجبار النفس على احترام القانون والالتزام به، وهو ما من شأنه تحقيق النظام والانضباط على كافة المستويات لو اتبعناه

القتال في سبيل الله

نحتاج لشرح مفهوم القتال في سبيل الله كفعل دفاعي أو استباقي أو ردعي بحد أقصى، لكنه ليس عدوانيا بأية حال، ومن هذا قوله تعالى **"وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ"** (البقرة:١٩٠)

فحتى الجهاد العسكري بالقتال يهدف لخير البشر، بأن يكون للحق قوة تزود عنه وتحميه، فهو لهذا خير للجميع كما في قوله تعالى **"كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ"** (البقرة:٢١٦)، وقوله تعالى لبيان هدف القتال **"وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ"** (النساء:٧٥)، فهو قتال تحرير الضعفاء والزود عنهم ضد طغيان القوي وليس قتال الغزو أو الاحتلال واستضعاف الآخرين

الفتوح الإسلامية

لم تتجاوز الجيوش الإسلامية حدود جزيرة العرب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاحتكاك بالروم في غزوة مؤتة حدث داخل حدود الجزيرة العربية ونتيجة للأخبار المتواترة عن نوايا الروم والغساسنة العدوانية تجاه الدولة الناشئة، فضلا عن قتل "شرحبيل بن عمرو" للرسول الذي كان يحمل رسالة النبي إلى بصرى، فهو لم يكن غزوا للروم، أما اليرموك فكانت للثأر من هزيمة مؤتة، حتى لا يغتر الغساسنة بالنصر فيحلموا بغزو المسلمين في عقر دارهم في المدينة

أما الفتوحات خارج الجزيرة العربية في عهد الراشدين فكانت قرار دولة نتج عن ضرورة زمنية في عصر إمبراطوري، كان على الدول فيه أن تختار بين تبعيتها لغيرها أو تبعية غيرها لها، فنموذج سويسرا لم يكن واردا في ذلك العهد البعيد، إما أن تكون امبراطورية غازية مرهوبة الجانب أو تنكفيء على نفسك فيغزوك غيرك طمعا، وما يصدق في هذا يصدق في فتوح الأمويين والعباسيين بعدهم، قرارات دولة وليست واجبا دينيا، وعلينا ألا ننسى اجتهاد "عمر بن عبد العزيز" خامس الراشدين حين رأى أن الفتح انتهت غايته بتحقيق القوة والمنعة لدولة الإسلام، وعليه فإن القتال المباح أصبح للدفاع ورد العدوان فقط، لهذا أمر ابن عمه وقائد جيشه بفك الحصار عن الروم والعودة بالجند لداخل الحدود إيثارا لحقن دماء البشر، وكذلك حالنا اليوم، القتال المباح لنا هو القتال من أجل تحرير الأرض أو رد العدوان، وهو قتال يبقى مشروعاً للأبد



الجهاد برد العدوان و تحرير الأرض كحالة حزب الله
المقاومة العراقية و الفلسطينية جهاد حقيقي شريف

وعلينا بعد هذا أن نوضح موقف الإسلام من الميليشيا، ومتى تكون الميليشيا خروجا عن القانون يوجب القصاص، ومتى تكون جهاداً مشروعاً في حالة الاحتلال، وأخيراً بيان كون الجهاد العسكري في صورته المعاصرة أصبح قرارا للدول وليس للأفراد أو الجماعات المسلحة

أعتقد أننا لو نجحنا في توضيح هذه المعاني عن الجهاد الإسلامي وما شابهها للعالم، فسيحقق لنا هذا أكثر من فائدة مباشرة، وأهمها:

- تغيير المفهوم السائد الذي يربط الجهاد بالارهاب مما يشكل تحسنا نوعيا لصورة المسلمين في العالم
- التمهيد لتصحيح مفاهيم أخرى مغلوطة يفهمها العالم عن المسلمين
- توضيح الفارق بين القتال لتحرير الأرض والعدوان، وبيان موقفنا المؤيد للمقاومة الفلسطينية واللبنانية والعراقية طالما دام احتلال التراب الوطني، وأن هذه المقاومة ودعمها من ثوابتنا الدينية والمنطقية، بينما الجماعات الإرهابية جميعها مارقة وخارجة عن منهج الجهاد الحقيقي

فلو حققنا هذه الأهداف كنا بذلك قد أعدنا للجهاد مفهومه ومعناه الحقيقي بعد أن ضاع بين مؤامرات نادي السفاري المخابراتي التي ولدت لنا حية الإرهاب الأسود

حدوتة البشـــر

من ميكي ماوس للنســبية

في مراهقته الفكرية الأولى، تصور الإنسان القديم عالمنا بصورة صراع أبدي بين الخير والشر، وتصور الخير خيراً مطلقاً والشر شراً صرفاً، لأن حدوده العلمية لم تسمح له باستنباط ما في ظواهر الطبيعة المدمرة من خير كامن ولا ما في ظواهرها المفيدة من شر مستتر، فلم يدرك الحقائق التبادلية والنسبية في الكون، رأى المطر ينمي الزرع فدعاه خيرا ورأى العواصف تقتلع خيامه فسماها شرا، ولم يدرك العلاقة التبادلية بينهما، رأى نور الشمس خيرا وحمم البراكين شرا ولم يدرك صلة القرابة بينهما

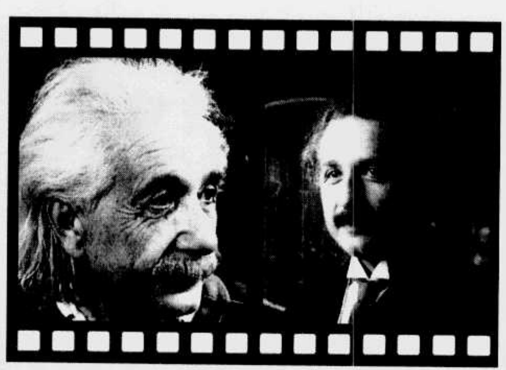


لليمين: "حورس" برأس صقر يواجه "ست" بوجه تمس
لليسار: "أهورا-مازدا" في شكل رجل يقاتل الروح الشرير "أهريمان" في شكل الوحش

ومن هذه المراهقة الفكرية سيطرت الثنائية أو الدواليزم على الفكر البشري، فخرجت للوجود العقائد الثنائية التي تقوم على قوتين أو إلهين واحد للخير وآخر للشر، وهما في حرب دائمة مسرحها الكون، وفسر الإنسان الأمراض والحروب والدمار كانتصارات لإله الشر، فظهر للوجود "حورس" و"ست" في مصر القديمة، و"آهورامازدا" و"آهريمان" في فارس، وغيرهما، وبوجود إله شرير يواجه إله الخير ظهرت ثنائية الأخلاق تفسر الخلق المقيت بكونه الصورة السلبية للخلق الحميد واللازمة لوجوده

ثم نضج الإنسان بالتعرف على العلاقات التبادلية في الكون، وانعكس فهمه لها على تصوره لعناصر الحراك الاجتماعي والضغط الإقتصادي الناجم عنها على طبقات المجتمع، ثم نضج الإنسان أكثر مع عبقري كل الأجيال "آلبرت اينشتاين"، فعرف مع نظرية النسبية الخاصة مفاهيم الزمن الفضائي ونسبية الزمن والتوازي ومعادلة الكتلة والطاقة، كما عرف مع النسبية العامة تمدد الكون ونظرية التعادل، والأهم من هذا كله، أن كسر "آينشتاين" لقواعد الفيزياء الكلاسيكية ترتب عليه ثورة في الفكر البشري بوجه عام، لقد هدتنا النسبية لأسلوب النظر للأمور من زوايا الرؤية المختلفة، فعرفنا أسلوب التفكير النسبي، وفتحت لأعيننا صورة الكون كما نراه الآن، فمن الصورة الفيزيائية التي طرحتها النسبية العامة، تغير فهمنا للفضاء الخارجي والأجرام السماوية وتغير مفهوم الزمن بعقولنا

ثم توالت التطبيقات الفلسفية للنسبية، فرأينا دنيانا لا ثنائية ولا تبادلية ولكن نسبية، أطياف ومحاور تتراوح بينها الأحداث والصفات والناس، بين أقصى وأقصى في درجات لا نهائية كدرجات اللون، وعلمنا أن كل منا هو مزيج من خير وشر بنسب متفاوتة، وكذلك كل حدث في التاريخ وكل ظاهرة في الطبيعة لكل جوانب خير وشر، وكل وليد تفاعلات معينة في إطار زمنه ومجتمعه وخلفيته بكل أبعادها، فالمطلق فرضية نظرية، والنسبية هي حقيقة الكون الكبرى



"ألبرت أينشتاين" في الكهولة و الشيخوخة

لكننا مازلنا نربي أطفالنا على المفهوم الثنائي القطبي للخير والشر بهدف التبسيط على العقول الغضة أحيانا، أو لأن الأب والأم ذاتهما مازالا قابعين في المرحلة الثنائية ولم يصحبا الكون عبر التبادلية والنسبية! لهذا تجد عالم "والت ديزني" الرائع الذي نحبه جميعا مؤسسا على هذا المفهوم الثنائي، وشخوصه التقليديين خاصة، ميكي وميني

وبندق خير ودنجل شر، بطوط وأبناء أخيه خير وعصابة القناع شر، ربما كان عم دهب هو النموذج الإنساني الوحيد بينهم بطيبته التي يشوبها بعض الشر في صورة بخل، والشيء الجميل الذي يريحنا جميعا هو انتصار الخير في نهاية كل قصة بينما الشر ينال عقابه، منطق ثنائي أخلاقي نبيل يصلح للتربية الأولى للطفل وقد نتجاوز فنقول للمراهق كذلك، لكن هذا الأسلوب الثنائي لو استمر يعرض على عقل الناشيء وحده لأبعد من مرحلة المراهقة قد تكون له أضرار بالغة على تكوينه الفكري، أهمها جنوحه للتنميط والقولبة الفكرية بعد ذلك في حياته

وأحد الإشكاليات الفكرية والإجتماعية الكبرى في بلادنا أننا لم نصل بعد للانعتاق من النموذج الذهني لديزني هذا، حتى فيما يقال عليها أوساط المثقفين، لم نخرج من محدودية قوالب الخير والشر إلى آفاق النسبية اللانهائية، سواء في فهمنا لأحداث التاريخ أو للدين والتراث، أو حتى للأشخاص العاديين الذين نمر بهم في حياتنا

والأمثلة عديدة، فقد أتفق مع واضعي مناهجنا الدراسية على اظهار الجوانب المشرقة من التاريخ فقط خلال التعليم الابتدائي، لكن هذا لا يجب أن يستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية، وإلا فمتى سيتعلم الشاب تاريخه الحقيقي؟ وإلى متى سنظل نعرض التاريخ الفرعوني على الطالب بالاطناب في مراحل الازدهار بينما عصور الانحطاط لا تأخذ أكثر من صفحتين؟ ثم ندرس له التاريخ الإسلامي كتاريخ أمة من الملائكة، أما أمور كالفتنة الكبرى وثورة الزنج وثورات الأقباط وثورة القرامطة وغيرها فنمر بها مرور الكرام، ونعرض للتاريخ المعاصر فنرويه رواية

مسيسة تتغير مع تغير رأس الدولة وتوجهاته، فيلمع رجال وينسى رجال! وإلى متى سنتناول الشخصية التاريخية كخير مطلق أو شر مطلق، ومتى سيدرك الشاب أن الحياة تحتمل كل الأطياف اللونية؟

للتدليل على خطأ وخطورة هذا النهج الطفولي في تدريس التاريخ إذا طال سنتعرض معا لمثال هام في هذا المضمار في الموضوع التالي، وهو الفتح العربي لمصر

حدوتة فتح مصر

بين الروايتين الإسلامية والقبطية

مشكلة الباحث في التاريخ المصري في القرن السابع الميلادي أنه سيجد روايتين للأحداث في كتب التاريخ والمخطوطات، رواية منهما تحكي أخبار الفتح من وجهة النظر العربية، وتتعدد مراجعها من تاريخ الرسل والملوك للطبري للطبقات الكبرى لابن سعد للكامل في التاريخ لابن الأثير للنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي لفتوح مصر لابن عبد الحكم، أما الثانية فتحكي نفس الأخبار ولكن من وجهة النظر البيزنطية والقبطية اعتمادا على مخطوطات قبطية وبيزنطية جمعها المستشرقون الأوربيون، وتتعدد مراجع هذه النسخة كذلك من تاريخ الكنائس القبطية ودخول العرب مصر لآلفريد باتلر، لتاريخ بطاركة الكرسي السكندري لماسبيرو، وتاريخ يوحنا النقيوسي وغيرها

فخلال فترة الفتح على يد الجيش العربي بقيادة "عمرو بن العاص" وما تلاها من أحداث وتفاعلات بين الجيش الفاتح من جانب وأهل البلد المصريين من جانب آخر، والامبراطورية البيزنطية التي كانت تحتل مصر من جانب ثالث، ثم ما كان من انتفاضات مصرية وثورات بعد الفتح وعبر العصور، تبرز كل رواية من الروايتين الإسلامية والقبطية جوانبا وتخفي جوانبا وفقا للانطباع الذي تريد أن توصله للقاريء، مما

يجهد الباحث في تقصي مواقع الحقيقة وتجنب مواضع الابراز والستر في هذه المراجع

واليوم في القرن الحادي والعشرين، مازال موضوع الفتح من أهم الخلافات الفكرية في أوساط المثقفين في بلادنا، فترى فيه مساجلات تفوق الحصر، وعادة ما يشتعل الخلاف بين فريقين من المثقفين أو أكثر، أحدهما متقبط والآخر متأسلم، أقول متقبط لأنه أقل احتواء وقبولا للآخر من صفة قبطي، ومتأسلم لأنه أقل حلما وتسامحا من صفة إسلامي

فتح أم غزو أم احتلال؟



لليمين: مخطوط قبطي لإنجيل ماثيو
لليسار: أيقونة للعذراء و المسيح الطفل، و ملامح الفن المصري القديم ظاهرة فيها

معركة لا تنتهي في المحافل الثقافية بين التيارين المتأسلم والمتقبط حول الفتح العربي لمصر بداية من الإسم، فيسميه الفريق الأول فتحاً، ويصر الثاني على تسميته غزواً أو احتلالاً، ثم يستمر الفريق الأول في الوصف الطوباوي الثنائي، مصورا الفاتح العربي المسلم الشهم الذي أتى لمصر بالعدل بعد أن أرهقها الروم جوراً كنموذج للخير الفاعل القوي، ومقابله الروماني الشرير الذي يمتص دماء مصر ويضطهد أهلها ويحرقهم بالنار لمجرد اختلاف المذهب كنموذج للشر المطلق، وبينهما نموذج خير سلبي للغاية هو الشعب المصري ذاته، يكره البيزنطيين ويتحمل الحرق منهم دون مقاومة ويهلل ويرقص حين يأتي العرب دون أن يمد يده بمساعدة!

أما الفريق الثاني صاحب مسمى الغزو فيرسم صورة مأساوية ثنائية أيضاً، فيها جانب الخير الوحيد هو القبطي الذي كان صاحب حضارة زاهرة ثم بغى عليه الرومان فسرقوا خيره واضطهدوه دينيا، ثم أتى العرب من الجزيرة العربية لينهبوا ثروته ويغتصبوا نساءه ويقتلوا نساكه في دمياط وسمنود وغيرها

وسبب البون بين الفريقين المتخاصمين، وعلو صوقمما هو تجاهلهما لثلاث نسبيات فاصلة في فهم الحدث التاريخي، وفي التمييز بين الغث والثمين من الروايات والأخبار التاريخية، هذه النسبيات الثلاثة في تصورنا هي:

- نسبية المنظور ونقطة الانطلاق

- نسبية الزمن والمكان

- نسبية الأخلاق والخلفية الاجتماعية

نسبية المنظور ونقطة الانطلاق

كان الحدث فتحاً عظيماً للدولة العربية الإسلامية الناشئة، فكان لها أن تسميه في كتبها وأدبياتها فتحاً وليس في هذا كذب ولا تضليل، وكان بالنسبة للبيزنطي المتغطرس صاحب الإمبراطورية الأكبر في زمنه غزوا بربريا من الصحراء يقتطع أطراف الامبراطورية العظمى، فلا لوم عليه لو أرخ له كغزو، وكان من وجهة نظر المصري صاحب الأرض احتلالا يزيح آخر وكان لابد له في أدبياته من التعبير عنه كاحتلال دون أن يكون في ذلك سوء نية نحو الإسلام، ولا رغبة في التشنيع عليه!



أيقونة قبطية للقديس "فيكتور" و يلاحظ الكتابة القبطية أعلى الرسم و الكتابة العربية أسفله

فتسمية الحدث - أي حدث - وكذلك وصفه يتوقفان على موقعك فيه، فلو أن سيارة داهمت عابراً للطريق فهشمت عظامه، ستجد السائق يروي أنه كان يقود بأمان الله وبسرعة لا تتجاوز ٦٠كم/ساعة حتى خرج له هذا الشخص فجأة من تحت الأرض وعبر الطريق أمامه فلم يتمكن من تفاديه، أما الرجل المحطمة عظامه فسيقول أنه كان يعبر طريقه بأمان الله حين ظهرت هذه السيارة تتجه نحوه بسرعة جنونية، وربما كان الرجلان صادقين، فبالنسبة للماشي على قدميه سرعة ٦٠ كم/ساعة لسيارة مقبلة نحوه ستبدو جنونية بكل تأكيد! ولن يرى كل منهما الآخر إلا كأن الأرض قد انشقت عنه!

نسبية الزمن

نحن نتحدث عن عصر الإمبراطوريات، عصر لم يكن فيه للشعوب خيار السلام، فإما أن تحتل غيرك لتقوي مواردك الاقتصادية وتبني جيشا أكبر وتصبح قوتك متنامية، أو ترقد ذليلا في كنف امبراطورية تحميك مقابل أن تمتص هي دمك ومواردك وتترك لك الفتات، فلم تكن الامبراطورية البيزنطية شريرة ولا كانت الخلافة الإسلامية شريرة حين تناوبتا احتلال مصر، فهما دولتان عاشتا مصير الدول في هذا العصر بالخيار الإمبراطوري التوسعي، أما مصر فكانت إمبراطورية شاخت فتناقصت ثم خضعت هي ذاتها للروم ثم للعرب

كذلك هو زمن كان فيه التسامح الديني عملة نادرة لا يؤمن بها إلا نفر يسير، أما الجماهير فكانت ترى في الكافر - وهو المغاير في العقيدة أيا كان - مجلبة للشؤم والخراب فتعاقبه بالموت، ولم تكن أيدي المصريين الأوزيريين بريئة من قتل الآتونيين ولا كانت أيدي المصريين المسيحيين بريئة من الفتك بالأوزيريين في زمن لاحق! والمذابح عديدة لا تقل عن مذابح دمياط وسمنود! فلا داعي لاستخدام ألفاظ مثل برابرة وهمج وما إليها، لأن كل شعب من شعوب الأرض لوثت الدماء يديه في إحدى مراحل تاريخه على الأقل

نسبية الأخلاق

عندما تتحدث عن جيش من ٤٠٠٠ مقاتل، ثم تتصور أن من الممكن السيطرة على سلوكه في دولة مفتوحة طوال الوقت ليكون نموذجا حرفيا لأخلاق الإسلام ووصايا الرسول في المعارك فأنت على خطأ كبير، فليست هذه الآلاف الأربعة على نفس الدرجة من الدين أو الخلق أو الالتزام بوصايا النبي بطبيعة الحال، كذلك حين تتصور هذه الآلاف وحوشا ضارية تعصف بأرض مصر قتلا وسبيا وسلبا ثم تتصور أن النتيجة تكون تلك الأحداث التي سجلتها المخطوطات القبطية هنا وهناك فقط تكون في ضلال أبعد، لأن تصورك عن جيش من المخربين لا يواكب العدد الضئيل من أحداث التخريب التي سجلت ضدهم لو افترضنا صحة ودقة كل ما سجل

كان طبيعيا جدا أن يقاوم المصريين الفتح العربي، وليس معنى هذا كذب من قال أن المصريين فضلوا الحكم العربي على البيزنطي، ببساطة لأن المصريين ليسوا رجلا واحدا ثابت المواقف، بل شعب بأكمله، فيه من رحب وفيه من قال: من هذا لذاك يا قلب لا تحزن، وهؤلاء كانوا الغالبية في تقديرنا، وكذلك فيه من قاوم من أجل مطالب عادلة، وفيه من قاوم من أجل حرية بلاده كمبدأ وقيمة. وفيه من قاوم خروجا على القانون بهدف السلب والنهب، نفس الخليط الطبيعي في أي بلد خاضع لإمبراطورية ممتدة ومحكوم بنواب الإمبراطورية وولاتها عبر التاريخ!

الاحتكاك والتجانس كلاهما حقيقة

بدأ الأمر بمرحلة ساخنة استمرت أربعة قرون، حدثت فيها وقائع دمياط وسمنود أثناء الفتح، تلتها ثورة الأشمونيين، وعصيان أقباط قفط ضد الدولة الأيوبية والذي واجهه الملك "العادل" أخو "صلاح الدين الأيوبي" ببطش ودموية شديدة فمات أثناءه الآلاف، مسلسل مستمر لا يمكن أن نصفه بسمن على عسل أبداً وهذا طبيعي، ومن لا يتوقعه فهو ساذج، وطبيعي أن تنتج هذه المرحلة أدبياتها الناجمة من الاحتكاك، مليئة برفض الآخر وكراهيته، ومع هذا، يجب أن نذكر أن الاحتكاك كان اقتصاديا واجتماعيا في أغلبه بين إمبراطورية وإحدى مستعمراتها، أما الدين فبقي في أغلب عهود الحكام العرب حرا دون مساس بدور العبادة والأديرة وغيرها، ودون انحياز لدين فيما عدا عنصر الجزية الذي كان مشجعا على التحول للإسلام لحد كبير

لكن هذا لا ينفي أن الكفاح القبطي ضد التدخل الأجنبي كان نضالاً وطنياً شريفاً وله أبطاله، وهؤلاء يجب النظر إليهم كأبطال مصريين وطنيين وليس كأبطال أو قديسين مسيحيين! لأن المقاومة لم تكن دينية فيما عدا استعانة أهل الاسكندرية بالروم لدعم ثورهم، مفضلين الاحتلال الرومي على العربي لسبب أعتقد أنه ديني، ذلك أن الاسكندرية كانت مقرا للكرسي البابوي، فانزعجت الكنيسة من تبعية مكان الكرسي العالي السكندري لامبراطورية مغايرة في الدين تماما وليس المذهب فقط كما كان الحال مع الروم

ثم بدأ التجانس يتزايد من القرن الرابع عشر الميلادي، وصارت العربية بالتدريج لغة لكل المصريين، ساعد على هذا قرار تاريخي لرجل عظيم هو البابا "غبريال الرابع" بطريرك الكرازة المرقسية وبابا الإسكندرية ما بين ١٣٧٠ و١٣٧٨م، حين سمح نيافته بإقامة القداس بالعربية، فهذا رجل ندين له كلنا بقدرتنا على التلاحم كشعب واحد بعد انصهار حاجز اللغة، ثم تحسن التجانس أكثر وأكثر مع رفع الجزية وضم المسيحيين للجندية في عصر الرجل الكبير "محمد علي"، وهكذا حتى وصل التجانس للقمة في القرنين التاسع عشر والعشرين ليتوج بكفاح مشترك ضد المستعمر في ثورة ١٩١٩م، والتي كان سمتها الأساسي وحدة الأمة كرسالة تحدي ضد المستعمر و خطط الفتنة

الهوية المصرية

أضحك ضحكا كثيرا لكنه مرير كلما قرأت ما يكتبه الطرفان عن الحضارة المصرية القديمة، المتأسلمين يهاجموها لأنها كانت حضارة وثنية! ثم ترى واحدا منهم يقول وهو منتفخ بالغرور: أنا أبرأ من الفراعنة وأعمالهم! فلا تملك إلا أن ترد عليه قائلاً: وهم كذلك منك ومن أمثالك يبرأون!

هل روي عن رسول الله (ص) أنه تبرأ من أبيه وجده أو ذكرهما بشر لأنهما ماتا قبل البعثة؟ هل معنى اعتزازك بدينك ألا تعترف بالوطن وتاريخه؟ لو كان الأمر كذلك، فلماذا لا تمزق بطاقتك وجواز سفرك ثم تعلق على سياراتك لوحات ملاكي قريش؟

ولا يقل عن هؤلاء سخفاً من يدعي الثقافة وهو مازال معلقاً بالمرحلة الثنائية، فينكر أننا عرب أو لنا علاقة بالعرب! وهذا يعكس الخلط البدائي بين العروبة التي أصبحنا ننتمي إليها وبين البداوة القاصرة على سكان الصحراء، ثم تراه يدعي أن الإسلام هبط بمستوى مصر الحضاري وعاد بها للخلف! وكلها أقوال مرسلة لا تمتاز كثيراً عن أقوال الفريق الأول، ولو أطعنا هؤلاء لعدنا نقسم العالم إلى فراعنة وفينيقيين وحيثيين وعرب وكلدان وفرس وروم وغال! فما هذا السخف؟

مرت على مصر بحكم الموقع والموضع كما رصد الدكتور "جمال حمدان" حضارات كثيرة، انصهرت في بوتقتها فنتجت شخصية مصر الفريدة والثرية، ففي الشخصية والهوية المصرية أربعة عناصر رئيسية

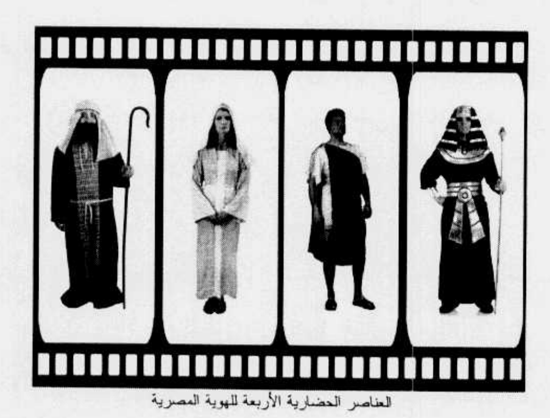
مازالت تعبر عن نفسها في شخصية المصري اليوم ونحسبها باقية لمدة طويلة قادمة، وهي بالترتيب الزمني:

١. عنصر مصري قديم

٢. عنصر هيليني بحر متوسطي

٣. عنصر قبطي مسيحي

٤. عنصر عربي إسلامي



العناصر الحضارية الأربعة للهوية المصرية

لا يمكن أن تنفي واحداً من هذه الخيوط الأربعة وتحتفظ بهوية مصر كما هي، كلنا تشترك في وعينا وكينونتنا هذه الخيوط شئنا أم أبينا، اعترفنا أم أنكرنا، فالهوية قدر لا فكاك منه تماما كنسب الإنسان، لا يملك له تغييرا أعجبه أو لم يعجبه!

أما آن لنا أن نقرأ التاريخ باستيعاب لدوافع كل طرف ورؤاه؟ وبدون محاولة الإجابة عن السؤال الساذج: من الطيب ومن الشرير؟ ببساطة لأن لعبة الحياة والتاريخ لا يوجد فيها ميكي ولا دنجل، يوجد بشر فقط بكل متناقضاتهم وتباينهم وفروقهم الفردية، تحركهم عناصر الأيديولوجيا والاقتصاد في موجات متلاطمة عبر التاريخ الطويل والممتد!

النسبية في القرآن الكريم

نحو فهم أشمل للمعروف والمنكر في لغة القرآن

بداية وحتى لا يساء فهم مقصدي، لست من القائلين بالإعجاز العلمي في القرآن، فليس معنى هذا العنوان أن القرآن سبق "آينشتاين" في اكتشاف النسبية العامة أو الخاصة بأربعة عشر قرنا، فلا القرآن محتاج لإثبات إلهيته بوجود النسبية فيه ولا النسبية تحتاج لإعادة اكتشافها في القرآن لأنها مكتشفة بالفعل، إنما غاية الأمر، أنني بعد أن تعرضت في مقال سابق للفارق بين الفهم الثنائي للكون والتاريخ، بتقسيمهما لخير محض أو شر محض، والفهم النسبي الناضج لهما، والذي يعطي لنسبية الصفات اعتبارها ولنسبية الزمن دورها في فهم الشخوص والأحداث والأخلاق، وكيف كانت إضافة الزمن كبعد ملموس الأثر في النسبية هي الفتح العلمي الذي حمل البشرية لما تحلق به اليوم من تطور متسارع، أردت هنا أن نبحث معا في نسبية الزمن في القرآن الكريم، وللقرآن خصوصيه فريدة في هذا

المعروف والمنكر ونسبية المعيار

الكل يردد الكلمة المأثورة عن صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، وهي صحيحة جداً، لكن كيف تتحقق هذه الكلمة؟ وكيف أمكن للقرآن أن يكون مرجعية هداية لطريق الصواب عبر الزمن؟ مع تغير الزمن والمجتمعات وآليات الحياة؟ قد يبدو السؤال معقدا برغم بساطة

الإجابة، فالإجابة تكمن في عدم استخدام القرآن الكريم للثوابت كمرجعيات ومعايير للمتغير، لكنه يستخدم متوسط المتغيرات بدلا من المعيار الثابت، هل تبدو هذه الجملة معقدة نوعا ما؟ دعونا نرى

لقد أعطانا الله في القرآن الكريم الإضاءات التي توضح لنا منهج المسلم في حياته كخطوط عريضة، هي بطبيعتها أبدية مادام الإنسان إنسانا لأنها متعلقة بطبيعته وطبيعة عقله البشري، فهذه كانت آلية الأبدية في الكليات والخطوط العريضة، فماذا عن الجزئيات؟ تلك هي المعادلة الأكثر صعوبة؟ لأن الجزئيات والتفاصيل تتباين بتباين الزمن بونا كبيرا، لذلك أرجعنا القرآن في الأمور التفصيلية لمعيار متطور ومتغير مع الزمن والمكان هو معيار المعروف والمنكر بمعناهما القرآني، فما هو المعروف؟ وما هو المنكر؟

المعروف في القرآن

هو ما تعارف الناس على استحسانه في مكان محدد وزمن محدد ما لم يحل حراما، فلو تعارف الناس اليوم مثلا على أن يقولوا لبعضهم إذا التقوا في الصباح: صباح الخير، يصبح هذا القول قولا معروفاً، لكن لو فرضنا جدلا، أن الناس تعارفوا على اللعان لو التقوا لا يصبح اللعن معروفا، لأنه ليس من صلاحية الناس التعارف على ما حرم الله، فما هو المنكر؟

المنكر في القرآن

هو ما استنكره الناس في مكان محدد وزمان محدد وإن منع حلالاً، فكسر إشارة المرور مثلاً ليس حراماً، لكنه اليوم أصبح منكراً لأن الناس أجمعوا على استنكاره وجرموه بقانون مدني، فيصبح من واجب المسلم أن يحترم هذا القانون ويصبح هذا الفعل منكراً يجب أن ينتهي عنه

فتعالوا نرى معا، كيف يرجعنا القرآن لمعيار المعروف والمنكر في كل الأمور التي تمس الحياة الإجتماعية تقريبا، لأنها متغيرة بطبيعتها عبر الزمن والمكان

في الأحوال الشخصية

أرجعنا القرآن لقاعدة المعروف والمنكر وفق ما يهدينا إليه العلم ومقتضى الحال وتغير الظروف الإجتماعية من مكان لآخر ومن زمن لزمن، فأشار لهذا في حقوق المرأة عند الطلاق بقوله تعالى "**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**" (البقرة: ٢٢٨)، وكذلك قوله "**وَعلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**" (البقرة: ٢٣٣)، وفي زواج الأرامل والمطلقات بقوله تعالى "**فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنْفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**" (البقرة: ٢٣٤)، وقوله تعالى "**فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ**" (البقرة: ٢٣٢)، وكذلك الأمر في معاملة الزوجة بشكل عام بقوله تعالى "**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**" (النساء: ١٩)، وجعله ناموسا عموميا للزواج والطلاق بقوله تعالى "**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**" (الطلاق: ٢)

وهكذا لا تكاد آية تتعرض لأمر من أمور الأحوال الشخصية إلا وفيها ذكر للمعروف، وهذا المعروف في زماننا هو القانون الذي وضع لتنظيم هذه الأمور ما لم يحل حراما، حتى وإن منع الحلال، كمنع زواج الرجل إلا بعلم زوجته مثلاً، فيصبح الزواج بغير علم الزوجة منكراً مخالفاً لأمر الله لنا بالإلتزام بمعروف زماننا والبعد عن منكره، ويصبح من يتهرب من الالتزام بواجباته القانونية نحو طليقته مرتكباً للمنكر لأنه أتى بما أنكره الناس ممثلين في نوابهم المنتخبين ممن سنوا هذا القانون

هذا طبعا بفرض أن القانون يمثل رأي المجتمع من خلال نوابه، أما في حالة قانون سيء السمعة كذلك الذي عرف بقانون "جيهان" في السبعينات، حيث تعارض ما تعارف عليه الناس مع القانون في ظل ديمقراطية هيكلية، فما تعارف عليه الناس أولى بالاتباع

في العلاقات الأسرية والاجتماعية

البر بالوالدين مرتبط بالمعروف بقوله تعالى "**وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً**" (لقمان:١٥)، وكذلك علينا الارتباط بالمعروف والمنكر في معاملتنا للمحتاجين والمساكين بقوله تعالى "**وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينُ فَٱرْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفا**"(النساء: ٨)، فمعروف القول يتباين من زمن لزمن ومن مجتمع لمجتمع، ومعنى الآية أن نحدث المسكين بما نقبل أن يحدثنا به الناس! كذلك في العلاقات الإجتماعية بين الرجل والمرأة كقوله تعالى لنساء النبي "**فَلاَ تَخْضَعْنَ**

بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً" (الأحزاب: ٣٢)، وفيها معنى التزام المرأة بأسلوب الحديث البعيد عن الشبهات مع الرجال

وهكذا في ما لا نحصيه من آيات الكتاب، ليصبح المسلم مطالباً على الدوام بتحري أحسن القول وأحسن العمل وأنبل المعاملات وفق ما تعارف عليه مجتمعه وسنت به القوانين، ولهذا لا يتعارض الإسلام مع العلمانية كما يدعون، لأننا مرجعون بنص القرآن للقوانين والأعراف الوضعية في زماننا إلا أن تحل حراما، كالتعارف على تناول الشراب الكحولي مع الطعام في العالم اليوروأمريكي مثلاً، هذا يبقى خارج دائرة المعروف ويظل حراماً حتى لو كنت تعيش بمجتمع تعارف عليه

فهم جديد لتعدد زوجات النبي

أحد المواضيع المحببة لقلوب المراهقين فكريا ممن يعشقون الهجوم على نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه هو موضوع تعدد زوجاته من أمهات المؤمنين وتسريه بالجواري، فضلا عن موضوع حداثة سن السيدة عائشة، وليس أقل مراهقة منهم، من يرد عليهم من بيننا بدفوع متهالكة، ولو فطنا لقاعدة المعروف والمنكر وللفهم النسبي للأمور بوجه عام لما كانت هناك من الأصل شبهة تقتضي الرد، فالسؤال ببساطة: هل كان من المقبول والمحبذ إجتماعيا لقائد عربي في القرن السابع الميلادي أن يكون له العديد من الزوجات والسراري أم لا؟

الأمر كان مقبولا يا سادة في بيئة النبي التي عاش فيها، فقد كان يلبس ويطعم ويتزوج ويسكن كأهله وقومه، لم يتميز عنهم إلا بمكارم

الأخلاق وفقاً لزمانه، كرما وجودا وشجاعة وأمانة وحلما وصبرا، ما الغريب في هذا؟ بل غير ذلك هو الغريب

فما الداعي لتبرير ما لا يحتاج لتبرير؟ ولماذا ننساق لتقديم أعذار مثل القول بالزواج من القواعد للمواساة، أو الزواج لتأليف القبائل؟ والإنسان في الأساس لا يحتاج للعذر طالما كانت تصرفاته وأفعاله على أكمل وجه بالمقارنة بظروف وعادات زمانه وبيئته! لقد وصف المصطفى نفسه بأنه كان رجلا طبيعيا مكتمل الرجولة حبب إليه من دنيانا الطيب والنساء وجعلت قرة عينه في الصلاة، وهذه وأيم الحق عظمته، لم يكن الهادي يصطنع لنفسه صورة ملائكية زائفة ولا كان يتباكى كالكهان ولا يدعي علم الغيب إلا ما يوحى إليه، كان رجلاً كأحسن ما يكون الرجل في بيئته خلقا وشرفا، ثم تميز عن بيئته تلك بالنبوة والرسالة الخاتمة!

وما يقال في تعدد زوجات النبي يقال في "مارية" القبطية أم ولده ويقال في سن السيدة "عائشة" عند الزواج، ألم يكن مقبولا من المجتمع وحلالا من الناحية الشرعية أن يتسرى النبي بالجواري؟ نعم كان مقبولاً، فهل أتى الرسول بأمر مستنكر في زمانه وبيئته بزواجه من السيدة "عائشة" في هذا السن؟ لا، لقد كان الأمر طبيعيا في زمانه، و لم يكن العلم قد حسم موضوع سن الزواج المناسب بعد!

وتصرفات كل شخصية تاريخية يستحيل تقييمها إلا في ضوء الخلفية الاجتماعية والمعرفية والثقافية السائدة، وهذه قاعدة تنطبق على "محمد"

(ص) فيما يخص تصرفاته وأقواله كقائد عسكري وكحاكم للمدينة المنورة ثم الدولة الموحدة وكرجل عربي في القرن السابع، لكنها لا تنطبق عليه فيما يخص الرسالة والنبوة لأنها أمور كان النبي فيها مدعما بالوحي الإلهي، ولقد ميز صحابته بين هذه وتلك، فكانوا يسألونه هل تصرفه من تلقاء نفسه أم بوحي من الله كما حدث في بدر؟ فلو كان من رأيه أشاروا واقترحوا وإن كان وحياً أطاعوا بغير نقاش

تعظيم الالتزام القانوني والمدني

الالتزام بالمعروف والامتناع عن المنكر، وأوضحهما في زماننا ما تعارفنا عليه من قانون ومن منهج وسلوك مدني متحضر، جعلهما الله ركناً محورياً من أركان العمل الصالح، فقرنهما بالصلاة والزكاة بقوله تعالى "**يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ**" (التوبة:٧١)، فهنا لم تقتصر الآية على وجوب الالتزام الشخصي لكنها أوجبت على الناس توجيه بعضهم بعضا لضرورة الالتزام، فأنا مثلاً كسول جدا فيما يخص تجديد الأوراق الحكومية، كرخصة سيارة أو ما شابهها، فيذكرني أخي الأكبر ويلح علي دوماً أن أجددها، فهذا أمر بمعروف ونهي عن منكر المخالفة القانونية، وهو أمر هام ومفيد، فلمن ذكر الثواب من الله والشكر من الناس، ولمن تذكر ثواب الطاعة وأمان احترام القانون والأعراف، لهذا جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد سبعة صفات للمؤمنين بقوله تعالى "**ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ**

ٱلسَّاجِدونَ ٱلآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ" (التوبة: ١١٢)، فكل مسلم بزماننا مطالب كواجب ديني بالالتزام بقانون البلد الذي يعيش فيه وممارسة حقوقه المدنية والدستورية مع عدم اللجوء للعنف تحت أي ظرف من الظروف غير الدفاع عن الوطن ضد العدوان، وها هو القرآن يصف الخارجين عن القانون والعرف الإجتماعي بالنفاق في قوله تعالى "**ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ**" (التوبة: ٦٧)، ومنطق المعروف والمنكر يسري على كل المعاملات التجارية والإدارية والمدنية من بيع وشراء وإعمار وغيرها

فالقانون والعرف الحسن وفقاً لهذا الفهم هما من أركان العقيدة الأساسية، والنصح بالالتزام بالقانون هو جزء من مسئولية الأفراد تجاه بعضهم بعضا بين حالة الأقارب والأصدقاء ممن يقبل منهم النصح وليس خارج هذا الإطار، لأن النصيحة خارجه لن تقبل فضلا عن كونها تجاوز قانوني لحدود الغير وحريته، وفي جانب آخر هناك دور الدولة وهو إنفاذ القانون، والفئة المتفرغة والآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر في أي مجتمع مدني هي قوة تنفيذ القانون، الشرطة، أو هكذا يجب أن تكون، وإن كان حال الشرطة في بلادنا لا يشجع على النظر إليها كجهة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر! لكننا لو نظرنا للمجتمعات الدستورية سنجد الشرطة فيها لا تخرج عن هذا السياق

التوجه المدني لدولة الرسول

مقبول أن يختلف معنا من يشاء بشأن العلمانية والدولة المدنية والليبرالية وغيرها، فهي مبادىء وأفكار إنسانية تقبل الاختلاف والتغيير والتطوير، لكننا نحل الدين أن تهاجم هذه المبادىء باسمه وبانتحال قدسيته، لهذا أدعوكم لرحلة قصيرة مع سيد الخلق "محمد" صلى الله عليه وسلم في هجرته وبناء دولته في المدينة المنورة، لنرى معالم الدولة المدنية تتجسد قبل غيرها في دولة الإسلام الأولى بالمدينة المنورة، فسنة النبي ومرجعيته أهدى للحق ممن يفترون عليه الكذب لأغراض لا علاقة لها بغير شهوة السلطة واللهفة على كراسي الحكم، ولو كان ذلك بالتدليس والتزييف وخداع الجماهير الطيبة باسم دينها، وهو أبشع الخداع!

فلو اتفقنا أن الدولة العلمانية كما عرفتها الموسوعة البريطانية هي الدولة الغير منحازة مع أو ضد دين من أديان مواطنيها ولا تفرق بينهم على أساس ديني أو عرقي أو جنسي أو طائفي، وتتخذ فيها القرارات من خلال مؤسسات المجتمع المدني المتخصصة بعيدا عن سلطة الكهنوت، ثم اتفقنا بعدها أن نقارن هذا التعريف بواقع دولة المدينة المنورة إبان حكم الرسول والراشدين، لظهر لنا تهافت دعاوى الحكم التي يدعيها أدعياء الإسلام السياسي، كما كانت دعاوى "الحكم لله" التي رفعها الخوارج منذ أربعة عشر قرنا متهافتة ومتداعية، فقد بنيت

دولة الرسول في المدينة في القرن السابع الميلادي على خمسة ركائز أساسية، وهي:

١. التعددية و قبول الآخر

٢. الأساس المدني للمواطنة

٣. الحقوق المدنية وتحقيق تكافؤ الفرص

٤. حرية التعبير والاعتقاد

٥. الديمقراطية وتداول السلطة

فتعالوا نناقشها ركيزة تلو أخرى و نرى كيف ترك لنا المصطفى اضاءات مبهرة على حتمية الادارة المدنية للدولة كطريق للتقدم و النماء

التعددية وقبول الآخر

كان أبطال رحلة الهجرة الأساسيون مشرك وامرأة ورجل ملون! هل تتعجب من هذه الحقيقة؟ لقد انشغلنا كعادتنا بجانب الحدوتة في هجرة النبي، وخاصة ما كان منها إعجازياً كالحمائم والعناكب وفرس "سراقة"، والتهينا عن النظر في أمور أجل في عبرتها وأهدى لنا في حياتنا، ولعل أول ما يلفت النظر في رحلة الهجرة برأينا هي الوقفة الخداعية التي قام بها الرسول بغار "ثور" ثلاثة أيام كاملة حتى يوغل فرسان قريش في الطريق إلى المدينة المنورة، فيكون مطاردوه أمامه يجدون السير ظناً بأنه يسبقهم!



مجتمع لا يميز على أساس ديني أو عرقي أو جنسي

أما ثاني هذه الأمور فهو رمزية التنوع المثري في الشخوص المحورية لرحلة الهجرة، فقد كان أبطالها أربعة أشخاص بخلاف النبي والصديق بطبيعة الحال، الأول كان "عبد الله بن أبي بكر" ومهمته نقل أخبار الموقف السياسي للرسول في مقره المؤقت، والثانية كانت أخته "أسماء"، تحمل لرسول الله وأبيها الطعام والشراب، أما الثالث فهو "عامر بن فهيرة" المولى الذي كان عبدا لأبي بكر فأعتقه، وكان يرعى الضأن حول الغار ليطمس آثار أقدام "أسماء" وأخيها، أما الرابع فهو دليل رحلة الهجرة "عبد الله بن أريقط"، وكان مشركا على دين قريش، لكن الرسول وصاحبه ائتمناه على سر الهجرة ثقة في كفاءته وضميره المهني وواعداه عند الغار في اليوم الثالث، وقيل أيضا أن الإبل كانت معه أمانة، وهذا الوثني تتم به دائرة التنوع ودلالة قبول الآخر، فبه

يصبح أبطال الهجرة: ذكر عربي مسلم، فتاة عربية مسلمة، ذكر أسود مسلم، وذكر عربي وثني، فأي مجال بعد ذلك لتبرير تمييز المسلم على غير المسلم في المناصب؟ أو لتمييز رجل على إمرأة؟ أو أبيض على أسود؟ أليست العدالة التي لا تفرق على أساس الدين أو العرق أو الجنس هي عماد مؤسس من أعمدة المدنية والعلمانية التي يدعون مخالفتها للإسلام؟

الأساس المدني للمواطنة

دعم الرسول (ص) ركائز المجتمع المدني في المدينة المنورة من خلال تعميق مبدأ المواطنة، في ثلاثة خطوات مرحلية:

١. التأكيد على نبذ العنف بين الأوس والخزرج لكونهما إخوان في ظل الدولة الناشئة ولأن نبذ العصبيات القبلية هو أحد مبادىء الإسلام

٢. دمج المهاجرين في مجتمع المدينة المنورة من خلال فكرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهي فكرة عبقرية حالت دون تحول المهاجرون بمرور الوقت إلى فصيل معزول عن الأنصار، فشجع الرسول المهاجرين والأنصار على المساكنة والمصاهرة فيما بينهم بهدف زيادة تجانس المجتمع المدني

٣. معاهدة يهود المدينة التي صاروا بمقتضاها جزءا من نسيج هذا المجتمع، لم يدفعوا جزية ولم يضطروا إلى أضيق الطريق كما يدعي البعض، ولنا أن نعلم أن الجزية لم تفرض أساسا إلا في مرحلة الإمبراطورية اللاحقة كرمز للتفوق والسيادة على الأمم المفتوحة

وكمصدر تمويل للجيش الإمبراطوري، وهو أمر مألوف تاريخيا في كل الامبراطوريات وكان آخر حدوثه في الحرب العالمية الثانية، حين كانت حكومة فيشي تدفع جزية للجيش الألماني المحتل في باريس!

الحقوق المدنية وتكافؤ الفرص

كثيرة هي المواقف التي تشهد بتعادل الحقوق المدنية لجميع المواطنين في دولة الرسول، ومنها التأكيد على مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات مثل قوله (ص) "**إنما النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**"، والاهتمام بتحقيق هذا النوع من المساواة بين الجنسين في مجتمع رعوي يعتمد على عضلات الذكور في الاستيلاء على المرعى وحمايته يشير إلى عمق مفهوم الحقوق المدنية في دولة الرسول، حتى لو اقتضت الضرورات الاجتماعية التفريق في نسب الميراث، أو اقتضت الحالة الذهنية للمرأة وقتها اعتبار شهادتها على النصف من شهادة الرجل، أما الأحاديث التي تروى عن الرسول (ص) وفيها ما يفهم منه انتقاص للمرأة، فمنها ما يخص مناسبة بعينها ودرس خلقي بعينه كحديث كفران العشير، ومنها ما ضعفه الإمام "الألباني" لعلة في سنده

كما عدلت دولة الرسول بين مواطنيها من الجنسين عدلت كذلك بين الناس دون تمييز عرقي أو ديني، فنرى النبي (ص) يمنح شرف الانتساب الروحي لآل بيته لمن كان غريبا مهاجرا عندما قال في

"سلمان الفارسي" رضي الله عنه تكريما وتقديرا **"سلمان منا آل البيت"**، ونراه (ص) يقف احتراما للموت عند مرور جنازة يهودي، فقال له بعض صحابته "يا رسول الله إنها جنازة يهودي" فرد بحدة ظاهرة في تكرار العبارة **"سبحان الله، أوليست نفساً؟ أوليست نفساً؟"**

أما لفظ الذمي الذي يستخدم اليوم انتقاصا من مواطنة شركاء الوطن فكان بالأساس لفظ تأكيد على حقوقهم في كامل المواطنة، بجعل حقوقهم في ذمة الله ورسوله، حتى لا تغري المسلمين كثرتهم العددية بالتحزب العنصري المقيت ضد أهل الأديان الأخرى

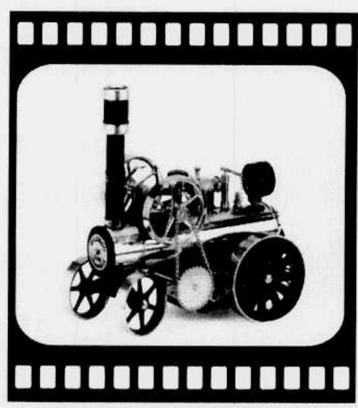
أما مبدأ تكافؤ الفرص فالأمثلة فيه غير محدودة، منها مثال سيف الله المسلول، فقد كانت عبقرية "خالد بن الوليد" العسكرية معروفة للمسلمين قبل إسلامه، فهو صاحب الالتفافة المنتصرة في أُحُد، لهذا وضعه الرسول ضمن قيادات غزوة مؤتة بعد إسلامه بشهرين فقط وتحت إمرة "زيد بن حارثة" الذي استشهد فيها، فعاد "خالد" للمدينة بالجيش سالما لما رأى استحالة تحقيق نصر عسكري مع التفوق الكبير لجيش الغساسنة والروم، وبهذا الانسحاب الاستراتيجي أكد "خالد" عبقريته فصار القائد العسكري الأول في دولة الرسول ثم خلافة الصديق "أبي بكر" وجزء من خلافة "عمر" رضي الله عنهما، وحارب تحت قيادته كثير من كبار الصحابة من السابقين، فكانت القيادة هنا للأقدر والأكفأ

كذلك نعرف من كتب السيرة أن "أبا عبيدة بن الجراح" صلى خلف "عمرو بن العاص" في غزوة ذات السلاسل لأن القيادة كانت لعمرو، وصدق الرسول على هذا بالموافقة، ليتجلى لنا موقف الإسلام من تنصيب القيادات بفكر علماني يهدف لتحقيق المصلحة بتولية الأقدر وليس الأتقى

كذلك لم يكن هناك تمييز على أساس عمري، بدليل عقد الرسول اللواء لأسامة بن زيد وتحت قيادته كبار الصحابة والسابقين ممن هم في عمر أبيه أو جده! إذ كان عمره لم يجاوز العشرين، وقد وبخ الرسول من علق على قيادة "أسامة" وهو في هذه السن تلميحا، فلم يكن العمر إذن يقف عائقا أمام من يطلب التميز لو ملك مقومات التميز

يوجز "جون لوك" أحد القيادات البارزة لعصر النهضة بأوروبا الحقوق المدنية الأساسية للأفراد في ثلاث حقوق، هي حق الحياة والحرية الاجتماعية وحق الملكية، فأما الأول فقد كان من أهم الإنجازات التي أدى إليها توحد الجزيرة العربية في دولة مركزية ذات سطوة تحت قيادة الرسول والراشدين، حيث جفت أغادير الدم التي كانت تفيض من الصراعات القبلية المبنية على النعرات والمغانم المادية، وجريمة القتل عند الله كبيرة جسيمة في قوله تعالى **"من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"** (المائدة:٣٢)، فكان لانتشار الدين الجديد أثر كبير في تخفيف الصراعات الدامية بالردع الدنيوي والتخويف الأخروي، كما بالتوحد والانضواء تحت لواء الإسلام في دولة مركزية تفرض الأمن،

أما حق الملكية فقد كفله الإسلام بلا حدود للمسلم وغير المسلم وألزمهما بحق الفقير في مال الغني والذي يوجه للتكافل الاجتماعي في شكل زكاة وخراج


طاقة البخار كانت العامل الحفاز
الذي شجع البشرية على منع الرق

أما الحرية الإجتماعية فكفلتها دولة الرسول من خلال حرية الزواج والطلاق وحرية السفر والانتقال وغيرها، ولتعدد ضروب الحريات، نكتفي هنا بالرد على شبهة إباحة الرق في الإسلام، والرق كان موجودا ولا ريب في دولة الرسول برغم تطبيق الشروط القرآنية لتجفيف منابعه وزيادة سبل العتق، وظل موجودا بعالمنا حتى اكتشفت طاقة البخار كبديل أكثر فاعلية لعضلات العبيد، عندها تحول الرق من ضرورة إنتاجية إلى شكل من أشكال الاستغلال غير الضروري يمكن

حذفه من قاموس الانسانية، وليس في الدين ما يمنع هذا بل فيه ما يشجع عليه

فلا الإسلام ولا المسيحية ولا اليهودية منعت الرق، ببساطة لأنه كان ضروريا حتى القرن الثامن عشر، ثم بدأ الاستغناء عنه مع دخول عصر البخار ثم الوقود السائل والكهرباء وهكذا، فأي لوم عادل يمكن أن يوجه للإسلام في هذا؟

حرية التعبير و الاعتقاد

قد نتفق على أن استثناء رأس الدولة من النقد، بل وتقديسه وتأليه تعليماته، تعد أهم سمات الديمقراطيات الهيكلية بعالمنا العربي اليوم، فتجد الواحد من الصحفيين المدجنين يهاجم الوزراء وأحياناً رئيس الوزراء، ثم ينبطح على بطنه مناشدا حكمة الرئيس أن تتدخل! كم مرة نطالع هذا النموذج كل يوم في الصحف؟ و كم مرة تعرض من يخرج عن هذا السياق للمساءلة القانونية؟فكيف كان النموذج الذي قدمه الإسلام لحرية التعبير مقارنة بهذا؟ هل سمح الإسلام بمساواة رأس الدولة بالشعب؟

نعلم قصة الرسول حين كان يوزع الغنائم بعد معركة حربية فإذا بأعرابي يخاطبه بوقاحة ظاهرة قائلاً: أعطني من هذا المال، فليس المال مالك ولا مال أبيك، ونعرف أن الرسول كف عنه غضب أصحابه وأعطاه حاجته، وكذلك موقفه ممن قال له: اعدل يا محمد، وممن كان له عنده دين فأغلظ له القول، فهذا هو رأس الدولة يتعرض لمواقف فيها

وقاحة تتجاوز حرية التعبير وتصل إلى ما يعاقب عليه القانون المدني، لكنه **يقبل الحديث كرأس للدولة، ويعفو عن المسيء بأخلاق النبوة**

وقد اتبع الراشدون من صحابته منهجه، ولن أطيل هنا في ذكر شواهد حلم الرسول والراشدين في تحمل النقد والهجوم، **فهي** أمور كلنا بها عالم ولها حافظ، لكنني أردتها شاهداً على المناخ العام لحرية التعبير، فلو علم واحد من هؤلاء المهاجمين والناقدين أن الرسول أو الخلفاء يقابلون النقد بالسيف أو السجن ما تجرأ عليه، **فتلك** شيمة مناخ عام تسوده الحرية، لكن الحال تغير بالطبع في ظل الملكين الأموي والعباسي بعد أن فقدت الخلافة خيط الرشاد وأتى الملك بأبهته وصولته وصولجانه، فكممت الأصوات المعارضة وأجزل العطاء للمنافقين والمداحين!

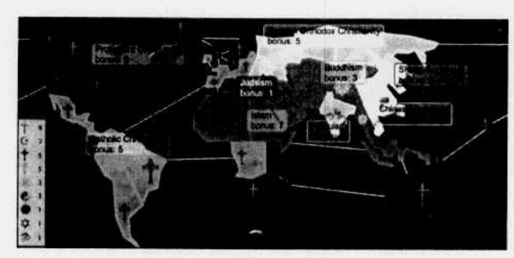


ملك الشطرنج مصنوع على هيئة الخليفة العباسي "هارون الرشيد" .. أبهة الملك العضود

لدينا فوق هذا كله حديث الإفك ودلالته على عدم استخدام السلطة في المصلحة الذاتية للحاكم، وحديث الإفك - لمن لا يعرف — واقعة تقول فيها الناس بالمدينة في عرض واحدة من أمهات المؤمنين، بل أحب زوجات الرسول إليه وهي السيدة "عائشة"، ولا يهمنا هنا الحديث بذاته، لكن يهمنا أنه بدأ بين المنافقين، وهؤلاء تراوحت تقديراتهم من بضعة وسبعين إلى ثلاثمائة فرد، ثم انتشر كأي همس لئيم بين غيرهم من فئات المجتمع، وعرفه الرسول فأهمه ذلك وأكربه كربا عظيماً، وقضى بهذه الحال أياماً حتى نزل الوحي ببراءة السيدة "عائشة"، فلم يعاقب الرسول في هذا أحدا من المنافقين لعدم وجود ما يكفي من شهود عليهم، فلو تخيل الواحد منا نفسه بموضع النبي في هذا الأمر، أفلا يثور ثورة قد تورطه في جريمة؟ ولو كان حاكماً ذا سطوة، أليس من الممكن أن يسفك بحراً من الدم في فورة غضبه لعرضه؟ خاصة أن النفر الذي بدأ الخوض فيه كان يسير العدد؟ لكن الرسول تعامل مع الموقف كرجل غير ذي سلطة، أما جلد من ثبت بحقه رمي "عائشة" من المسلمين فهو العقاب الشرعي للقذف بغير بينة

أما في أمر حرية العقيدة، فمجتمع التعدد والتباين هو النموذج الذي أراده الله بحكمته للبشر، والأدلة على هذا من القرآن أكثر من أن نحصيها، لكننا نعرض منها نماذجاً قليلة، فانظر لقول الله تعالى "**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**

وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" (المائدة:٤١) ونفس المعنى تقريباً يرد في سور هود والنحل والشورى، وكذلك نجده في قوله تعالي **"وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ"** (يونس: ٩٩)، فهذا استفهام للاستنكار، يؤكد قاعدة عدم الإكراه في الدين، ومثله قوله تعالى **"لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"** (البقرة: ٢٥٦)، ويتكرر مثل هذا المعنى في أربعة وعشرين آية من القرآن، من سور الكهف والإنسان والكافرون والإسراء وغيرها



الخريطة الدينية للعالم و يظهر فيها الإسلام في المرتبة الثانية بعد المسيحية البروتستانتية، ثم تأتي الكاثوليكية في المرتبة الثالثة

الديمقراطية وتداول السلطة

أصبحت الديمقراطية اليوم أحد الحقوق الأساسية للمواطن في الدولة المدنية، والتي تتخذ جميع القرارات المؤثرة فيها من خلال مؤسسات واجراءات ديمقراطية، فهل كانت دولة الرسول قريبة من هذا النمط؟

قال تعالى "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ**" (آل عمران:١٥٩)، إنه مبدأ الشورى الإسلامي المعروف، ورد بصيغة الأمر الموجه للرسول (ص)، فإذا كان الرسول مأمورا بالشورى فكل حاكم مأمور بها بالضرورة! ولفظة الشورى العربية تحمل ذات المعنى الذي عبرت عنه لفظة الديمقراطية اليونانية بمعنى تفويض سلطات الحكم للشعب أو من ينوب عنه، ومن قال أن الشورى غير ملزمة للحاكم فقد ضل ضلالاً يخالف نص القرآن وسنة الرسول (ص)، فالشورى ألزمت النبي فعمل بغير رأيه ونزل على رأي الأغلبية في أكثر من موقف، وما قيمة أن يشاور الحاكم الشعب أو نوابه ثم يلقي بكل هذا خلف ظهره ويصدر قراره منفرداً؟

أما تداول السلطة، فدليله أن الرسول (ص) عند وفاته لم يحدد من يحكم بعده رغم علمه بدنو الأجل، وبهذا أقر مبدأ عدم توريث السلطة وعدم فرض ولاة الأمر على الناس، وما البيعة في صورتها الأولى الحقيقية الا اقتراع مباشر، أما التوريث المقنع الذي اقترفه الأمويون تحت لافتة البيعة فليس من منهج الإسلام ولا من منطقه

واليوم، وجد البشر بعد تجربة القرون أن الانتخاب بين أكثر من مرشح أفضل من الاقتراع على قبول أو رفض مرشح واحد، وبما أن الإسلام لم يلزمنا بأي نظام للحكم سوى مبدأ الشورى والبيعة، فلنا أن نعتمد أسلوب الانتخاب بصورته التي أثبتت التجربة كفاءتها دون حرج

الشخوص الإعتبارية للرسول والفصل بين السلطات

لكل فرد منا عدد من الشخوص الاعتبارية التي يمثلها، فتجد الرجل طبيباً في عمله، فإذا مضى ليمارس رياضته التي يهواها أصبح لاعب تنس، وإذا آوى لبيته فهو أب وزوج، ولكل من هذه الشخوص الاعتبارية طبيعتها التي تناسبها، فالطبيب رجل علم لا يقنع بغير البراهين التشخيصية الدقيقة، بينما لاعب التنس يعتمد على حدسه وردود فعله التلقائية، أما مع زوجته وبنيه فلو كان شديد المنطقية لأصبح زوجا لا يطاق ولو كان تلقائيا بدرجة زائدة فسيفسد تدبير أمور أسرته، وهكذا، فكل منا هو هذا الرجل في عمله وحياته وبيته وبين أصدقائه، وهكذا كان الرسول (ص)

كان نبي الله ورسوله الخاتم، وكان في مجلس حكمه حاكما، وفي مجلس حربه القائد الأعلى للجيش، وفي بيته وحياته الزوج والأب والرجل العربي الذي يعيش في الحجاز في القرن السابع الميلادي بخلفياته الحضارية والمعرفية المناسبة لعصره، لكنه امتاز عن معاصريه برفعة الخلق وسمو المنهج حتى كان خلقه وسلوكه مصداقاً لرسالته السماوية

ولعل جمع الرسول (ص) للسلطة الزمنية والقيادة الدينية هو أكثر ما يبدو مخالفاً لأسس مدنية الدولة في التجربة الإسلامية الأولى، لكن من يقرأ السيرة النبوية بتأن وعمق، يجد أن النبي (ص) كان يبين لصحابته ما يأخذوه عنه في شئون الدين، كسنن واجبة على كل مسلم، وما يشاوروه فيه من أمور القيادة والحكم والحرب وغيرها، فلم يكن كحاكم يدعي أنه ظل الله في الأرض كما كان البابا يدعي يوم كانت له سلطة وسطوة، بل كان يقبل المشورة وكان صحابته يفرقون بين هذا وذاك، فترى "الحباب بن المنذر" في بدر يسأله فيقول: يا رسول الله، أرأيت هذا المترل مترلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فلما أجابه الرسول بأنها الرأي والحرب والمكيدة، أشار بما أراد وأخذ النبي برأيه

كذلك كان الرسول يجتهد رأيه كحاكم في أمور الدنيا ولكنه لا يحمل الناس عليه، فلما سأله التجار كم يكسبون أشار عليهم أن يربحوا الثلث، فلم يوف هذا الربح بتكاليفهم لطول السفر، فعادوا فسألوه في ذلك فأجابهم بحديثه الذي نراه قاعدة وضيئة في الإسلام إذ قال **"سبحان الله! أنتم أدرى بشئون دنياكم"** وقد تكرر هذا الرد من النبي في موضوع تلقيح النخيل، إذ أشار بعدم التلقيح اليدوي وترك ذلك للريح فجاء محصول التمر رديئاً، فسأله أصحاب النخل فأجابهم بذات الرد المعجز، فهل هناك مبدأ للفصل بين الدين والدولة أوضح من هذا؟ أليس هذا الحديث هو محور العلمانية التي يهاجموها صباح مساء؟ أن نحتكم للخبرات والعقل في تصريف أمور الدنيا وشئون الحكم؟

من كل ما سبق، نفهم أن دعاوى الدين والدولة باطلة من أساسها، وهذا ما اجتهد الكثيرون من وجوه العلماء لبيانه، وعلى رأسهم الشيخ "علي عبد الرازق" حين نشر كتابه "الإسلام وأصول الحكم" في وقت كان فيه الملك "فاروق" يفكر في الدعوة لنفسه خليفة للمسلمين بعد أن أطلق لحيته! وكان منهم الأستاذ "فرج فودة" حين نشر أبحاثه المفندة لادعاءات الإسلام السياسي ومنها "الحقيقة الغائبة" و"التطرف السياسي الديني في مصر" في وقت كانت السعودية فيه تراودها أحلام زيادة نفوذها الإقليمي تحت ستار الريادة الدينية القريب من ثوب الخلافة، ولعل هذا ما عجل بنحره رحمه الله



فاروق مطلقا لحيته و أحلام
الخلافة المستحيلة

فليس الإسلام والعلمانية يا إخوتي ضدان كما يوحون وغاية الأمر أن دعاة الإسلام السياسي أعجز من الوصول للحكم ثم الاحتفاظ به

في دولة علمانية حرة تتوفر فيها البدائل دائما، ويترسخ فيها مبدأ تداول السلطة، لهذا يكرهون هذا النموذج الذي كتب القرن العشرون شهادة تفوقه بحروف من نور!

هل حرم الإسلام الفن؟

اعتدت الاعراض عن الحديث في فروع كتحريم الموسيقى والتصوير وغيرها، وكنت أحسب أن الأسوياء يعرفون أنها أمور خلافية وأن الكثير من العلماء أفتى بأن حلالها حلال وحرامها حرام، فهذا يكفي ليختار كل عاقل لنفسه! لكن أراني كنت مخطئاً في هذا، فتلك الفروع هي الأكثر مساسا بحياة الناس اليومية، ربما أكثر من القضايا الكبيرة، وفكرتي عن الشخصيات السوية هذه قديمة، فقد طغت ظلال الوهابية على الخطاب الديني المعاصر في بلد الأزهر الشريف! فبلبلت حتى أسوياء الناس

ونحن كما علمنا الأجلاء من وجوه الأزهر الشريف لا نرى في الفن حرمة ما لم يحتوي على حرام، والحرام في هذا بين والحلال بين، وستجد أن حلال الفن هو ما نسميه فناً راقياً، وأن حرامه هو ما نسميه فناً هابطاً أو ما لا يستحق أن يسمى فناً من الأساس!

الفن داخل الأقفاص

أعجب لمن يقولون بتحريم كل الفنون الجميلة، وأذكر أن أول ما لفت نظري في هذا القول في صباي تناقضه مع منطق الموهبة، فلا أحد يختار أن يكون ملحناً أو رساماً أو نحاتاً، لهذا نقول عمن يمارس هذه الفنون أنه موهوب، فمن وهب الموهوب ومن خلق المبدع مبدعاً؟

أليس الله الذي خلقه موهوباً، هو ذاته تعالى من يدعون أنه حرم ممارسة الموهبة؟ وستجد من يجيب قائلا: بإمكانه أن يستخدمها ولكن في حدود وأطر معينة، فللملحن أن يلحن أناشيد لا تحتاج لغير الدف، وللرسام أن يرسم لوحات من الطبيعة الصامتة وهكذا

ونحن نرد على هذا بسؤالنا: هل يكون هذا إبداعاً فنياً؟ هل هناك فنان حقيقي يستطيع أن يبدع داخل أقفاص؟ إن من ينحت زخرفة إسلامية أو يرسم طبيعة صامتة يجب أن يكون شاعرا للجمال فيهما حتى يجيد ويبدع، فماذا يفعل من تميل موهبته لغير هذا من ألوان الفنون؟

حكمة الفنون

دعونا نرجع خطوة للخلف، لنحاول فهم الدور الذي رسمه الله وأراده للفن في حياتنا، قال تعالى **"لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِي كَبَدٍ"** (البلد:٤)، فما هو الكبد الذي يعانية الإنسان ولا يعانيه غيره من الكائنات؟ فيكون مميزا له ومرتبطا به؟ من المفسرين من فسر الكبد بالاستقامة، ومنهم من فسره بالمعاناة فتركز تفصيله لهذه المعاناة على المعاناة الجسدية كخروج الأسنان والولادة وغيرها، وبعضهم قال قولاً عاماً بأنه عناء الدنيا والآخرة، وفي كل هذه التفسيرات مشكلة، هي شمول العناء الجسدي للإنسان والحيوان معاً! فلماذا خص الله تعالى الإنسان بالذكر؟ ما نراه عناءً قاصراً علينا نحن بني آدم، هو معاناة العقول التي تفكر وتعي، فهذا كبد الإنسان الذي تميز به عن الحيوان، وهو عناء لم

يرده الله لنا لمجرد العناء، ولكنه ضريبة العقل المفكر والإرادة الحرة والروح التواقة للجمال، فالكبد كان العادم الأساسي لمهمة الخلافة في الأرض، فكيف يخففه الله عن الإنسان؟ والله بالإنسان أرحم من والديه كما قال جل جلاله في الحديث القدسي **"لو خلقتموهم لرحمتموهم"**؟ ما هي الآلية الربانية لتخفيف الكبد؟

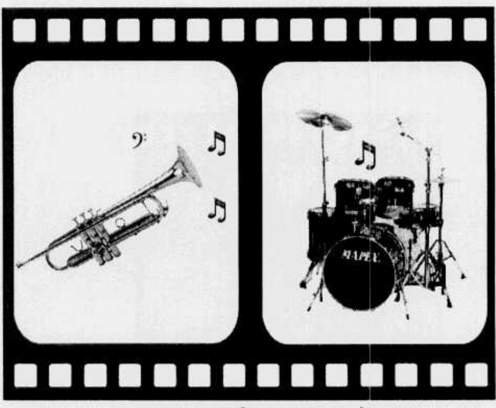
إنها في تقديرنا الفنون والآداب، فلطالما كان الفن كالمسكن الروحي الذي يخفف عن نفس الإنسان وطأة الحياة وعناء العقل، وهل يخفف عناء الروح قدر الموسيقى والغناء وكل فن جميل؟ ودور الموسيقى في العلاج النفسي والنفسجسمي أمر أثبته العلم، وما عاد مجالاً للظن والافتراض



العلاج بالموسيقى

الموسيقى همس القلوب!

يقول البعض بتحريم بعض الآلات الموسيقية بعينها، فيحل الدف ويحرم بقية الآلات! ويدلل على ذلك بأحاديث منسوبة لرسول الله، منها ما رواه البزار أن رسول الله (ص) قال **"صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نغمة، ورنة عند مصيبة"**، كذلك نسبوا إليه (ص) أنه قال **"إن الله حرم علي الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام"** وستعجب حين تعرف أن هذه الكوبة هي ما يشبه الطبلة، فالدف حلال والطبلة حرام؟



آلات الإيقاع حلال و آلات النفخ حرام!!!

وتلك أحاديث تراوحت ما بين الضعيف والحسن على شرط الشيخين وليس فيها صحيح من جهة الإسناد، والموسيقى موضع

خلاف بين الفقهاء، فترى البعض يرى حرمتها المطلقة كالسيد "عمر عبد الكافي"، والبعض لا يرى ذلك مثل فضيلة الشيخ "محمد الغزالي" رحمه الله، ولا سواء! والقائلين بحرمة الموسيقى يوردون في أدلة التحريم قوله تعالى **"ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين"** (لقمان:٦) والآية تتحدث بوضوح عمن يسخر من آيات الله ويتخذها هزوا، ومن يستخدم الموسيقى للتشويش على آيات الله وهي تتلى، فقول "ابن عباس" و"ابن مسعود" في أن لهو الحديث هو الغناء، يقصد به الغناء في هذا السياق، سياق التشويش على كلام الله، هذا هو لهو الحديث كما يفهم من السياق، فما علاقته بالتحريم المطلق للموسيقى؟

أما أحاديث المعازف ومنها قوله (ص) **"ليكوننَّ من أُمّتي قوم يستحلّون الحرير والخمر والمعازف"** فمعازف الجاهلية كانت تسمى معازفا لتحسين صورتها كما نسمي نحن اليوم الكباريه ناديا ليلياً ونسمي الرقص العاري بفن الإثارة، فلا هذا نادٍ ولا ذاك فن! كذلك لم تكن معازف الجاهلية إلا بيوتا للدعارة بها الجواري والقيان ممن يجبرهن سادتهن على الدعارة، تقدم فيها الخمور وتعزف الموسيقى لترقص الجواري رقصا خليعا للإثارة، فهذا ما نهى الرسول عنه، وهو نهي مفهوم ومناسب للفطرة، لكن للمرة الثانية ما علاقته بتحريم الموسيقى؟ لو كان القصد هو تحريم الموسيقى الراقصة في الكباريهات فنحن نقول معهم بحرمتها، لكن هذا خاص لا يعمم!

أدلة حل الموسيقى

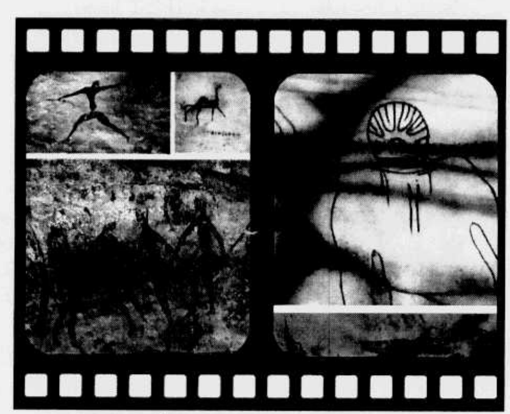
من ناحية مقابلة نجد لدينا أدلة من السنة على حل الموسيقى والغناء طالما كانا بمنأى عن المعاصي، وهذه الأدلة هي:

- في حل الموسيقى والمزمار تحديدا، روت "عائشة" رضي الله عنها: دخل عليَّ رسولُ الله وعندي جاريتان تغنيان في يوم بعاث، فأدار وجهه، فدخل "أبو بكر" فانتهرني فقال: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟ فأقبل رسول الله بوجهه فقال: **"دعها"** وفي رواية أخرى أنه قال:**"يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا"**، والصديق لم يصف المزمار بأنه صوت الشيطان بناءً على تحريم سابق لكنه وصفه بهذا لارتباطه عند العرب بالمواخير كما أسلفنا، لكن منع الرسول له من نهرهن يبين جواز الترويح عن النفس بالموسيقى في وقت الفراغ، والعجيب أن من يقول بتحريم الموسيقى يقول في هذا الحديث أنه رخصة للنساء في الأعياد فقط! فهل نعرف أن رسول الله سمح بما حرم الله في الأعياد؟ هل سمح بشرب الخمر في العيد مثلا؟
- روي عنه (ص) أنه سأل "عائشة" وقد عادت من عرس قائلاً **"أما كان معكم لهو؟"** فقالت: "لا يا رسول الله"، فقال النبي **"هَلاّ ضربتم بالدف وقلتم أتيناكم أتيناكم"** إلى آخر القصيدة التي أنشدها النبي، فهل بعد هذا قول بتحريم غناء؟ واعجب معي ممن فهم الحديث على أنه يبيح الدف مع الغناء في النكاح فقط! فما فرق الدف عن غيره؟ وهل يحل في حفلات الزفاف ما يحرم في غيرها؟ وهل على الحرف يفهم كلام

النبي؟ وقد ذكر الدف والإنشاد لأن هذا ما عرفه العرب في العرس من ترفيه!

الفن التشكيلي .. مهد الحضارة الأول

في العربية السعودية كانت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تمر على المحال والصيدليات لتشوه أي رسوم بشرية على علب منتجات أو ملصقات دعائية أو حتى لعب الأطفال! بل في حصص الرسم في المدرسة لو تورط الطفل ورسم بشرا أو حيوانا تقطع المعلمة رقبة ما رسم بخط أسود غليظ حتى لا يكون هذا محاكاة لخلق الله! فهل الإنسان والحيوان وحدهما من خلق الله؟ فمن خلق النبات والشمس والقمر والكون بأسره غيره تعالى؟



الرسوم على جدران كهوف تاسيلي .. الخطوات الأولى للبشر للتوثيق

وهل يحرم الله الرسم وهو شفرة إعمار الأرض وحضارة الإنسان؟ على من يقول بحرمة الرسوم أن يتذكر الدور الحضاري لها، فالرسوم وعلى قمتها الإنسان والحيوان كانت الأسلوب الأول لتسجيل النشاط البشري، وفي كهوف "تاسيلي" نرى كيف وثق الإنسان الأول حياته فوق جدران مسكنه، لتتطور هذه الطريقة من الرسوم إلى رموز كلمات ثم إلى رموز أصوات ثم حروف، فيصبح الإنسان كائنا يوثق بالكتابة ويتوارث المعارف فيراكمها وينفذ رسالته الكونية في التقدم واعمار الأرض، فلولا هذه الرسوم الأولى ما كانت كتابة ولا توثيق، وما كانت حضارة للبشر! فهل يحرم الله الآلية التي كانت عماد تطور الانسان؟

يقولون أن التصوير محاكاة لخلق الله، أولم يأمرنا الله بالرحمة وهو أرحم الراحمين؟ ألم يحثنا على الكرم وهو أكرم الأكرمين؟ فلماذا ينهانا سبحانه عن الإبداع وهو أحسن الخالقين؟ ورد بكتاب الله مرتين وصفه تعالى بأحسن الخالقين، في قوله تعالى "**فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ**" (المؤمنون:١٤)، وقوله تعالى "**أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ**" (الصافات:١٢٥)، فلو كان الخالق يريد نفي صفة الإبداع عن غيره فلم وصف ذاته وله المثل الأعلى بأحسن الخالقين؟

كذلك نجد برهانا آخر بقوله تعالى من سورة سبأ "**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوۤاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ**" (سبأ:١٣)، فهل كان نبي الله "سليمان" يأمر بصنع التماثيل وهي حرام؟ وقد يقول قائل

أنها حرمت بعد سليمان، فنقول له: ألم تكن علة التشبه بالخالق أو علة الانحراف للوثنية واردة على عهد "سليمان" عليه السلام؟

قبل أن نستعرض ما يوردون من أدلة الحديث الشريف على تحريم الفن التشكيلي، علينا أن نفهم وضع التصوير في المجتمع الذي قيلت فيه هذه الأحاديث، وفي أي التطبيقات كان مستخدما؟



أحد الآلهة القمرية التي عبدها العرب

لم تكن هذه البيئة الاجتماعية تصطنع اللوحات ولا الجداريات ولا التماثيل التي يقصد منها تخليد العظماء، فاقتصر التشكيل على أصنام على هيئة البشر وغير البشر، وكانت تعبد حول الكعبة، وتصنع منها نماذجا بدائية مصغرة يصحبها المسافر معه في حله وترحاله، أما غير ذلك من التصوير فكان قاصرا على بعض منسوجات من مصر والشام، يجلبها التجار وبها تصوير للحيوان والطير

وعلى ذلك، فحين تحدثنا السيدة "عائشة" بقولها: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم **"حولي هذا، فإني كلما دخلت فرأيته، ذكرت الدنيا"** فهذا لا يفهم منه تحريم الصور وإلا لما صبر عليه الرسول يوما واحداً، فنحن نفهم من عبارة **"كلما دخلت فرأيته"** أن الستار لبث وقتاً على الحائط فتكررت رؤية الرسول له وإلا ما قال، ثم أنه لم يصف هذا الثوب المزين بصورة طائر بأنه حرام، ولكنه رأى في استخدامه ترف يذكره بالدنيا، وحين حولته السيدة "عائشة" إلى كسوة لوسائد لم ينهها لأنه استخدم بشكل أكثر عملية وفائدة، فهذا لا يفهم منه تحريم الصور ولكن يفهم العكس، وإلا لما صبر الرسول على تلك الوسائد، وللحديث رواية أخرى يقول فيها الرسول **"أخريه عني، فإن تصاويره تعرض لي في صلاتي"** فالعلة أن الرسول تأخذ الصور عينه فتقلل من تركيزه في صلاته، وهذا يفهم منه أن التصوير حلال من حيث المبدأ، ولو كان حراما لقالها الرسول صريحة واضحة، كذلك حين يقول صلوات الله عليه **"إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة إلا رقماً في ثوب"** نراه قد استثنى الشكل الوحيد من التصوير الذي كان موجودا في الحجاز غير الأصنام والأوثان وهو الثوب المنقوش بالصور، لأنه عنى بالصور تلك الأصنام التي تعبد

دخل العرب في فتوحهم بلادا ذات حضارات قديمة كمصر والعراق والشام فما عرف التاريخ أنهم دمروا آثار هذه الحضارات وما حوت من تماثيل وتصوير بمختلف أشكاله، لأن العرب حين دخلوها كانت

غير معبودة، حيث حلت المسيحية محل الوثنية في مصر والشام قبل الفتح العربي بعقود، فلم نسمع عن تخريب آثار إلا في الفتح المغولي لأفغانستان في عصر متأخر بمئات السنين، وليس من فعل الصحابة ولا التابعين، وقد سأل الإمام "الشافعي" عن هذه التماثيل ووجودها فأقر بها و لم يحبذ هدمها وإزالتها، والحمد لله أنه فعل وإلا كانت كارثة حضارية

الآداب و الفنون الدرامية و الحركية

أما الآداب المختلفة شعراً ونثراً، فنحمد الله أنه لم يخرج علينا بعد من يحرمها، ولا نظن أحداً يجترأ على هذا وقد كان رسول الله يسمع الشعر ويستزيد من روائعه من "حسان بن ثابت" و"الخنساء" وغيرهما

أما الفنون الدرامية، فلا يمكننا أن نجد نصا أو قياسا يقترب منها، وبما أن لها دور في تهذيب الإنسان، وبما أن الأصل في الأمور الحل ما لم تحرم، فنحن نراها حلالا ما لم تحتوي على فكر هدام أو ترويج لفساد وانحراف، أما ما قاله البعض من كون الزواج والطلاق يقعان في العمل الدرامي لو قيلت الصيغة الخاصة بهما بين الممثلين، فهو قول لا نعتبره جاداً ولا يستحق الرد، لأن صاحبه اعتبر الدراما ضربا من ضروب الهزل وهذا دليل على خواء فكري

أما الفنون الحركية، والتي نسميها رقصاً، فحرامها حرام وحلالها حلال، فهز البطون والأرداف والنهود هو رقص الجواري، كانت جواري القصور يمارسنه لإثارة السيد، فتعقد الراقصة العارية وشاحين

حول نهديها وخصرها وتحل عقدتهما بالحركات المتتابعة والعنيفة نسبيا لهذه الأجزاء فتتعرى تماما، فالأصل فيه أنه للإثارة فضلا عن غياب التعبير الفني والجمالي فيه، فهذا نجده حراماً، أما الرقصات الشعبية التي لا تغيب في شعب من شعوب الأرض، فهذه كانت استجابة بشرية لإيقاع الطبيعة، ولمصر من الرقص الشعبي نصيب وافر من سواحلها لريفها لصحاريها، قمة في التنوع والثراء والجمال في فنون حركية راقية تعتمد على التناغم الحركي والتعبير الدرامي، فهذه لا عيب فيها ولا نجد شاهدا على تحريمها، ومثلها الرقصات التعبيرية المختلفة شرقا وغربا، فهذه فنون لها دور في تهذيب النفوس



الفنون الحركية استجابة بشرية طبيعية
لموسيقى البيئة

والمعيار الدقيق برأينا لما يتشابه من أمر الفن هو أثره في نفسك، فلو كان موجبا فهو في طريق الله، والعكس صحيح، فلو كان يضعفك ويوهن عزمك ويصيب مشاعرك بالاضطراب فهو شر يجب عليك اجتنابه، فما يكون في طريق الحق والرفعة هو الراقي من الفن، وأما يهبط بالإنسان فهو الهابط منه

والله أعلم

السعادة رؤية و رسالة

ما هي السعادة؟ وكيف نصل إليها؟

سؤالان كانا دوما مناط البحث والتفكير منذ انطلاق شرارة البشرية الأولى وحتى اليوم، حاول الإنسان الأول أن يجيب عليهما فخرجت الأديان البدائية للوجود، ثم كانت التجربة اللاهوتية المصرية القديمة خطوة بعيدة الأمد بهذا المضمار، حيث صور المصري القديم السعادة في عالم ما بعد الموت بحالة الخلود الأبدي بعد المرور من محكمة "أوزيروس"، وتطابق جوهر عقيدة مصر القديمة مع الأديان السماوية قد يوحي بنبوة قديمة في مصر ممن لم يقص الله علينا نبأهم من أنبيائه، ثم شوهت الرسالة مع تقادم الزمن، فشابت توحيدها الشوائب، وبعدها نشأت العديد من الميثولوجيات من الهند للشرق الأدنى لليونان وشمال أوروبا، وفي خطٍ موازٍ لخط العقائد ظهرت الفلسفة اليونانية، وتباينت تصورات السعادة بها ما بين أفكار "أفلاطون" و"سقراط" و"أرسطو" و"ديمقريطس"، ثم أوحى الله لمن علمنا من رسله وأنبيائه فظهرت الأديان السماوية بمبدأ سعادة الدنيا والآخرة، وبمنهج لمساعدة الإنسان في الوصول إليها

واليقين الوحيد عندي عن سعادة الدنيا أنها لحظات لا أكثر، ومشكلة العديد منا أنهم يتصورونها مرحلة يصلون إليها في الحياة، أو براً يرسون عليه فينصبون خيامهم ليستقروا سعداء! وما هي كذلك، بل هي لحظات تلو لحظات، ونكون محظوظين لو تخللت هذه اللحظات

حياتنا كثيراً ولو لم يتخللها بالمقابل كثير من لحظات الألم والشقاء! حين كنا صغارا كنا نعتقد أن الكبار الذين يقررون متى يلعبون ومتى يقرأون وأين يذهبون وماذا يطعمون هم السعداء، وحين كبرنا تمنينا لو عدنا صغاراً ورأينا السعادة في لامسئولية الطفل! كذلك كنا قبل المدرسة نرى السعادة في اليونيفورم والحقيبة، وبعد أن دخلنا المدرسة تمنينا لو لم نذهب أبداً، وذات الأمر حين نحب، وحين نتزوج وهكذا، نحن نؤجل سعادتنا على الدوام لاعتقاد وهمي بأنها مرحلة تالية سنصلها، وبهذا نقلل الاحتمال القائم للسعادة اللحظية، وهي السعادة الحقيقية الوحيدة في دنيانا

فسعادة الإنسان الحقة تكون في لحظة صدق، لحظة مجد، لحظة عشق، لحظة إيمان، ضحكة من قلب، قبلة من حبيب، ابتسامة طفل، ذكرى جميلة، لحظة سمو وترفع عن الدنايا، هذه هي سعادتنا المتاحة فوق الأرض، أما نظريات السعادة الدائمة فمحض خيال لا يستقيم مع الحياة بمعطياتها!

ولا أدعي هنا أني وصلت لوصفة سحرية للسعادة، إذا لاستكثرت من الخير لنفسي ولما انتابتني موجات الهموم والحزن والميل للعزلة واحدة تلو أخرى، لكنني رجل عاش ما عاش طولا وعرضا وارتفاعا، فجمع لنفسه شيئا من الرأي في الحياة وأحوالها، واجتهد فقرأ قليلاً، وخلا فتفكر في الحياة قليلاً، فخرج مما عرف قراءة وتجربة وفكراً بما يجوز أن نسميه طريقا للسعادة، وأول علاماته تحديد الرؤية والرسالة

ما هي الرؤية؟ وما هي الرسالة؟

لو كانت الرؤية الواضحة والرسالة المحددة ضرورتين لأي مؤسسة، فهما ضرورة بذات الدرجة للفرد في حياته، فالإنسان ينظر عادة لما مضى من عمره مقيماً إنجازاته، فلو رأى أنه حقق شيئا ملموساً كان هذا أدنى لسعادته ورضاه، وتحقيق الشيء الملموس في الحياة صعب لمن لا يحدد لنفسه رسالة، لأن الهدف المادي لا يتحقق، حتى يضع الفرد لنفسه هدفا ماديا أكبر، وبهذا يشعر دوما أنه لم ينجز ما أراد، لكن من كانت حركته في الحياة في إطار رسالة محددة، فكل يوم يعيشه في خدمة رسالته يقربه من رضاه عن نفسه، بغض النظر عن النتائج، فيرتبط رضاه عن ذاته بمدى جهده وصلابته في سبيل رسالته وليس بإدراك النتائج

ونعني بالرؤية حلم الفرد لذاته، وقد تتجاوز رؤية الفرد حلمه الذاتي لأحلامه لأسرته أو بلده أو دينه أو مبدأه وهكذا، أما الرسالة فهي الطريق الذي نعتزم السير فيه لتحقيق هذه الرؤية وتحويلها من تصور إلى واقع ملموس، ولا نعني بالطريق خطة محددة لحياة الفرد، ولكن خطوطا عامة عريضة، يضع في نطاقها بعد ذلك الخطة تلو الخطة في الاتجاه العام لرسالته ومنهجها، ثم يعمل على انجاز خططه مرحلة تلو أخرى

أي الرؤى أحق بأن نضعها نصب أعيننا وأي الرسالات أجدر بنا؟ يقول لنا عالم النفس الكبير "ابراهام ماسلو" واضع الهرم الشهير للإحتياجات البشرية، أن الهدف الأكبر لكل منا في حياته هو تحقيق ذاته، فمنا من يحققها بالثراء، ومن يحققها بالوصول لمكانة رفيعة، ومن يحققها بالإبداع، لكن تحقيق الذات وشعور الإنسان بالرضا عن واقع حياته وما ينجزه فيها يمكننا الوصول إليه دوما من خلال الإسهام في مهمة البشر الكبرى بشكل إيجابي، أياً كان قدر هذه المساهمة.

فقد سبق خلق الإنسان على هذا الكوكب رؤية إلهية في قدراته كمخلوق، ومهمة حددها الله له، نجدهما في حوار الخالق وملائكته قبل بدأ الخلق، قال تعالى "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" (البقرة:٣٠)، فالرسالة هي الخلافة في الأرض، فكيف يخلف الإنسان الله في أرضه؟ خلافة الخالق لا تكون إلا بالإبداع والتطوير، فالإبداع هو النموذج المصغر للخلق، الله يخلق من عدم بقدرة لا متناهية، وشاء سبحانه أن يجعل الإنسان مبدعا أصغر، يبدع من موجودات ومفردات وبقدرة متناهية، لكنها متنامية! كانت مشيئة الله أن يخلق هذا الكائن المفكر المبدع، على قمة ما خلق من موجودات، وقمة الخلق هي خلق مبدع، لهذا كان الإنسان أكرم المخلوقات عند ربه، فأما رؤية الله في الإنسان، فهي قدرته على أن يخلف ظن الملائكة، بأن يطور حياته على الأرض حتى

يصل لمرحلة يحقق فيها التوازن بين الفرد والمجتمع، فيوقف سفك الدماء وإفساد الأرض، بل يعمرها ويزيد زينتها، ونقول الرؤية هنا مجازا، لأن الله يعلم الغيب يقينا وليس عن رؤية، لهذا أجاب تعالى الملائكة حين قاسوا الإنسان على ما سبقه من مخلوقات قائلاً "**إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**" (البقرة:٣٠)، فالله تعالى يعلم أن تركيبة العقل مع الإرادة الحرة والأنا والأنا العليا التي زود بها الإنسان خليقة بمضي القرون أن تصل به لمرحلة التوازن، وقد نقول ما نشاء عن فساد الكون، لكن من يراقب منحنى الفساد وسفك الدماء في مجمل العالم عبر التاريخ يجده في تناقص مطرد، وما كان متناقصا لابد أن يتلاشى ذات يوم ولو طال الأمد! وعلى هذا دليل من القرآن في قوله تعالى "**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**" (يونس:٢٤)، فنهاية البشرية لن تكون إلا بعد إنفاذ رؤية الحق تعالى وتحقيق الخلافة بتطوير الحياة والوصول بها لأسمى الدرجات

أما النهايات التي تنحط فيها البشرية وتتصدع حضارتها فهي نتاج عقول مريضة تتمنى أن ينهدم العالم المتطور الذي لا تفهمه ولا تنتمي إليه، وليس في هذا تعارض مع الحديث الشريف "**يأتي على الناس زمان فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر**"، فحالة الازدهار التي ستعم الأرض ستكون كما تقول الشواهد مادية تماماً، ومزيجا من المنهجين التجريبي والمنطقي، ، فمن لم يعقد صلحا داخليا في نفسه بين إيمانه الروحي وحضارته المادية سيكون كالقابض على الجمر حتما

فما هي مهمة كل منا في نطاق هذه المهمة؟

مهمتنا أن نكون إضافة للحياة بأي قدر صغر أو كبر، كل على قدر طاقته، ومهمة كل منا أن يجتهد لتكون هذه الإضافة الإيجابية في مجال عمله وأسرته أولاً، فلو استطاع بعد ذلك أن يكون له إسهام في العمل العام فسيكون ذلك إضافة له في الدنيا والآخرة، وهنا ستقابلنا مشكلة تحديد الاتجاه الصحيح للأمام، فهناك من يذبح الأطفال وهو يحسب أنه يؤدي مهمة مقدسة ويدفع العالم للأمام، وهناك من يحرق ويدمر ويحسب أنه يجاهد ويدفع البشرية للأمام، فكيف نحدد الإتجاه؟

علينا أن نأخذ معيارنا من الآيتين السابقتين، كل ما يقلل الفساد في الأرض ويحقن الدماء ويطور في حياة البشر للأفضل، ويزيد من العمران، فهو في طريق الله، وكل ما يفسد أو يسفك الدماء أو يعرقل تطور البشرية فهو في طريق الشيطان



بيتك و عملك و مجتمعك هم
مجالك الحيوي لتحقيق ذاتك

ودعونا نضرب مثلاً متطرفاً لهذا، قد ترى إمرأة جميلة في شكل ونمط سلوكي مبتذل، فتثير بنفسك خيالات جنسية، وقد يجري في خاطرك أو على لسانك تعليق به بعض البذاءة على ابتذالها، وقد تراها هي ذاتها ولكن بشكل وقور مظهرا وسلوكا، فلا تقول إلا **"تبارك الله أحسن الخالقين"!**

ونفس الشيء صادق في الفن والأدب والفكر، منها ما يسمو بنا ومنها ما ينحط بنا، فمن كان موهوباً فلينظر أين يوظف موهبته لخير البشر كلهم أو بعضهم، والالتزام بنماء البشرية وتطورها سهل ميسور، فضلا عن كونه مهمة عادلة تكفل لكل من يجتهد في سبيلها قدراً وافراً من تحقيق الذات، فالمدرس الذي يغير في سلوك تلميذ بشكل إيجابي قد عمل عملا ضخما بتغيير حياة إنسان، والعاملة بفندق تضيف للبشر لو

هيأت الغرفة لنزيل ليرتاح فيعمل أفضل، والطبيب الذي يعطي حقنة مسكنة فيخفف وطأة الألم عن إنسان ليس أقل من جراح المخ والأعصاب الذي يجري جراحة دقيقة ليخفف معاناة إنسان، كلها أعمال جليلة يستحق من يقوم بها كل التقدير

ولمن يستشهد بالآية الكريمة "**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون**" (الذاريات:٥٦)، فيحسب أن العبادة هي هدف الخلق، نقول له أن العبادة حق الخالق على المخلوق وليست علة الخلق، فقد تقول لولدك: لم أنجبك إلا لتعينني، فهل نحن ننجب حقاً بنية إيجاد مساعدين؟ لا، لكن مفاد الجملة أن المعاونة حق الأب على ولده، كذلك الآية الكريمة تحدد حق الله على العباد، ومن حديث رسول الله ما يحسم الأمر، وهو قوله (ص) "**لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها**"، فهذا قول من يعرف أن أعظم ما يثاب المرء عليه هو كده في الدنيا وإضافته إليها، وذكر الله يقع في إطاره ذكرنا الدائم لمهمتنا فوق الأرض، فلو أعرضنا عن هذه المهمة تحق علينا الآية الكريمة "**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ أَعْمَى**" (طه:١٢٤)، وفقنا الله جميعا لما تطيب به نفوسنا، ويرضى عنا به الله جل وعلا

كلام في السياسة

"اللهم أعطنا القوة لندرك أن الخائفين لا يصنعون الحرية، و أن الضعفاء لا يخلقون الكرامة، و أن المترددين لا تقوى أيديهم المرتعشة على البناء"

جمال عبد الناصر





إلى أين يأخذنا درابزين الهوان؟

تدهور قدرة الفعل و رد الفعل العربية في الألفية الثالثة

صورة رجل أحمق يركب على درابزين السلالم ويتزلق، فيجد نفسه حين يصل إلى "بير السلم" يطير في الفراغ لحظة لا يلبث بعدها أن يسقط على مقعدته سقوطا لا يشتهيه، لماذا تراودني هذه الصورة كلما طالعتني الصحف ونشرات الأخبار بأنباء الهوان العربي اللامتناهي؟ وكلما اعتقدت أنه ما عاد هناك مجال لأدنى مما نحن فيه وأننا وصلنا إلى بير السلم وما بقيت غير لحظة على صدمة المقعدة، وجدت أننا مازلنا نهبط وأن هناك بئراً للسلم أعمق من الأول، كأن بئر سلم الهوان بلا قرار!

ركبنا هذا الدرابزين منذ ٣٥ عاماً بالتمام والكمال، منذ مباحثات الكيلو ١٠١ من طريق القاهرة السويس في الواحدة والنصف من صباح ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣، والتي أعقبتها مفاوضات فض الاشتباك الأولى ثم التوقيع على اتفاقية فض الإشتباك في جنيف بعد ظهر الثامن عشر من يناير عام ١٩٧٤، وقد نشرت بعض الصحف المصرية حديثاً وثيقة فض الاشتباك هذه، والتي بكى بسببها قائد هيئة العمليات ثم رئيس الأركان في حرب أكتوبر المجيدة الفريق أول "عبد الغني الجمسي"، بكى القائد الصلب كما قال في مذكراته من هول التفريط الذي وافق عليه القائد الأعلى للقوات المسلحة، الرئيس السابق "أنور السادات"، حيث فوجيء "الجمسي" بوزير خارجية أمريكا الداهية "هنري

كيسنجر" يخبره على مائدة المفاوضات أن "السادات" وافق بالفعل على سحب ١٠٠٠ دبابة وسبعين ألف جندي من سيناء، فسارع رئيس الأركان يتصل بالسادات الذي أكد موافقته مجهضا بهذه الموافقة أغلب انجازات العبور مقابل تصفية الثغرة غرب القناة، ليعيد الأمور عسكريا لما يقترب من نقطة الصفر! لهذا قال "الجمسي" أن اشتراكه في هذه المفاوضات هو أكثر ما ندم عليه في حياته، وانسحبت من سيناء بالفعل خمس فرق مدرعة مصرية عن أرض حازتها بالدم الغالي وبعد شوق السنين الطوال

وكان هذا هو نص الفقرة المتعلقة بالانسحاب:

سيتم فصل القوات العسكرية المصرية والإسرائيلية، بحسب المبادئ التالية:

(١) جميع القوات المصرية إلى الجانب الشرقي من القناة سيتم نشرها غربي الخط الذي سيتم تعريفه بالخط أ على الخريطة المرفقة، كل القوات الإسرائيلية، بما في ذلك تلك الموجودة إلى الغرب من قناة السويس والبحيرات المرة، سيتم نشرها إلى الشرق من الخط الذي سيتم تعريفه باعتباره الخط ب على الخريطة المرفقة

(٢) المنطقة بين الخطين المصري والإسرائيلي ستكون منطقة فض اشتباك سيتم حشد قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة فيها، وستستمر هذه القوة في التشكل من وحدات من البلاد التي ليست أعضاء دائمة في مجلس الأمن الدولي

(٣) المنطقة بين الخط المصري وقناة السويس ستكون محدودة فيما يتعلق بالأسلحة والقوات

(٤) المنطقة الواقعة بين الخط الإسرائيلي والخط الذي سيتم تعريفه بالخط ج على الخريطة المرفقة والذي يمتد على طول قاعدة الجبال، حيث يقع ممرا الجدي ومتلا، ستكون محدودة فيما يتعلق بالأسلحة والقوات

وتبين الخرائط فداحة الانسحاب المصري مقابل انسحاب الجيب الإسرائيلي من غرب القناة، كما يتضح لنا ضعف وضع القوات المصرية المتبقية شرق القناة بعد تنفيذ الانسحاب، فأصبح انجاز العبور مهددا، وبسبب هذا القرار اللحظي من "السادات" تداعت تنازلاته بعد ذلك حتى كان التنازل النهائي في "كامب ديفيد"، والتي نشير هنا إلى بعض النقاط المثيرة من موادها التسعة الأساسية، ونشير بين الأقواس إلى مضمونها المفرغ للقضية العربية

المادة الثالثة: يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول في وقت السلم، وبصفة خاصة:

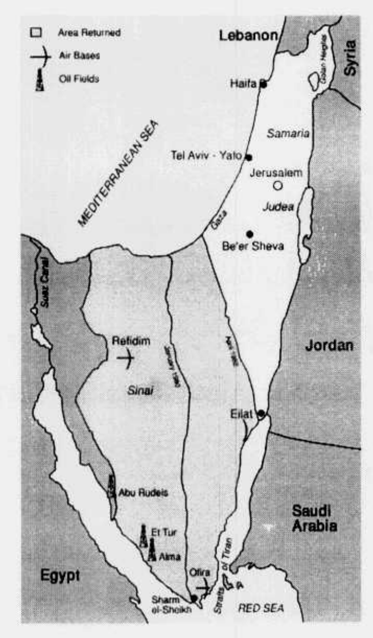
(١) **يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسي** (الاعتراف بإسرائيل كدولة ذات سيادة شرعية لأول مرة على أرض فلسطين)

(٢) **يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر في أن يعيش في سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها** (الإدانة الضمنية لأعمال المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال، تلك التي سماها إعلامنا لاحقاً بالأعمال الإرهابية في سابقة خلط أوراق غير مسبوقة)

(٣) **يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر، كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الإثارة أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أي مكان، كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة** (منع مصر من دعم المقاومة الفلسطينية واللبنانية بأي شكل)

(٤) **يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز**

ذات الطابع المتميز المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع، كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطني الطرف الآخر الخاضعين للاختصاص القضائي بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة، الطريقة التي يتعهد الطرفان بمقتضاها بالتوصل إلى إقامة هذه العلاقات (التطبيع الكامل والغير مشروط مع العدو التقليدي للبلاد)



مراحل الانسحاب الإسرائيلي من سيناء

المادة الرابعة: بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل، تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما في ذلك مناطق محدودة التسليح في الأراضي المصرية أو الإسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة، وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت في الملحق الأول ، وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يوقع عليها الطرفان (السيادة المنقوصة ، والخطر الدائم على الأمن القومي، فضلاً عن نقص السيادة

المعنوية المتمثل في قدرة أي مواطن يحمل الهوية الإسرائيلية بعبور الحدود وحتى وصوله لشرم الشيخ بدون احتياج لتأشيرة دخول مصرية، وكأنه يتنزه في الامتداد الطبيعي أو الحديقة الخلفية لإسرائيل)

المادة السادسة: مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزاماتهما الأخرى، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة (تحييد مصر وعدم التزامها بكافة اتفاقيات الدفاع العربي المشترك التي التزمت بها قبل توقيع معاهدة كامب ديفيد)

بمقتضى هذه الاتفاقية تنازلت مصر عن حقوق وواجبات تاريخية، فتنازلت عن جزأ من ترابها الوطني هو ميناء إيلات أو قرية أم الرشراش المصرية، كما تنازلت عن اكتمال سيادتها على سيناء ومضايق تيران وخليج العقبة والقناة كشرايين ملاحية، مما حجم قدرة الفعل ورد الفعل المصرية ليس على مستوى الدعم العربي فقط ولكن على مستوى الحفاظ على أمن مصر القومي، كذلك قبلت مصر دخول الإسرائيليين حتى شرم الشيخ بدون الحاجة إلى تأشيرة دخول مما يمثل انتقاصا لسيادة الدولة على أراضيها، وقبلت تحديد سيناء كمنطقة متروعة السلاح على الحدود مع العدو الاستراتيجي للأبد

أما عن التنازل عن دعم الموقف العربي فهو ليس فضلا تفضلنا به ثم منعناه، فالعروبة ليست نزوة عاطفية أو نعرة عرقية، ولكنها ارتباط مصائر تماما كالاتحاد الأوروبي، فهي حتمية إقليمية تربط مصر بدول المنطقة وتجعل من هذه الدول مجال مصر الاستراتيجي سياسيا واقتصاديا وعسكرياً، دون إخلال بمبدأ تحسين وتعميق العلاقات مع دول الجوار الغير عربية، كإيران والشعب الكردي، فليست العروبة كما أراها نعرة

عنصرية على طريقة البعث العراقي، ولكن آلية تقارب بين العرب داخليا وبينهم وبين الحضارات المحيطة بهم

التزمت مصر بتطبيع العلاقات مع عدوها التقليدي رغم أنف شعبها، فكان خلاف البابا "شنودة" مع الرئيس "السادات" أحد تداعيات التطبيع وأحد الأمثلة على شعور المصريين وقتها نحوه، حيث أراد "السادات" أن يرسل وفوداً لزيارة إسرائيل إعمالاً للتطبيع، ولكن من في مصر سيريد هذا؟ هنا نصحه "موسى صبري" بدعوة الأقباط لزيارة القدس، فوقف البابا موقفاً وطنياً رافضاً أدى إلى تداعيات ساهمت ومازالت في التوترات الطائفية التي نراها اليوم، فهل هناك هوان أكثر؟ ندعو شعبنا للحج لوجه اسرائيل تحت مسمى الحج لوجه الله؟ نعم، هناك هوان أكثر بكثير، فنحن مازلنا في أعلى الدرابزين!

اجتاحت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢م لتحتل قرابة ثلث أراضيه، فتدمر البنية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كان لبنان مأواها الرئيسي في ذلك الوقت بعد توتر علاقتها مع الأردن في أيلول الأسود، كما تمكنت اسرائيل من خلال مفاوضات غير مباشرة من اجلاء عناصر منظمة التحرير من أغلب الأراضي اللبنانية عدا بيروت، كل هذا ولم نحرك ساكنا، ثم حاصرت بيروت قوات صهيونية قوامها تسعون ألف جندي مع مدفعية الميدان والمدرعات والمجنزرات، ولم يكن في بيروت أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل بالسلاح الخفيف، ومع ذلك صمدت المدينة الأبية ٧٨ يوما أمام القصف المستمر والحصار، ماذا

فعلنا خلال هذه المدة؟ لم نحرك ساكنا حتى فتحت سوريا ذراعيها مرحبة بكوادر المقاومة الفلسطينية داخل أراضيها

ثم بدأت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧م بعد حادث داست فيه شاحنة اسرائيلية أربعة أطفال فلسطينيين فقتلتهم توا، وأجبرت الانتفاضة اسرائيل على الجلوس إلى طاولة المفاوضات، وفي عام ٢٠٠٠م تكررت انتفاضة الأقصى على إثر زيارة "آريل شارون" للمسجد الأقصى، كل هذا ونحن في مصر على أتم التزام بنصوص كامب ديفيد، فلم نحرك ساكنا و لم نرفع رأساً! تركنا أبطال الجنوب في لبنان يواجهون آلة الحرب الإسرائيلية وحدهم و لم نكتف بالصمت بل نقدناهم مراراً، و لم يمر شهر دون أن يراق دم، ونحن بعد على درابزيننا المفضل، لا تؤلمنا مؤخرتنا من طول الاحتكاك! وإن بليت ملابسنا فبدا عرينا للعالم جلياً!

في عام ١٩٩٠ حققت الولايات المتحدة هدفها التاريخي، بالوجود بقوات عسكرية في منطقة الخليج، فانجلت مغامرة "صدام حسين" عن قواعد أمريكية في قلب التراب العربي، بيانها هو:

- **قطر**: مشاة + مار ينز + قواعد جوية
- **الكويت**: مشاة + مار ينز + قواعد جوية + قطع بحرية
- **السعودية**: مشاة + قوات جوية + قطع بحرية
- **البحرين**: قاعدة جوية + قطع بحرية

- **الإمارات**: قواعد جوية

- **سلطنة عمان**: قوات جوية + قطع بحرية

- **جيبوتي**: قوات مار ينز

ثم حدثت الحادثة بغزو العراق في عام ٢٠٠٣ وسقوط قلعة الأسود، فزاد على هذا قوات متكاملة أمريكية وإنجليزية في كل من:

- **العراق**: مشاة + مارينز + قواعد جوية + قطع بحرية

- **تركيا**: قواعد جوية + قطع بحرية في المياه الإقليمية

ويستمر الهوان، وتخرج علينا فظائع التعذيب في سجن أبو غريب كتراجيديا مفزعة من الهوان العربي، عندما تحول أبناء العراق إلى مادة تسلية وترفيه للساديين، وأيضاً لم يرمش لنا جفن غضباً لعرض أو كرامة، ولم نرتعد إشفاقا على حقوق الإنسان التي أهدرت، واستمرت حالة الصمت متصلة بلا انقطاع!

وهكذا تزداد سرعتنا في التزلج كلما اقتربنا من الأرض وفقاً لما يسمى بعجلة الجاذبية الأرضية في الفيزياء، نزداد هواناً على العالم يوماً بعد يوم، فقد وضعنا سلاح الحرب ولم نجد الاستفادة من السلام، فلا نلنا بلح الشام ولا عنب اليمن، ومازلنا نقترب من الأرض، ولكن أين هي الأرض؟ أما لبير السلم من نهاية؟ فلابد لنا من إتمام المنحنى الهابط حتى يبدأ الصعود، وما يرهقني أن نهاية المنحنى الهابط لم تظهر على

مرمى بصري إلى الآن، أنظر للغد مستشرفاً، فلا أرى إلا المزيد من السقوط .. والمزيد من الهوان!



أبو غريب .. يا لهوانا على الدنيا!!

منطق المقاومة و منطق البغاء

عن حزب الله ونصر الله أتحدث

تركت خطبة الجمعة في مسجد مجاور لبيتي الجمعة الماضية وقمت مسرعاً وصت دهشة المصلين من حولي فمضيت لألحق بالصلاة في مسجد آخر، ولم أجد في موقفي أي غرابة، بل الغرابة برأيي كانت استمرار المصلين في سماع الخطبة التي كان خطيب المسجد يلقيها، أو قل يلقي بها فوق رؤوسنا! فصاحب الفضيلة، الإمام والخطيب المعين من وزارة أوقاف مصرية وليست إسرائيلية، المقيم في مصر وسط أهله ونسائه لا يرى حروبا إلا في نشرة الأخبار، كان يكفر السيد "حسن نصر الله" الأمين العام لحزب الله ويكفر معه مناضليه الواقفين اليوم على ثغور لبنان يردون عنه وعنا آلة الحرب الصهيونية المجنونة بغرورها، والمغرورة بجنونها، وقف الخطيب المفوه على المنبر مسترخياً، بينما جنود حزب الله يواجهون الميركافا ويقهرونها، صانعين ملحمة على الأرض، ليتهمهم المرتخي بالعمالة والكفر والشرك بالله! فلا نامت أعين الجبناء!

لا يعوزني تعريف بالسيد "حسن نصر الله"، فالرجل ملء السمع والبصر في زماننا، ولكن بكل الأسى والأسف، برغم بلاغة النصر المحقق بإذن الله على يديه وأيدي أبطاله من مقاتلي حزب الله اللبناني في ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦ وما قبلهما وما بينهما وما بعدهما إن شاء الله، إلا أن قوى الظلام النفط-ديني في بلادنا تأبى إلا تشويه كل جميل، فتلقي بالظلال على وجه المقاومة الشريف وبالريب حول مبعث الكرامة

العربية الوحيد في زماننا! لهذا لم أجد ما أكتب هنا، خيرا من حصر الإفك الذي تردده قوى الظلام، والرد عليه بكلمة الحق كما نراها، والله المستعان

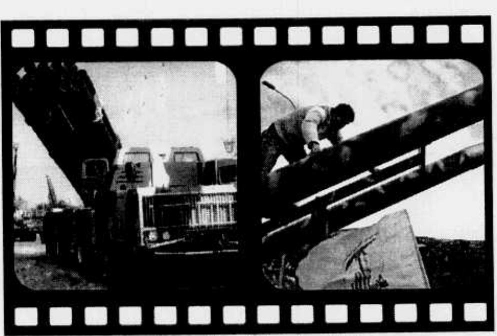
هل حزب الله حزب إيراني أو سوري الانتماء والهوية؟ وليس لبنانياً؟



الكوادر العسكرية لحزب الله اللبناني

أن تحارب مصر بسلاح سوفيتي ودعم لوجيستي سوفيتي في حرب النكسة وحرب العبور، فهذا لا يجعل الجيش المصري عميلاً للإتحاد السوفيتي، وما يصدق في هذه الحالة يصدق في حزب الله، فكل قياداته ومقاتليه وشهدائه طيب الله ثراهم لبنانيون، أما علاقته بسوريا فهي علاقة الرفض المشترك للمخطط الأمريكي المبني على شطب مركز

الثقل السوري من المعادلة اللبنانية ليسهل تفكيك وابتلاع لبنان أولاً، باحلال قيادات صديقة في مواقع اتخاذ القرار فيه، ثم تأتي سورية في مرحلة تالية لأن تركيبتها قد تقتضي تحريض انتفاضة من الأغلبية السنية ضد الرئيس العلوي تكون ذريعة لتدخل عسكري أمريكي مباشر، يتم على إثره قلب نظام الحكم فيها ووضع عناصر صديقة للولايات المتحدة في مواقع اتخاذ القرار



مصدر السلاح و الدعم المالي و اللوجستي الإيراني
أو السوري لا ينفي الهوية اللبنانية لحزب الله

أما العلاقة بين حزب الله وإيران فيحكمها عنصران، أحدهما العدو المشترك الأمريكي الذي فقد السيطرة على إيران النفطية ذات الموقع الحاكم منذ قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م، وخلال ما يقرب من ثلاثة عقود لم يزد النظام الإيراني إلا مروقا برغم التحرش المستمر والحصار الاقتصادي، حتى أمست إيران اليوم تتطلع لدخول النادي

النووي في هذه المنطقة الساخنة من العالم وقد كثفت الولايات المتحدة بضغطها المستمر على القوات الأمريكية في العراق

أما العنصر الثاني، فهو المرجعية الدينية على المذهب الشيعي الإمامي، حيث يمثل آيات الله في حوزة قم الإيرانية وحوزة النجف الأشرف العراقية سقف المرجعية الشيعية في العالم، ولا نرى في هذا موقفا غريباً ولا مؤامرة شيعية كما يدعي البعض! فكل الشيعة العرب مرتبطون بإيران والعراق، ولا نرى في ذلك غضاضة، فهل معنى أنني مسلم سني أحج لبيت الله في مكة أني عميل للسعودية ضد مصر؟ وهل العراق ضالعة في المؤامرة حيث يحج الشيعة من كل حدب وصوب للعتبات المقدسة بها؟ وهل طائفة البهرة عملاء لمصر لأنهم يزورون مراقد أهل البيت بها؟

علاقة الحزب بإيران هي علاقة يحرص قادته على عدم مساسها بسيادة لبنان ولا بتميز الحزب كجهة اعتبارية مستقلة، وهي بكل الأحوال، علاقة أكثر شرفا وأقل انتهاكا للسيادة من استضافة دول عربية لقواعد أمريكية في أراضيها، أم أن استعانة الخليجي بالأمريكي سنة واستعانة اللبناني بالسوري والايراني كفر؟

هل جلب حزب الله الخراب للبنان من أجل تخفيف الضغط على سوريا؟ وهل كان خطف جنديين إسرائيليين مبرراً كافياً لاستشهاد ٤٧ لبناني مع تخريب البنية التحتية اللبنانية؟

هذا ادعاء لا أستطيع أن أفترض فيمن يدعيه حسن النوايا! فهو يحتوي على مغالطات قد تضلل المتابع السطحي للأمور فتلبس له الحق بالباطل، لكن ما من مدقق في متابعة الصراع العربي الصهيوني يقبلها، أما هذه المغالطات فهي:

(١) المقاومة اللبنانية لم تأخذ زمام المبادرة لتخفيف الضغط عن سوريا، فالسبب في عملية الوعد الصادق اللبنانية هو توغل دبابة إسرائيلية في الأراضي اللبنانية المحررة، فإسرائيل إذن هي من حدد الوقت وقرره، ورحم الله زماناً كانت فيه مساندة دولة عربية لأخرى فخراً وكان توحيد الصف شرفاً، وليرحمنا الله في زمان أصبحنا فيه ننفي مساندة دولة عربية لأخرى كأنها جريمة!

(٢) محاولات أسر جنود إسرائيليين مستمرة منذ عام ٢٠٠٠ بهدف مبادلتهم بأسرى وسجناء لبنان في سجون إسرائيل، فضلاً عن أخذ الحزب على عاتقه تحرير بعض الرموز الفلسطينية الأسيرة، فهي لم تكن عملية مخصصة لهدف سياسي ولكنها محاولة نجحت في إطار حرص مستمر على أسر عناصر صهيونية

(٣) حزب الله جلب للبنان نصرا رائعا وليس خرابا، نصر الصمود واجبار العدو على التراجع دون تحقيق أهدافه العسكرية التي حددها عند بدأ العمليات، لقد صمدت مصر عام ١٩٥٦ وكان صمودها نصراً لأن الدول الثلاث المعتدية لم تحقق الهدف من العدوان وهو قلب نظام الحكم والغاء قرار التأميم، وصمدت لبنان

عام ٢٠٠٦ وكان صمودها نصراً لتراجع اسرائيل دون تحرير الأسيرين أو تحديد مصيرهما ودون تفكيك البنية التحتية لحزب الله، وهي الأهداف التي أعلنتها على العالم عند بداية العمليات، فكان النصر للشعب اللبناني الصامد بغض النظر عما خسره، فالخسائر حتى البشري منها محدودة لو قورنت بكرامة واستقلال شعب، وماذا يبقى لشعب فقد الكرامة؟

حقيقة وقحة تواجهني اليوم وأنا أفكر في كل ما قيل لانتقاص النصر اللبناني، حقيقة المنطق الذي تفشى مع بداية التقهقر العربي الذي كانت مصر "السادات" بكل أسف رائدة فيه، منطق تحقيق الرخاء الاقتصادي (لم يتحقق أبداً) مقابل تنازلات أخلاقية والتخلي عن ثوابت الكرامة الوطنية هو منطق أقرب لمنطق البغاء، فما الفارق بين المومس والمرأة الشريفة غير تفريط المومس في كرامتها وشرفها مقابل عائد اقتصادي؟

وقياس نتائج الحروب بالحسابات الاقتصادية هي بدعة ابتدعناها على عهد كبير العائلة المصرية حين قال: تعبنا، نرتاح بقى ونشوف لنا يومين! فخرجنا على يديه من جبهة المواجهة العربية ضد الصهيونية لننشأ جبهة المهادنة مع الصهيونية، والتي تبعنا إليها آخرون، فاختلت بخروجنا معادلة القوة وأصبحت اسرائيل أقل اكتراثا بالجميع، فغدا اجتياح لبنان ممكناً وغدت غارة ٢٠٠٦ الغاشمة ممكنة!

فعلينا نحن كمصريين تحديداً أن نتوقف عن الحديث بلهجة الأخ الأكبر التي صدعنا بها العالم العربي، وقد توقفنا عن دفع رسوم هذا

الدور منذ ٣٣ عاما كاملة، فقد كان العرب يقبلون ريادة مصر يوم كانت رائدة بحق و لم يكن هذا محل تشكيك من أحد، فلماذا نغضب اليوم عندما يهزأون من حديثنا عن الريادة؟ أليس الحق أحق أن يتبع؟

هل يمثل حزب الله الشيعة فقط في لبنان؟ هل هو حزب طائفي؟

كان الاسم الأول الذي انتواه "عباس الموسوي" لحزب الله هو حركة أمل الإسلامية، وكان الهدف ألا يقتصر الحزب على الشيعة بل يضم معهم السنة والدروز لمقاومة العدو المشترك، ولكن الحزب تأثر بانتقال كوادر حركة أمل الشيعية إليه لتغلب عليه الصفة الشيعية، ولكنه في شأن المقاومة يضم تحت فصائل المقاومة اللبنانية السني والمسيحي والدرزي جنباً لجنب مع الشيعي، ومن فضائل هذه المعركة أنها زادت من توحد الصف اللبناني على عكس الرهان الأول للعدو، وهو انقلاب المجتمع اللبناني على الحزب خاصة والشيعة عامة، فتقوم فتنة من جديد يلتهي بها لبنان لسنوات، فباء مكرهم بالفشل أمام الذكاء الجمعي للشعب اللبناني الرائع دائماً في مواجهة الشدائد

هل يسب "حسن نصر الله" الصحابة و الخلفاء؟

مذهب "حسن نصر الله" هو المذهب الإمامي الجعفري، والجعفرية منهم من يرتكب هذا الذنب الكبير ومنهم من يتورع عنه، أما بخصوص "نصر الله" تحديدا، فلست أدري لو صح هذا عنه أم لا، فلو

صح عنه لكان حوباً جسيماً، لكن من مصلحة من فتح هذه الأبواب اليوم؟ من مصلحة من شق عصا الأمة وزيادة الجفوة؟



بورتريه لحسن نصر الله بكتابة آيات قرآنية بخط النسخ،
رسمه فنان خطوط من معجبي القائد اللبناني

وفي النهاية، ظني بالسيد "نصر الله" أنه لو لم يكن أكثر ورعا من أن يسب الشيخين، فهو على الأقل أكثر ذكاء من أن يرتكب هذا فيفقد التأييد الكبير الذي حازه من العالم السني، فلا أظن هذا الأمر إلا مفترى عليه

هل هناك مؤامرة شيعية تهدف لتسود الفرس على العرب؟ وهل "حسن نصر الله" وحزبه هم الطابور الخامس العربي في هذه المؤامرة؟ خاصة بعد تصريحات الشيخ "يوسف القرضاوي" الأخيرة؟

هذا الادعاء مضحك مبكي، تصورت وأنا أقرأه أننا عدنا عدة قرون للوراء، الشيعة يبتلعون العالم الإسلامي السني ليسوموننا سوء العذاب؟ ألم يحدث هذا يوما على يد الفاطميين؟ وهل كانوا أقل أو أكثر تجبراً وتسوداً عن غيرهم من خلفاء عباسيين وأمويين؟ بالطبع لا، بل أن التاريخ يشهد أنهم لم يرتكبوا من الفظائع كما فعل الأتراك السنة الأحناف بالجميع! فأبناء "عثمان طغرل" هم من ساموننا في خلافتهم سوء العذاب بحق! أما الأكثر فكاهة فهو موضوع الفرس والعرب هذا، فكيف يستقيم هذا الادعاء مع ذاك؟ لو كانوا مسلمين شيعة فهم لا يؤمنون بالتمييز العنصري بين الأجناس، فكل أئمة الشيعة الاثني عشر عرب من ولد عدنان ومن عترة المصطفى؟ ولو كانوا فرساً موتورين، فكيف يكونون من المصدقين بنبي العرب وبأمير المؤمنين "علي" وهم من قاد الحركة العربية التي أسقطت المملكة الساسانية؟ القول بالتشيع مع القول بالشعوبية لا يستقيم يا سادة. فلا ترددوا أقاويل المرجفين ترديدا آليا بغير تفكر وتدبر! ولا تحاولوا أن تطفئوا نور الله بأفواهكم! وليكن حزب الله عندكم على الأقل أحب وأقرب من إسرائيل!

سأفترض جدلاً أن حزب الله عدو لنا، فهل من الخطأ أن أضع يدي بيد عدو ثانوي حتى نواجه معا عدوا مشتركاً هو أخطر أعدائي؟ فإذا تجاوزنا هذا الخطر، ونصرنا الله عليه معا، نصفي ما بيننا من عداوة؟ ألم

يحارب الأمريكيون والسوفييت جنباً لجنب ضد الخطر النازي؟ وحارب الإنجليز والفرنسيون جنبا لجنب ضده كذلك؟ مالكم كيف تحكمون؟ ما طبكم؟ ما دواؤكم؟ يا أشباه العقول ولا عقول!



صورة للشهيد "هادي نصر الله" بجوار والده

قصة مارشال عجوز

محاولة لتعلم درس التاريخ

قال عنا "موشي ديان" رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق والمعروف بسعة إطلاعه: مشكلة العرب أهم لا يقرأون، وإذا قرأوا لا يستوعبون! قول مؤلم، وأكثر ما يؤلم فيه أنه صحيح، فبغض النظر عما في قوله من تعميم، لكنه يصدق في شأن بعض الحكام العرب على الأقل، فنادرا ما يقرأ حكامنا التاريخ أو حتى يُقرَأ عليهم التاريخ، ولو حدث فعرفوا منه شيئا لا يستوعبون عظاته ودروسه، فلا يستفيدون منها على الأقل في تجنب الخطايا التاريخية الكبرى التي أوقعونا فيها خطيئة تلو أخرى

فبرغم أن دروس التاريخ تقول أن من يشعل نار التطرف الديني يفقد السيطرة عليها ويحترق بها، أشعل "أنور السادات" هذه النار ليطمس بها المد القومي في عهده، فطمست المد القومي ثم طمسته هو شخصياً بالاغتيال، وبرغم أن دروس التاريخ تقول لنا، أن كل الأبطال المناضلين الذين ندرس سيرتهم اليوم، قال عنهم في حين من الدهر أنهم إرهابيين خارجين عن القانون، بل وأحيانا مختلين عقليا مثل "جان دارك"، إلا أننا مازلنا نقع في شرك أعدائنا ونسمي مناضلينا ضد إسرائيل بالإرهابيين! في محاولات لإرضاء العارف بالله ساكن البيت الأبيض! الذي يحج الحكام العرب لحماه في رحلة الربيع من كل عام!

ربما لتقديم تقارير العام الماضي، والحصول على توقيعه على خطط العام المقبل!



لليمين: بيتان بطلا في الحرب العالمية الأولى
لليسار: بيتان شيخاً في الحرب العالمية الثانية

في حلقة جليلة الموعظة من حلقات التاريخ الإنساني، خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠م، عين رئيس الوزراء الفرنسي "بول رينو" كلا من المارشال "فيليب بيتان" والمارشال "ماكسيم ويجاند" والبريجيدير "شارل ديجول" على رأس هيئة أركان الحرب الفرنسية، آملا أن يحقق بهم إعادة بناء الجيش، خاصة البطل الشهير "بيتان" الذي كان بطلا قوميا زمن الحرب العالمية الأولى يعرفه الفرنسيون ويثقون في بطولته، لكن ما حدث كان العكس تقريبا!

فبعد الهزيمة فيما عرف في التاريخ الأوروبي بمعركة فرنسا، استقال "رينو"، واختلف "ديجول" الذي كان يرى استمرار فرنسا في الحرب من مستعمراتها الأفريقية مع "بيتان" الذي رأى التسليم حقنا لدماء

الشعب الفرنسي، بعدها عين "بيتان" رئيسا للوزراء ثم رئيسا للجمهورية مكلفا بالتفاوض مع الألمان، وحدثت المفاوضات، فكان متعجلا للوصول لاتفاق بأي ثمن، فأعطى المفاوض النازي كل ما أراد، ووقع مع الألمان اتفاقية وقف إطلاق النار واستسلام فرنسا في ٢٢ يونيو عام ١٩٤٠م، وتنازل بمقتضاها عن باريس عاصمة النور! لتنتقل العاصمة إلى قرية فيشي في الريف الفرنسي وتدفع فرنسا جزية عسكرية تغطي نفقات جيش النازي المحتل!



الشعب الفرنسي يبكي مع عودة بقايا جنوده
من الميدان بعد الهزيمة في معركة فرنسا

وتحت مسمى الواقعية السياسية، تعاون "بيتان" المذعور لأقصى حد مع قوات المحور في حربها ضد جيوش الحلفاء، حلفاء فرنسا بالأمس القريب، في خيانة واضحة لوطنه، ثم تدهور الوضع أكثر حين كون البطل السابق ميليشيا مسلحة هدفها قمع حركات المقاومة الفرنسية ضد النازي، إنها الواقعية السياسية بلا حدود وبلا شرف أيضاً، كأن

بطل الحرب السابق أصاب كبرياءه وهن الشيخوخة وترهلت عزيمته فتحول من بطل إلى خائن في كرسي الحكم!

الرجل الذي قال لا

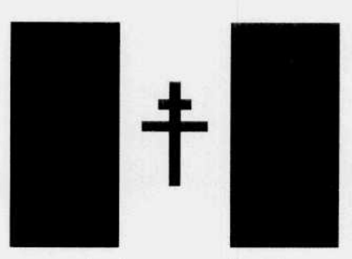


شارل ديجول ، بطل فرنسا خالد الذكر

في ذلك الوقت كان هناك رجل آخر يقف موقفا مغايرا وخارجا عن الإطار الذي وضعه بطل الحرب والاستسلام "بيتان"، هو البريجيدير الغير واقعي تماما والحالم إلى ما لا نهاية "شارل ديجول"، كان البريجيدير المفعم بالشباب رافضا لواقع الهوان الذي ارتضاه "بيتان"، ومن خارج

أرض فرنسا، من الجزيرة البريطانية المقابلة لها، انطلق صوته من قناة "بي بي سي" الإذاعية يطلب من الشعب الفرنسي الصمود مع الحلفاء، بعد أن انهارت حكومته المذعورة فوضعت يدها بيد عدوها وخانت حلفاءها!

وبهذا انطلقت حركة فرنسا الحرة الشهيرة، والتي اتخذت من علم فرنسا شارة لها بعد أن أضاف إليه "ديجول" رمز صليب اللورين المرتبط في التراث الفرنسي بعذراء اللورين "جان دارك" ونضالها العسكري العظيم، وانضمت جيوش فرنسا في مستعمراتها الأفريقية لفرنسا الحرة رافضة للهزيمة وخارجة عن طوع حكومة فيشي الخائنة، مما كان له جليل الأثر في دعم الحلفاء معنوياً على الأقل



علم فرنسا الحرة و بمنتصفه صليب اللورين

وقتها، كان "بيتان" الواقعي، العائش على أمجاد الماضي والعاجز عن تحقيق أي مجد جديد، يصف "ديجول" بالتهور والمغامرة! لكن موازين الثقل تغيرت في الحرب مع دخول الولايات المتحدة في الصراع، وانتصر

الحلفاء في النهاية، وهذا المغامر وحركته الغير واقعية جعلا فرنسا تحضر مؤتمر الصلح كدولة منتصرة رغم أن جيوشاً أمريكية هي التي حررتها واقعيا، لكن وجود عزيمة فرنسية تمثلت في حركة فرنسا الحرة وقائدها الأسطوري ورجال مقاومته القلائل وجنده في أفريقيا، منحت فرنسا كرامة غطت على انهزامية العجوز "بيتان" الذي حوكم بتهمة الخيانة العظمى بعد الحرب لتعاونه مع العدو النازي، وحكم عليه بالإعدام ثم خفف "ديجول" الحكم للسجن المؤبد بسلطاته الدستورية

واقعية اليوم هي خيانة الغد

أرانا نرتدي في مجملنا شعوبا وقادة، قناع الواقعية اللانهائية الذي ارتداه "بيتان"، فنقبل بالهبوط من الحلم القومي العربي إلى الأمان الإقليمي الزائف، نوفر للأمريكان قواعدا عسكرية بلا عدد في أراضينا، ونمول إسرائيل بالطاقة التي تحتاجها لإحكام قبضتها على جزء من وطننا بأسعار مدعمة، كأنها إتاوة كتلك التي دفعتها حكومة فيشي للمحتل، ثم لا نكتفي، فنصف حزب الله بالتهور والمغامرة تارة وبالكفر تارة وبالعمالة والخيانة تارة!

خلاصة درس التاريخ الذي نذكر به أصحاب الجلالة والفخامة هنا، أن ما نصفه اليوم بالواقعية السياسية، سيأتي جيل بعدنا يسجله في كتب التاريخ باسم الخيانة القومية، وما نسميه الآن جنوحا للسلم سيوصف يوما بالاستسلام، واسم المتهور المغامر اليوم سيسجل يوما بأحرف النور في كتب التاريخ ويعلو ذكره ليعلمه القاصي والداني كما علا

ذكر "ديجول"، بينما الواقعي جداً "بيتان" مات ذكره يوم مات، فبعض الشباب الفرنسي اليوم لا يعرفه، لأن الشعوب الحرة تكره الهزيمة وتكره من يذكرها بكبواها، تكره الشيوخ التي ملأها الشروخ بتعبير "أمل دنقل" رحمه الله، فلم يتبق من الرئيس الواقعي غير استخدام لفظ البيتانية (Pétainism) للتعبير عن الانهزامية، خلود بالعار! أما "ديجول" فيذكره الفرنسيون عادة باسم الجنرال "ديجول" أو "شارل" العظيم! والذي أسس الجمهورية الفرنسية الخامسة بعد الحرب، وحكم كرئيس فرنسا المنتخب من ١٩٥٨م إلى ١٩٦٨م

فلا تطمئنوا كثيرا يا أصحاب الجلالة والفخامة لما يبدو لكم حكمة وواقعية اليوم، فالتاريخ تكتبه أحلام كبار الرجال وليس واقعية رجال الأعمال، حتى لو كان الاقتصاد من أهم محركاته، فصناعة التاريخ هي حرفة الحالمين والمبدعين ومحبي الحياة، والخلود لا يحوزه غير المقاتلين الشرفاء، وإن حاز صغار النفوس المال والجاه والسلطان

المقص ولا السكينة؟

مصر بين الوطني والإخوان

سولت لي نفسي مساء أمس أن أفعل أمراً لا أفعله إلا نادراً وهو مشاهدة التليفزيون، أغرتني بذلك حلقة من مسلسل ما لبثت أن انتهت لأعبث بالقنوات حتى أرى المرشد العام لجماعة الإخوان المحظورة السيد "مهدي عاكف" في مؤتمر صحفي، وكعادة النفس أمارة بالسوء، وضعت الريموت جانبا لأسمع ما يقوله الإخوان عن خوض انتخابات المحليات بقرابة الستة وأربعين مرشحاً، يقول نائب المرشد أنهم سيخوضونها بشعارات مغايرة للشعار التقليدي للجماعة: الإسلام هو الحل، وسيحل محله شعارات أكثر تحديدا ومرتبطة بالمحليات، كلام جميل وتحسن ملحوظ، لكنهم بين كل كلمتين لم يبخلوا علينا بالتباكي المعروف والمألوف عن الاعتقالات والجماعة المضطهدة والدولة التي تحيك ضدها المؤامرات، من إصدار قوانين خاصة لحجبها عن العمل السياسي، لتزوير الانتخابات، .. إلى آخر القائمة الإخوانية المعهودة!

ضحكت ملء فمي وأنا أستمع لحديث السيد "مهدي" والدكتور "محمد حبيب" حول اضطهادهما، وأتساءل؟ لو أنكم مضطهدون ومقاومون من الدولة، فأنى لكم بهذا المؤتمر وتلك اللافتات والمنصات والفضائيات؟ ألا يحدث هذا في مصر؟ أكل هذا ليس معلوما ومصرحا به من الدولة وتحت سمع وبصر أجهزتها الأمنية؟ أم أن هذا المؤتمر الحافل يذاع من كابول مثلا؟

أضحكني أكثر بيان الجماعة المنشور على موقعها! والذي نصت فيه على أنها ترى في خوض الانتخابات واجباً دينياً، فكان لي سؤال بريء: وعندما قاطعتم من قبل، ألم تكونوا على دراية بهذا الواجب الديني؟ أم أن هناك تحديثات دينية تصلكم وحدكم ونحن لسنا على علم بها؟ أستغفر الله العظيم، كعادتكم تجدون غطاءً شرعياً لكل موقف وكل فعل؟ فإذا خضتم الانتخابات كان خوضها واجبا دينيا، وإذا قاطعتم أصبح التصويت من الكبائر؟ لماذا لا تقولون ببساطة أنها السياسة بمناوراتها؟ تقتضي هذا حينا وذاك حينا؟ لماذا تصرون على إضفاء طابع القداسة الدينية على تصرفاتكم الغير مقدسة؟ والغير متزهة عن الغرض؟

أما المضحك المبكي فكان عرض الإخوان على الكنيسة ترشيح ألف قبطي على قوائمهم، وهو عرض رفضته الكنيسة بسبب موقف المرشد السابق "مصطفى مشهور" من الأقباط وموضوع الجزية المشهور، ما شاء الله! جماعة دينية تعرض تحالفا انتخابيا على بطريرك! أين نحن بالضبط؟ هل عدنا للقرون الوسطى؟ الجهتان المتفاوضتان ليس لهما كيان سياسي ولا حيثية تفاوض عن أحد؟ لا الإخوان ولا الكنيسة! فليس أي منهما حزب قائم ليتم بينهما تحالف انتخابي! لكن بما أننا في زمن تضيع فيه الهوية القومية والوطنية لصالح الهوية الدينية فقط فلا عجب، وبما أننا في بلد يعتبر الفصل بين السياسة والدين كفراً، فليتجاذبوا ويتنافروا ما شاء الله لهم ذلك!

اعتاد البعض في مصر أن يبرر ميله للإخوان وتعاطفه معهم بكراهيته للحزب الحاكم على طريقة المستجير من الرمضاء بالنار، وهو بهذا

يتجاهل الرابط الوثيق بين الحزب الحاكم والإخوان في علاقة جدلية معقدة يصبح كل طرف فيها عنصرا حيويا للطرف الآخر، أما حيوية كل منهما للآخر، فالوطني يدعم شرعيته بالسيطرة على الإخوان، والإخوان يدعمون شعبيتهم بإدعاء اضطهاد الوطني لهم، تعالوا نرى عن قرب

الوطني وسياسة عفريت العلبة

لجماعة الإخوان المسلمين التي تحب الحكومة أن تسميها محظورة فوائد لا تحصى ولا تعد لتلك الحكومة ذاتها، فموضوع محظورة هذا مجرد إسم دلع للإخوان تدللهم به الدولة على صفحات الجرائد القومية، أما في أرض الواقع، فأين الحظر؟ لهم مقرات معروفة وهيكل تنظيمي معلن ولقاءات هنا وهناك، فهي موجودة أكثر من الأحزاب وليست محظورة، وليس من مصلحة الحزب الوطني أن تحظر فعليا، فهي بوضعها هذا تمثل صمام أمان للحكومة، فتلعب دور البعبع أو عفريت العلبة

إذا زادت ضوضاء المثقفين وحركاتهم مثل حركة كفاية في الداخل، يفتح النظام العلبة ليقفز شبح الإخوان في وجه النخبة المثقفة، والتي تخشى يوما يصبح فيه الإخوان في السلطة فيخلعوا قناع الاعتدال لتسود شمولية ثيوقراطية تتضاءل بجانبها محاكم التفتيش! ولو تعاظمت الضغوط الدولية لدعم الديمقراطية من الخارج، تفتح العلبة كذلك، وينط نفس العفريت في وجه المجتمع الدولي، موجها رسالة صارخة مفادها: الديمقراطية هتجيب دول! كما حدث بعد المرحلة الأولى في انتخابات

مجلس الشعب الأخيرة، فيتراجع المجتمع الدولي خوفا من التعجيل بخلق بؤرة إرهابية جديدة في مصر كبؤر أفغانستان والعراق، وهذا هو الدور الذي لأجله يفتح النظام شهية الإخوان تارة ويضرب على يدهم تارة

أنا لا أنكر الاعتقالات ولا بعض نماذج الاضطهاد، لكن الإخوان أيضاً لا يجب أن ينكروا بعض الأيادي البيضاء للوطني منذ نهايات التسعينات، فالهامش المسموح لهم باللعب فيه أصبح كبيرا جدا لو قارناه بأي فترة سابقة عدا أوائل السبعينات، فلهم حرية الاتصال ببعضهم وحتى بمن يعتقل منهم، وليس هناك أي تضييق على تدفق الأموال من الخارج، ولا تقييد لعمليات غسيل الأموال من خلال تجارة التكنولوجيا وغيرها، وهذان هما العنصران الجوهريان لحظر أي فصيل سياسي فعليا، ضرب اتصالاته وبنيته التمويلية، فلو غابا فلا حظر ولا يحزنون! فالنظام أحرص على استمرار وازدهار الإخوان مما يظنه أغلب الإخوانيين، فعلى جسرهم، أو جسر عدم الرغبة فيهم محليا وعالميا، يتحقق له الكثير

الإخوان ولحن الاضطهاد

حين نفكر في شعبية الإخوان المسلمين ونبحث أسبابها نجدها عديدة متشعبة، يأتي على رأسها رسالة دعائية سهلة وصعبة النقد في آن معاً، فشعار الإسلام هو الحل، يضعهم في نظر جموع الشعب موضع الخلفاء والوارثين للمجتمع الإسلامي الأول، المجتمع الذي يسمع عنه الناس في خطبهم ويقرأون عنه في كتبهم كمدينة فاضلة، وهم في دعايتهم لا

يكتفون بمجتمع الصدر الأول لكنهم يسحبون عباءة المجتمع الفاضل على جميع الخلافات وكل من تسمى بلقب خليفة رسول الله، بداية من الأمويين وانتهاء بخلافة تركيا العثمانية، وحين تقول لهم أن العثمانيين لم يكونوا خلفاء إلا بالاسم وفاقت مظالمهم وفظائعهم في مصر وسوريا وجبل لبنان فظائع الإنجليز والفرنسيين، يقولون أنها لو افتقرت للعدل فقد كانت تحفظ لنا العزة والكرامة! وبغض النظر عما في أقوالهم تلك من كذب وتدليس، إلا أنها مقبولة مستساغة عند جموع المصريين، الجموع التي تعاني تحت وطأة الفساد والفقر، كما أن النمط الثيوقراطي في خطابهم السياسي يضع من يعارضهم في موقف حرج، فهم يصورون الأمر كما لو كان يعارض الإسلام ذاته، وليس موقفهم وفهمهم للإسلام، ومن الميسور بعدها اتهامه بإنكار المعلوم من الدين بالضرورة حتى وإن لم ينكر، والباقي معروف!

أما ثاني عناصر الشعبية فهو وتر الاضطهاد، حيث اعتادوا الترويج لأنصاف الحقائق على أنها حقائق كاملة، فمثلا "سيد قطب" لم يعدم لضلوعه في مؤامرة اغتيال ولكن لأنه مفكر إسلامي، و يتناسون أن ثلاثة منهم كتبوا عن هذه المؤامرة محددين التواريخ والأشخاص وأطراف المؤامرة، كذلك تراهم يتفننون في وصف الاضطهاد الناصري وينسون أن حكومات الاضطهاد الحقيقية كنظام البعث في سوريا، لم تتح للإخوان فرصة الخروج من الوطن والانتشار لجمع المال والأتباع في دول النفط كما حدث في الستينات، بل قضت على شأفتهم، وكان بإمكان الحكم الناصري القضاء عليهم وقتها، وكانت له القاعدة

الشعبية التي تحميه وتدعمه، لكنه لم يفعل كراهية للدم المصري أن يراق في صراعات داخلية مهما بلغت حيويتها، المهم أن وتر الاضطهاد هذا الذي يجيدون اللعب عليه وتنويع النغمات به وفر لهم غطاء من التعاطف الشعبي، ووفر لهم صورة المناضل الشهيد من أجل مبادئه

وحين زادت جرائم وحماقات الجماعات التي خرجت من تحت عباءة الإخوان من القطبيين فهابطا، وبدأ هذا يؤثر في قبولهم عند الناس، أضاف الإخوان وترا جديدا هو وتر الاعتدال، وتر مصطنع وغريب على نسيجهم، فتراهم يقولون أنهم يناصرون حقوق الأقباط وكانوا بالأمس يريدون منهم دفع الجزية، قالها "مشهور" صريحة مباشرة قبل أن تقوم ضده الدنيا فيتراجع على طريقة "القصري" وهو يقول: معلش، هتنزل المرة دي، وتسمعهم يدَّعون تأييد حقوق المرأة وهم مازالوا ليومنا هذا لا يقبلون تصويت الأخوات في تنظيمهم الداخلي! وتسمعهم يقولون في برنامجهم الانتخابي لعام ٢٠٠٥ أنهم ينبذون العنف اعتداء على حقوق الآخرين، كأنهم يعدون ليوم يستخدمون فيه العنف للحصول على ما يظنونه حقهم، وهو ليس بالضرورة حقهم! لأن مرجعيتهم المطاطة تجعل من كل شيء لهم حقاً، واستعراض الميليشيا في حرم جامعة الأزهر مازال ماثلا في الأذهان، ميليشيا في حرم جامعي! لو أنهم لم يكونوا محظورين قبل هذا الحدث، لاستحقوا الحظر بسببه!

ثم تسمعهم يقولون أنهم حريصون على إقامة دولة دينية مدنية، في خلط واضح، نتج عن الخلط الأساسي لديهم بين حياة المسلم في دولة

مدنية ومجتمع مسلم، وحياته في دولة دينية وهو ما لا يوجد به نص في دين الله ولا يوجد له منطق يبرهن عليه، ويروجون لكلمة لا أصل لها وهي أن الإسلام دين ودولة كأنها قرآن لا مساس به! بينما الحق أن الإسلام دين ومجتمع، وشتان بينهما، باختصار، تسمع كلام الإخوان تصدقهم ثم تري أحوالهم فتعجب!



البلطجة داخل حرم جامعة

وأنا لا أظن بهم الجهل بالدين، ولكني أظن بهم الغرض في الدين، يأخذونه مطية للسلطة، وفي هذا قال عنهم مؤسس الجماعة الأستاذ "حسن البنا" رحمه الله، واصفا عشاق السلطة من جماعته **"ليسوا إخوانا ولا مسلمين"** فكانت مقولة مؤسسهم أصدق ما قيل فيهم

وغني عن الذكر أن دعاياتهم كلها تصبح بلا قيمة لو فقدوا صفة المحظورة تلك، سيصبحون في نظر الشعب حزبا مثل بقية الأحزاب الهيكلية، فأخبار الاعتقالات عشية كل انتخابات لو لم تحدث لاخترعوها اختراعا، لأنها تمثل فلفل الطبخة، حتى يشعر المواطن المقهور حين يعطي صوته للإخوان أنه يفسد مخطط الحكومة ويهدر

اضطهادها لهم، وهو شعور يحرص عليه كل مقهور ضد من يقهره، ولو كان في مصر اليوم نظام مدني كامل لما وجدوا فسادا يدعون مواجهته ولما لاقوا اضطهادا يشحذون به همم الناس، لأنهم في ظل مجتمع مدني سيمارسون حقوقهم السياسية في إطار سيادة القانون



إرهابي مجهول الهوية يحمل بندقية في مصر

بإيجاز، لو قام مجتمع مدني كالذي يتحدث عنه الإخوان في مصر ستنتهي أسطورة الإخوان، لأن أسطورهم مرة طبيعية للجهل الاجتماعي والممارسات النصف ديمقراطية!

لا

مقدس هو الرفض



مقدس هو الرفض لكل باطل، عظيم هو الاعتراض بكلمة الحق، جليلة هي لفظة **لا**، تلك التي لولاها للبثنا في الكهوف وعلى فروع الشجر، فعندما قال الإنسان الأول لا لقسوة الطبيعة بدأ مشوار الحضارة، وعندما قال لا للفوضى ظهرت الدول والأمم، وعندما قال لا للمرض والموت ظهر الطب والدواء، وعندما قالها لغياهب المجهول أشرق العلم، وعندما قالها للعدم والفناء عرف الله والخلود

ألا نبدأ بها شهادة التوحيد لا إله إلا الله؟ أليست فرض عينٍ على كل مؤمن بنفي الربوبية عن غير الله؟ ألم تكن كل رسالات السماء دعوة لأهل الأرض للثورة على الطغيان؟ ألم تولد ثقافتنا اليوم من رحم

اللاءات الخالدة التي أطلقها الرسل والأنبياء وأطلقها بعدهم الأبطال والعظماء؟

أطلقها "موسى" في وجه الاستعباد و"عيسى" في وجه جمود الفريسيين والكتبة، وأطلقها "محمد" ضد الفساد والانحراف وأساطير الكهان، ثم ورث الأبطال والعلماء الأنبياء، فصرخ بها "جان بول مارا" و"روبسبيير" في وجه الظلم والفساد باسم الثورة في فرنسا، وصرخ بها "كرومويل" في وجه "شارلز الأول" في بريطانيا، وصرخ بها "جمال عبد الناصر" في وجه الإمبريالية العالمية في المنشية، أطلقها "جاليليو" في وجه بابا الفاتيكان وأطلقها "أديسون" في وجه المدرسة التي قالت عليه غبي، وأطلقها "أينشتين" في وجه الخيال القاصر



لليمين "جان بول مارا" و لليسار "روبسبيير"، من أبطال الثورة الفرنسية

لكل هذه القدسية في كلمة لا، أسجل هنا لاءاتي، لاءات مواطن مصري، رجل عادي جداً من ملح الأرض، يريد أن يثبت شيئاً واحداً .. لقد عاش بهذه الحجرة في هذه الشقة من قاهرة مصر يوماً.. إنسان،

مجرد إنسان يعرف كيف يقول لا للقبح من حوله، وكيف يسبح للجمال حين يمر به، فتلك هي لاءاتي .. لوجه الله و التاريخ

لا، لم تعقم مصر عن إنجاب الرجال، **لا**، ليس صحيحاً أن خياراتنا محدودة بين نيران الوطني ورمضاء الإخوان

لا، ليس الانبطاح على البطن واقعية سياسية، وليست الأحلام الكبيرة أوهاماً لمجرد أن البعض لا يرون أبعد من ذؤابة الصولجان

لا، أمريكا لا تملك تسعا وتسعين بالمائة من أوراق اللعبة إلا لهواة القمار في لاس فيجاس!

لا، ليس السبق بالاستسلام سبقاً للزمن بل سبق لمزبلة التاريخ

لا، ليس كل تاريخنا العسكري هزائم ونكبات، صمود بورسعيد كان نصراً برغم الاحتلال، وصمود السويس كان نصراً برغم النكسة، حرب اليمن حققت هدفها برغم الخسائر، والاستنزاف كان نصراً برغم الضحايا، والعبور العظيم كان نصراً برغم الثغرة، لقد أرادنا النصر حين أردنا الشرف وأرادنا الهوان يوم استطبنا الترف!

لا، لم يكن القطاع العام الذي مول خمسة حروب خاسراً بل مازال بيع أصوله بالبخس هو ما يحفظ لنا لقمة الكفاف، فرحمة الله على الرجل الشريف ساكن منشية البكري، بنى في ستة عشر عاماً ما لبثنا ندمر فيه ثمانية وثلاثين عاماً و لم ننته منه!

لا، الديمقراطية والتعددية لا تعني أن نسمح للشموليين والثيوقراطيين بالوصول للحكم

لا، ليس الإسلام دينا ودولة، بل دين ومجتمع، وعبارة "الحكم لله" خارجية المنشأ قولة حق لم يرد بها في تاريخنا إلا كل باطل

لا، الخلافة ليست هي الحل، فقد كانت راشدة لأقل من ثلاثين عاما، ثم فقدت رشدها لأكثر من ألف وثلاثمائة عام، وليس بيننا اليوم من يصلح لحمل لقب خليفة رسول الله!

لا، ليس الإرهابي من يحمل سلاحاً فقط، فكل من دعى لتقييد حرية الفرد في غير ما يمس أنف الآخرين هو إرهابي تنقصه الفرصة

لا، ليس دين الله مطلسما، ولا يقول بقصر الحديث به على المحترفين إلا الكهان أصحاب السجع والبكاء

لا، ليس الإسلام نقابا ولا تقطيع بظور فقط، لا وليس قصاصا وحدودا فحسب، الإسلام رسالة ثورة على الطغيان واقامة لمجتمع الكفاية والعدل والاستقامة السلوكية، قبل أن ينحرف ملوك الأمويين والعباسيين عن وجهته الحقة التي جاء بها نبينا صلوات الله وسلامه عليه

حتى لا ننسى

عن يونيو أتحدث

الخامس من يونيو، يوم من أكثر أيام الصراع العربي الإسرائيلي حزنا وألما على جانبنا وسعادة وفخرا على جانبهم، نعم كانت هزيمة نكراء، ولم يكن تعبير النكسة الذي استخدمناه إلا تعبيرا شعريا نحاول به تجنب مرارة كلمة هزيمة في الحلوق، كان القصد منه أنها سقطة لها ما بعدها، ولست ضد هذا عندما نتعامل مع الجماهير، ولأني متهم دوما بالانحياز للزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" - وهو ما لا أنكره، فأنا منحاز له قدر ما انحاز لوطنيته وقوميته والكادحين من بني وطنه، أحبه وأجله وأقدره، لكن بلا صنمية وبغير تقديس - لهذا أستهل بالحديث عن دوره في الهزيمة، والتي يتحمل كقائد أعلى للقوات المسلحة المسئولية الأكبر فيها باعترافه هو نفسه، ولا أرى في ذلك انتقاصا من قدره، فلو كانت الهزائم العسكرية تنقص أقدار الرجال لعصم الله تعالى نبيه منها، لكن قدر الله في هذه الدنيا أن يكون النصر حليفا لمن يأخذ بأسبابه

لقد قادت "عبد الناصر" لهزيمته النكراء ثقته في "عبد الحكيم عامر" واعتماده عليه في هذا القطاع الحيوي، بدأ الأمر ثقة ثم انتهى بناصر معزولا عن أمور القوات المسلحة بشكل شبه إجباري في النصف الثاني من الستينات، وخطأ "ناصر" أنه لم يعزل "عامر" منذ فقد أعصابه بمركز القيادة عام ١٩٥٦ واضطر "ناصر" للجلوس بمركز القيادة

والاشراف على العمليات بنفسه وقتها، فلولا "عامر" لما كانت حرب يونيو حرب الأيام الستة كما نعرفها اليوم، فبرغم غياب الغطاء الجوي للقوات، كانت الكثير من الوحدات مشتبكة في وضع قتالي جيد لولا قرار الانسحاب العشوائي الذي أعقب ضربة الطيران، فضلا عن كون رص الطيران في العراء كما كان وقتها وفي ظل ظروف مشحونة ودرجة استعداد قصوى يعد خطيئة عسكرية

وأحب هنا نتيجة للكثير من الأساطير التي تتردد حول حرب الأيام الستة، أن أتناول معكم حقائق التآمر الذي أدى إليها، حتى لا نصدق إسرائيل اليوم وهي تلعب دور المجني عليه الذي يتحرش به حزب الله، وحتى لا نجلد أنفسنا بالإفراط في الحديث عن النصر السهل الذي خسرناه في يونيو ١٩٦٧م، فلا الموقف كان سهلا، ولا النصر كان سهل المنال على الإطلاق .. ولن يكون، ومن خلال السرد سندرك أننا لم نكن نحارب اسرائيل وحدها، بل نحارب معها قوى اليمين المتطرف في العالم، وأولها قوى اليمين المتطرف العربية في الجزيرة النفطية

- عندما دخلت مصر حرب اليمن، تعاونت الملكيتين السعودية والأردنية مع الإمام "البدر" الذي ثار عليه شعبه، ولم يكن دعم البيتين الملكيين حباً في "البدر" بل خوفا على عروشهم وخوفا من تآكل الأنظمة الملكية في ظل المد الثوري بالمنطقة بقيادة مصر، فوجود جمهوريين على رأس الخليج العربي في اليمن كان آخر أمانيهم، لذلك تآمروا على مصر

في اليمن، كما تآمروا بالأمس على وحدهًا مع سوريا في فضيحة مخابراتية ذاعت وعرفها العالم في حينها



الإمام البدر و الملك فيصل و استنزاف مصر تهيئة لضربة يونيو

- أحزن اليوم حين أسمع مصريا يقول أن كلا من "ناصر" و"فيصل" تدخل في اليمن، ومن حق السعودية أن تتدخل طالما مصر تدخلت! الفارق كبير، فبينما تدخلت مصر لدعم إرادة الشعب والجيش اليمني ضد طاغية كان يتخذ من أبناء قبائل اليمن رهائنا في قصره لضمان الولاء! تدخل الملكيون لفرض هذا الطاغية على الشعب اليمني، مستغلين بعض قبائل البادية التي اشتروها بالذهب كما اعترف بذلك شيوخ القبائل فيما بعد، وشتان بين الموقفين أخلاقياً، لهذا يبقى "ناصر" غير قابل للمقارنة بفيصل أو غيره من الملوك، مهما حاول السعوديون اليوم إعادة إخراج الملك "فيصل" رحمه الله كبطل قومي! فهذا يحتاج لأساس من المواقف والمرجعيات تنقصه، ولن تغطي هذا النقص ملايين الدولارات ولا الأبراج الشاهقة! ولعل خطاب "فيصل" الذي وجهه للرئيس الأمريكي "ليندون جونسون" يفصل في موضوع عروبة الملك

السعودي للأبد، ففي هذه الوثيقة الصادرة بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٦٦، وتحمل رقم ٣٤٢/٦٦ من وثائق مجلس الوزراء السعودى تتجلى الكثير من الحقائق، وضمن ما جاء فيها يقول الملك "فيصل" لجونسون:

من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس، ومما عرضناه بإيجاز يتبين لكم أن مصر هى العدو الأكبر لنا جميعا، وأن هذا العدو إن ترك يحرض ويدعم الأعداء عسكريا وإعلاميا فلن يأتى عام ١٩٧٠ كما قال الخبير فى إدارتكم السيد كيرميت روزفلت وعرشنا ومصالحنا فى الوجود! لذلك فأننى أبارك ما سبق للخبراء الأمريكان فى مملكتنا أن اقترحوه، لأتقدم بالاقتراحات التالية:

- **أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولى به على أهم الأماكن حيوية فى مصر، لتضطرها بذلك لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدة طويلة لن يرفع بعدها أى مصرى رأسه خلف القناة ليحاول إعادة مطامع محمد على وعبد الناصر فى وحدة عربية، وبذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية المبادئ الهدامة لا فى مملكتنا فحسب، بل وفى البلاد العربية، وبعد ذلك، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لإتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام**
- **سوريا هى الثانية التى لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم، مع إقتطاع جزء من أراضيها كيلا تتفرغ هى الأخرى فتندفع لسد الفراغ بعد سقوط مصر**
- **نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازانى شمال العراق بغرض إقامة حكومة كردية مهمتها إشغال أى حكم فى بغداد يريد أن ينادى بالوحدة العربية شمال مملكتنا فى أرض العراق سواء فى الحاضر أو المستقبل، علما بأننا بدأنا منذ العام الماضى (١٩٦٥) بإمداد البرازانى بالمال والسلاح من داخل العراق ، وعن طريق تركيا وإيران ٠**

و أخيرا .. أنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من عزة و للولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نمو و ارتباط أوثق وازدهار

— في منتصف عام ١٩٦٣م أرسل الموساد فرق عمليات خاصة لتدريب قوات الإمام، والمرتزقة البلغار الذين اكتراهم السعوديون لقتال المصريين على أرض اليمن، دربت إسرائيل قوات الإمام على السلاح الأمريكي

الخفيف الذي اشترته لهم السعودية، وكان هدف التدخل - كما نشر مؤخرا في وثائق مخابراتية أمريكية - هو معاينة نقاط ضعف الجيش المصري عن قرب، فضلا عن إطالة أمد الحرب لاستتراف جيش مصر واقتصادها تميئة لضربة تكسر أنف نظام مصر، وتم تكثيف العمليات وزيادة عدد الأفراد باكتراء مزيد من القوات القبلية في اليمن للقتال بدء من ١٩٦٦، حتى يزيد تورط مصر تمهيدا لضربها

— في يوم ٧ أبريل عام ١٩٦٧ انتهكت إسرائيل اتفاقية الهدنة بإطلاق نيران المدفعية على المواقع الحدودية السورية إثر مناوشات بأسلحة نارية بين مزارعين سوريين ومستوطنين يهود في المنطقة منزوعة السلاح، وتطور الأمر في ذات اليوم إلى معركة جوية أسقطت فيها اسرائيل ٦ طائرات ميج سورية، واستمر تبادل نيران المدفعية

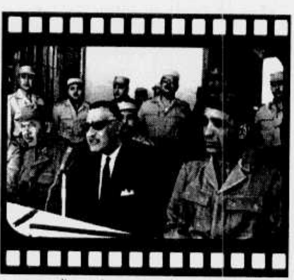
— في يوم ٩ مايو أخذ الكنيست قرارا بالرد العسكري على سوريا لتأديبها (لمن يقولون أن الحشود الاسرائيلية على سوريا كانت وهما)، وفي اليوم التالي صدرت أوامر لسفارات إسرائيل بالخارج بتهيئة الرأي العام العالمي لضربة وشيكة ضد سوريا وضد من ينحاز لها أثناء العمليات! يعنون مصر بالطبع

— أبلغ الاتحاد السوفيتي القاهرة بحشود على سوريا يوم ١٢ مايو، وبعدها صرح "بودجورني" للسادات الذي كان في زيارة لاستطلاع موقف السوفيت أنهم سيدعمون سوريا ومصر في الأزمة، والسادات يدعي في "البحث عن الذات" أن السوفيت قالوا له أنهم سيتدخلون بقوات

سوفيتية مباشرة لو اقتضى الأمر! وهو ما أنكره السوفيت بعد ذلك، وللأسف لابد أن نصدق الرواية السوفيتية هنا، فمن يعرف ألف باء الحرب الباردة يعلم أن التدخل المباشر من السوفيت أو الأمريكان في صورة إعلان إحداهما الحرب على أحد حلفاء الآخر كان شبه مستحيل متفق عليه بين الدولتين الأعظم ضمنيا، ويوم أوشك هذا الاتفاق أن يختل في خليج الخنازير أصيبت الدنيا بحمى حتى تثبته فلا ينهار، لأن صداما سوفيتيا أمريكيا مبـ ـرا كان يعني خرابا قد لا يحتمله التاريخ البشري

- يوم ١٣ مايو قررت إسرائيل استدعاء الاحتياطي، وبدأت تحركات لحشود قدرتها سوريا بعدد ١١ لواء نحو الحدود السورية ما بين مدرعات ومشاه ميكانيكية ومظلات، وكانت مصر مرتبطة باتفاقية دفاع مشترك مع سوريا كحليف استراتيجي، فأصدر القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية الرئيس "جمال عبد الناصر" أوامره في ١٤ مايو، للقيادة العامة للقوات المسلحة برفع الاستعداد للدرجة القصوى، وإيفاد الفريق "عبد المنعم رياض" لتنسيق الوضع القتالي على الجبهة الأردنية والفريق "محمد فوزي" للتنسيق مع الجبهة السورية، وحين أصدر القائد العام "عبد الحكيم عامر" أوامره العسكرية بناء على أمر القائد الأعلى قرر رفع حالة الاستعداد في الفترة ما بين ١٤ و ١٧ مايو، أي أن الحرب لم تكن غدرا على الاطلاق لولا رؤية المشير التي كانت تقول أن اسرائيل لن تدخل الحرب وأن الموضوع لن يعدو كونه مظاهرة عسكرية

- يوم ١٦ مايو سلم رئيس الأركان اللواء "محمد فوزي" لمدير قوات الطوارىء الدولية بسيناء خطابا يطلب فيه سحب القوات الدولية للحفاظ على أمنها مع توقع توتر على الحدود في حالة اعتداء اسرائيل على سوريا، ولأن إسرائيل لم تكن قد بدأت إطلاق النار و لم تكن في أقصى حالات الاستعداد، فقد ناور "يوثانت" السكرتير العام للأمم المتحدة وقتها حتى يوم ١٨ مايو قبل أن يصدر أوامره بسحب القوات من سيناء، وأعقب هذا انتشار الألوية المصرية على الحدود متخذة تشكيلات دفاعية



ناصر و رياض إلى يساره و فوزي إلى يمينه
قيادات إعادة البناء فيما بعد

- عقب تصريحات من "ليفي أشكول" بأن مصر عاجزة عن دعم سوريا لأنها غارقة في مستنقع اليمن، أصدر "عبد الناصر" قراره بإغلاق مضيق تيران أمام السفن التي ترفع علم اسرائيل أو تحمل مواداً أو سلعاً استراتيجية منها أو إليها، كان هذا صباح يوم ٢٢ مايو، وأعلنت إسرائيل أن غلق المضايق يعد بمثابة إعلان الحرب عليها، كان هذا هو

ثاني أكبر خطأ لناصر في حرب يونيو من ناحية إدارتها سياسيا، فقد أعطى غلق المضايق الذريعة السياسية لاسرائيل لتوجه الضربة الأولى لمصر وليس لسوريا فقط

- يوم ٣٠ مايو، قرر "الحسين بن طلال" ملك الأردن الانضمام لاتفاقية الدفاع المشترك المصرية السورية، بعد ضغوط ومظاهرات عنيفة من جانب الشعب الأردني، ومن طرائف هذه الفترة، أن فتيات المدارس الثانوية الأردنية كونَّ شبكة اسموها شبكة "أم خالد"، كنية زوجة "ناصر"، وكن يلبسن قلائد بها صورة الزعيم تعبيرا عن التضامن مع مصر وقائدها، مع زيادة هذه الضغوط، قبل "حسين" بشرط "عبد الناصر" وهو تعيين رئيس أركان مصري للقوات الأردنية في حالة نشوب حرب، وتم تسمية اللواء "عبد المنعم رياض" لهذا الموقع لضمان التنسيق الكامل مع الجانب الأردني وتجنب الأخطاء القديمة التي حدثت في عام ١٩٤٨م في التنسيق بين الجيوش العربية

- بسبب هذه الشعبية الضاغطة لمصر ونظامها في ذلك الوقت كانت أمريكا تخشى تمرد الشعب السعودي المتعاطف مع المد الثوري على حلفائها من "آل سعود"، الشريك الاستراتيجي في المنطقة، لهذا دعت لاجتماع سري مع "فيصل" ورئيس مخابراته

- في ذات اليوم، ٣٠ مايو، سافر ثلاثة من جماعة الإخوان المسلمين لم تحدد أسماءهم إلى ليبيا وفقا لما نشرته المخابرات المركزية، وقابلوا قائد قاعدة العضم الأمريكية بليبيا في مهمة قالت عنها المخابرات المركزية

أنها متعلقة بمعلومات الداخل المصري، وعندما لا تنشر المخابرات المركزية أسماء فهذا معناه إما إن الأسماء غير موثقة لديهم، مما يضعف المعلومة، أو أن الأشخاص مازالوا أحياء وقد تؤثر المعلومة على أمنهم الشخصي بطبيعتها، فترى أي الحالتين ينطبق هنا؟

- يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ اجتمع "فيصل" و"كمال أدهم" مدير مخابراته بالفعل مع "آلان دالاس" مدير المخابرات الأمريكية وقتها، والذي أخطرهم بنية توجيه ضربة اسرائيلية لكسر غرور نظام القاهرة ودفع الشعب المصري للإطاحة بعبد الناصر، وسألهم عن مدى احتمال حدوث تمرد عليهم في الداخل لأنهم يحاربون مصر في اليمن؟ فأجابوا بأنهم يستطيعون السيطرة على الوضع الداخلي بوقف القتال في اليمن بعد توجيه الضربة، فقد جاء خبر الضربة المخططة ضد مصر على هوى الجانب السعودي بالطبع، نتيجة الحقد الملكي على "ناصر" والرؤية الثورية الوحدوية، ونتيجة لأحداث اليمن، فهذا هو الملك "فيصل" الذي كان وجهه يفيض بالصدق وهو يقول أنه يريد الصلاة في المسجد الأقصى قبل أن يموت!

- في يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، إنطلق الطيران الإسرائيلي مدعوما بصورة غير معلنة بطيارات أمريكية وبريطانية من قاعدتي العضم وويلز في ليبيا، حيث كان طيران اسرائيل موزع على ثلاث جبهات، فاحتاجت للدعم العددي على الجبهة الجنوبية ضد مصر، فوجهت ضربة ساحقة للقوات الجوية المصرية والسورية والأردنية على الأرض، وكان التوقيت مختارا بمهارة، بعد أن كانت الأجواء قد هدأت، واعتقد الكثيرون أن الأزمة

تمر بسلام، فغلق المضايق سبق الضربة بأسبوعين، مما يدل على دراسة اسرائيل للطبيعة العربية التي لا تستطيع الاحتفاظ بحالة اليقظة مدة طويلة مع هدوء الأوضاع! وما حدث بعد هذا يعرفه الجميع، صدر القرار المصري بالانسحاب بعد ١٢ ساعة من بداية إطلاق النار، تلاه القرار الأردني بأربع ساعات، وتوالت فصول الهزيمة النكراء



كتيبة مشاة كشافة إسرائيلية تتنزه
على الأقدام في الأردن

قصدت من هذا السرد التاريخي أن أنعش ذاكرة من يعرف، وأنبه من لا يعرف، لأنني ألاحظ كثيرا من الخلط حين نتحدث عن حرب النكسة، لدرجة تفيد بكل أسف أن قليلين جداً منا نحن رجال الشارع من يعرف عنها وعن الظروف التي حدثت فيها بما يكفي

في النهاية، كانت نفس القيادات التي تجرعت الهزيمة في يونيو، هي القيادات التي أعادت بناء الجيش وأطلقت حرب الاستتراف ثم خططت حرب العبور، رحمة الله على الفريق "محمد فوزي" والشهيد "عبد المنعم رياض" رحمة واسعة قدر ما بذلوه من عرق ودم طاهر، ثم خلفهم الرائعين

"سعد الشاذلي" و"عبد الغني الجمسي" رحمة الله عليه، فقادا العبور العظيم كملحمة على الأرض، فكفانا سكبا للعبرات على يونيو، ولنكتفي بدراسة الأخطاء التي حدثت، بهدف عدم تكرارها، حتى لا نعيش في حالة جلد الذات للأبد



الدبابات الإسرائيلية في سيناء



لليمين: "ديان" يدخل القدس بكبرياء النصر
لليسار: جنود إسرائيل عند حائط المبكى

جرعة كـرامة

عن حزب الله من تاني

صدق حزب الله وعده، مثبتاً للمرة الثالثة أن هذا العصر الأمريكي الصهيوني وهم سوف ينهار لو ملكنا اليقين، يقينا بأنفسنا وإمكاناتنا وبأن من يملك الحق والأرض تندلع النار من جوفه حين يقاتل عدوه بصدره العاري، الله أكبر يا صهيون يا قاتلة الأنبياء، تحرر "سمير القنطار" ورفاقه، أسرى الشرف والفخار، وعادت "دلال المغربي" جثمانا شهيدا طيبا مع العشرات من شهداء فلسطين ولبنان، فأنعم بالأسرى والشهداء، وأنعم بالمناضلين في سبيل تراب الوطن وشرفه، وأنعم بك من أرض يا لبنان، قليلة العدد ولكنك ذاخرة بالرجال والأبطال، متشعبة الطوائف والفصائل لكن شعبك الكريم يعرف كيف يحب الحياة وكيف يموت لو كان الموت هو ثمن الكرامة والشرف

من قلب الشعب العربي الظمآن لجرعات الكرامة، ومن زمنه المشتاق للحظات الشرف، ومن عروقه التواقة لنبض الرجال، يحييكم اليوم عبد فقير من هذا الشعب المفتون ببطولتكم، فاقبلوا تحيته، تحية لا تزيدكم شرفاً يا بواسل المقاومة لأنكم أنتم من تمنحونا الشرف، ولا تزيدكم فخرا لأنكم فخر الجميع، وهل لدي غير الكلمات أحيي بها؟ وكيف يوفي الكلام للدم الطاهر حقاً؟ وكيف يشكر القول البليد ملاحم الرصاص والصواريخ؟

يا سيد المقاومة ويا أسود حزب الله، أحببتكم في عام ٢٠٠٠م حين رأيت جيش الدفاع ينسحب تحت جنح الظلام من جانب واحد وبدون تنازلات، فعندما تحرر الجنوب اللبناني في ٢٥ مايو من ذلك العام، خرجت من فمي لأول مرة كلمة: الله أكبر يا حزب الله .. الله أكبر يا لبنان، وكانت فاتحة انتصارات لها ما بعدها، ففي يوليو عام ٢٠٠٦ أغارت اسرائيل على لبنان وأعلنت أن هدف الحرب هو تفكيك حزب الله وإعادة الأسيرين وقد أصبحا يومها رمزا لكرامة اسرائيل، وأعلن حزب الرجال الصمود والنضال، وعرف شعب لبنان الذي يكثر الجدل وقت السلم كيف تكون وحدة الصف ساعة القصف، وصدقت فيكم أنشودة قديمة جديدة، يقول فيها "عبد الحليم حافظ" متغنيا ببطولتكم:

صرخت صبية من الجنوب .. الغدر نازل ع الدروب .. وقفوا الرجال
زي الجبال .. سمع الصباح صوت السلاح .. والغدر داق طعم الجراح

هكذا فعلتم، وقفتم كالجبال فسمع الصباح صوت السلاح، وهزمت اسرائيل بعجزها عن تحقيق أهداف الحرب التي أعلنتها وبتكبدها الخسائر الفادحة، فلم يكن الدم اللبناني الذي أريق في هذه الحرب رخيصا أبدا، لأول مرة في تاريخها ذاقت اسرائيل معنى النيران في جبهتها الداخلية، فزاد الحب في قلبي أضعافا مضاعفة، برغم كل ما قيل عن البنية التحتية التي ضربت وعن المؤسسات التي تعطلت وسلوك

الكهرباء التي تقطعت! فأنا أعرف مثل هذا الكلام جيدا، وأعرف نوع الرجال الذي يقوله! وطبيعة نواياهم ومواقفهم المخنثة أبداً



اليوم يا أم عميد الأسرى تجف الدموع

واليوم يا أحبائي يفيض القلب بحبكم وتكاد العين تدمع فرحا بنصركم الدبلوماسي الحقيقي، فالدبلوماسية هي مهارة حصد ما غرسه السلاح، وليست الحج للبيت الأبيض كل عام، لقد أثبتم وأثبت السلاح في أيديكم والصواريخ في ترسانتكم أنها أقدر الطرق الدبلوماسية، لأنها أتت للمرة الثالثة بما لم تأت به دبلوماسية التقهقر وسلام اللصوص!

لماذا أنتم خارج القاعدة؟

يلومني كثير من أصدقائي على اعجابي بالسيد "نصر الله" وميليشيا حزب الله اللبنانية، ويقولون أن هذا ضد خطي العام، وهذا صحيح، فبوجه عام أنا ضد الثيوقراطية وخلط أوراق الدين بالسياسة، والقيادات

الدينية من أصحاب السماحة والفضيلة والنيافة بالقيادات السياسية من أصحاب المعالي والفخامة والسيادة، وأرى المجتمع المدني مكانا تعيش فيه كل الأديان بحرية ووئام، ولا أنقم على مذاهب الشيعة المعتدلة أمراً غير الإمامة ومعادلها العصري مبدأ ولاية الفقيه، كذلك أنا ضد الميليشيات والقوى التي تتحول إلى دولة داخل الدولة، وكل هذا حقيقي، وهذه بالفعل هي ثوابتي الفكرية، لكنني أقولها اليوم كما قلتها دائماً، أكره كل اللحى الاستعراضية، وأحب لحية واحدة هي لحية أبي الشهيد، والذي كان جثمان ولده ضمن ما بادل يوما مع اسرائيل عام ١٩٩٤م، لحية السيد "حسن نصر الله"، فلا أكاد أسمعه خطيبا حتى تتردد بعقلي كلمات شاعر الثورة والحب والتنوير "نزار قباني" رحمه الله من سيمفونيته الجنوبية الخامسة وهو يقول:

سميتك الجنوب

يا لابسا عباءة الحسين .. وشمس كربلاء

يا شجر الورد الذي يحترف الفداء

يا ثورة الأرض التقت بثورة السماء

يا جسدا يطلع من ترابه .. قمح وأنبياء

اسمح لنا .. بأن نبوس السيف في يديك

يا أيها المغسول في دمائه كالوردة الجورية

أنت الذي أعطيتنا

شهادة الميلاد .. ووردة الحرية

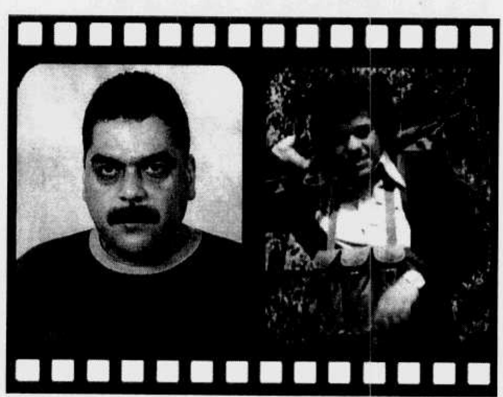
أكره في ذوي العمائم واللحى "راسبوتين" الكذاب ذي الوجهين، الآمر بالبر وناسياً نفسه، المدجن للسلطان والمستأسد على الغلبان، ولذات هذه الأسباب أحب "نصر الله"، المناضل الذي قدم ابنه الأكبر للموت في سبيل لبنان، والرجل الذي عاش ويعيش ككل لبناني منتميا لحياة طبقته الوسطى، لا يسكن القصور ولا يتسرى بالجواري! أكره اللحى في وجوه ليس لها من الرجولة إلا الاسم واللحية وأحبها على وجه خليق بها، فأهلا بكل لحية تقودنا للنصر والشرف بعيدا عن خنوثة الانفتاح والترف



حقق حزب الله وعده بتحرير القنطار و رفاقه رغم أنف اسرائيل و من وراء اسرائيل

كذلك أقف ضد الميليشيا عندما تكون الميليشيا لإرهاب الوطن، كميليشيا تمارس العنف في حرم جامعة! ولكني أهيم حبا بميليشيا تقصف قلب إسرائيل بالصواريخ، أستثنيهم لأني رأيت فيهم جهادا حقيقيا وليس جهاد فتاوى بول الإبل وجلسات النسوان وفقه المحرم للمرأة على الإنترنت! شتان يا سادة بين ميليشيا سيفها في ظهورنا وميليشيا سيفها على رقبة إسرائيل، فلو كانت الميليشيا على عدوي فألف أهلا بالميليشيات

سمير القنطار ما رأيه؟



سمير القنطار عميد الأسرى العرب ، قبل الأسر و بعده، بفاصل ثلاثين عاماً

نشكر الله الذي كتب الحرية للمناضل البطل "سمير القنطار"، المجاهد القومي العروبي الأشهر والفارس الذي قضى شبابه وجانبا من كهولته في سجون إسرائيل، ثلاثون عاما كاملة أمضاها في معتقلات صهيون، فصفا بصره من ضباب الصورة السياسية وأكاذيب الساسة، تعالوا نقرأ خطابا وجهه للسيد "وليد جنبلاط" الزعيم الدرزي المعروف، من معتقله في فلسطين المحتلة، على إثر هجوم "جنبلاط" على حزب الله و قائده، في خطابه قال "سمير":

عندما غادرت شاطئ مدينة صور ليلة ٢٢ نيسان ١٩٧٩، كنت أستعيد في ذاكرتي شريط الأحداث الذي طبع طفولتي وريعان شبابي، كنت أستعد في تلك اللحظات الدقيقة والحساسة، التي يجب على المرء خلالها أن يمتلك من الاستعداد النفسي والمعنوي الشيء الكثير، وكان "كمال جنبلاط" بقامته الكبيرة حاضراً في مخيلتي، يخطب أمام الذين ليس على صدورهم قميص بأن الحياة انتصار للأقوياء في نفوسهم لا للضعفاء، كانت هذه المقولة تستحضر في مخيلتي كل اللحظات الصعبة والمريرة، عندما تلاطمت الأمواج وكادت تغرق الزورق المطاطي الذي كان يحملني مع ثلاثة من رفاقي إلى أرض فلسطين الحبيبة، وعندما تجمع حولي زمرة الحاقدين الصهاينة بعد أن فقدت القدرة على الحركة جراء إصابتي بخمس رصاصات في جميع أنحاء جسدي وراحوا ينكلون بي في أرض المعركة، وعندما أطفأ المحقق السجائر في يدي في أقبية التعذيب، وعندما جرى عزلي العام الماضي في سجن الجلمة بعد ٨ أيام بدون طعام وكان الجوع يأكل جسدي، كانت هذه الكلمات زادي المعنوي الكبير الذي ما زلت أفتخر وأعتز به، اليوم ها انا أجلس حزيناً في غرفتي في معتقل هداريم، أشاهد على التلفاز ابن هذا الرجل الكبير الذي قال يوماً "ان السلاح زينة الرجال، والنصر يا رفاقي آت لا محالة"، أراه واقفاً يخطب على بعد أمتار من المكان الذي يرقد فيه "كمال جنبلاط"

"وليد كمال جنبلاط"، يعزّ عليّ ويحزنني أن أسمعك وأراك متوتراً، تطلق تصريحات لا تمت إلى تاريخك النضالي، ولا إلى التراث السياسي العريق لهذا البيت، الذي أصابته النكسات تلو النكسات منذ قرون، وبقي قلعة المقاومة والصمود في وجه الغزاة، "وليد

كمال جنبلاط" أنا الموقع أدناه "سمير القنطار"، ابن مدرسة "كمال جنبلاط" و "جمال عبد الناصر"، ابن جبل العروبة الذي أنبت حماة الثغور، أعلن بأن أي كلام تخويني بحق سلاح المقاومة وبحق الإخوة في حزب الله، يطالني في الصميم، وهو طعنة عميقة أصابتني بجرح لن يندمل إلا حين تعود إلى موقعك الطبيعي، "وليد جنبلاط"، حفيد "شكيب ارسلان"، وابن "كمال جنبلاط"، وسليل الجبل الذي لن يكون إلا جبل المقاومة، آمل أن يلقى هذا النداء الاستجابة الفورية وألا يفسر أبداً في خانة التخوين أو التضليل، ما دفعني إلى الكتابة هو شوقي لأن يكون يوم حريتي ويوم استقبالي على أرض وطني، وفي بلدتي، يوماً يكون فيه الغزاة في العراق قد عادوا من حيث أتوا، لا أن يكونوا في انتظاري على مدرج المطار ليقتادوني إلى معتقل غوانتانامو

"سمير القنطار" من معتقل هداريم، فلسطين

قد يقول البعض أن هذا خطاب عاطفي من أسير، يدعو فيه لمهادنة من يتفاوض على فك أسره، ولكننا نتكلم عمن قضى شبابه في سجن العدو منتصب القامة مرفوع الهامة، ومن كان مثل قنطار الذهب هذا لا يمالىء ولا يهادن وإلا لما كان من أمره ما كان، فمن يعرفون التقية وتمرير الريح تجدوهم في مؤتمرات الفنادق، ومن يعرفون المقايضة على المبادىء لا يأسرون، لكنهم يسمون سجناء الجنح والجنايات في أوطانهم أسرى!

فألف تحية للقنطار ولمن حرر القنطار، لمن وهبنا نسمة كرامة في قيظ الذل العربي الذي كادت جباهنا فيه تمس الأرصفة

فهرس الموضوعات

